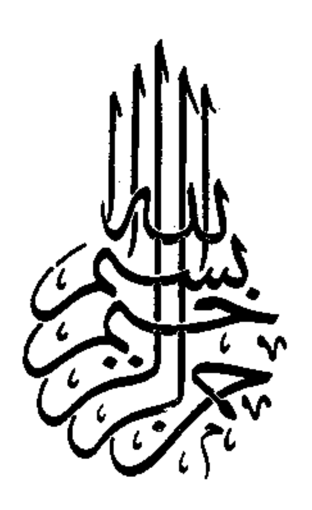
أسباب نجاح الدعوة الإسلامية
في العهد النبوي


بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله بن محمد آل موسى

أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي



الرياض

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار عالم الكتب للنشر والتوزيع

العليا - الشارع العام - ت ٤٦٣١٢٢٦ / ٤٦٣١٧٢٢ / ٤٦٥١٦٨٩

ص.ب ٦٤٦٠ الرياض ١١٤٤٢

فهـرس الكِتَاب

الموضوع ... ص

المقدمة ٩
التمهيد ٢١
١ ـ صراع الحق والباطل ٢٣
٢ ـ دعوة الحق ٢٣
٣ ـ ضرورة الدعوة ٢٧
٤ ـ حكم تبليغ الدعوة ٢٩
٥ ـ موضوع الدعوة وأركانها وأصولها ٣٠
٦ ـ الدعوة وما يراد منها ٣١
٧ ـ خصائص الدعوة ٣٢
٨ ـ الداعية وواجباته ٣٣
الباب الأول : العوامل الخارجية لنجاح الدعوة ٣٧
تمهيد ٣٩
الفصل الأول : (حاجة العالم للدعوة) ٤١
المبحث الأول : حاجة غير العرب للدعوة ٤٣
أ ـ الخلل الديني ٤٤
١ ـ اليهود ٤٦
١ ـ الالحاد في العقائد ٤٧
٢ ـ ربط الثواب والعقائد بالدنيا ٤٩
٣ ـ إدعائهم أنهم سعب الله المختار ٥٠
٤ ـ الشذوذ في السلوك والتعامل ٥٢
٢ ـ النصارى ٥٣
٣ ـ الوثنيون ٥٦

ب ـ الخلل الاجتماعي والسياسي ٦٢
١ ـ سيطرة المادة والشهوات ٦٢
٢ ـ شيوع النزعات الرهبانية ٦٦
٣ ـ تسلط نظام الطبقات ٧٠
٤ ـ تدهور مركز المرأة ٧٤
٥ ـ الانهيار السياسي والفتن والحروب والمنازعات ٧٨
المبحث الثاني : حاجة العرب خاصة للدعوة ٨١
١ ـ بداية الانحراف في العقيدة : ٨٤
٢ ـ المعتقدات عند العرب ٩٠
٣ ـ الحنيفية عند العرب ٩٤
٤ ـ الوثنية والأصنام عند العرب ٩٦
٥ ـ اليهودية والنصرانية عند العرب ٩٩
أولاً اليهودية : ٩٩
ثانياً النصرانية : ١٠٢
ب ـ الخلل الاجتماعي والسياسي ١٠٣
١ ـ سيطرة الأدواء الخلقية والشهوات ١٠٤
٢ ـ تسلط نظام القبلي والعصبية ١٠٧
٣ ـ تدهور مراكز المرأة في المجتمع الجاهلي ١٠٩
٤ ـ الحروب والمنازعات ١١٢
الفصل الثاني : التمهيد الرباني للدعوة ١١٩
المبحث الأول : البشارات السابقة للبعثة النبوية ١٢٢
أ ـ تبشير أهل الكتاب وكهان العرب وغيرهم بمبعثه ١٢٣
ب ـ ما رافق مولده من البشارات ١٢٥
ج ـ ما أكرمه الله بعد مولده قبل البعثة ١٢٦
١ ـ بركة آل حليمة ١٢٧
٢ ـ تسخير الغمام ١٢٨
٣ ـ سلام الأحجار والأشجار ١٢٨

٤ ـ ما تواتر له واستعاض من الأخلاق ١٢٩
المبحث الثاني : حكمة اختيار مكة وقريش **منطلقاً** للدعوة ١٣٠
أ ـ حكمة انبثاق الدعوة من مكة ١٣١
١ ـ إمتداد الدعوة ومسيرة الخير من مكة ١٣٢
٢ ـ موقع مكة المكرمة ومكانها من عوامل النجاح ١٣٥
ب ـ حكمة إنطلاق الدعوة من قريش ١٣٦
١ ـ خير الخلق من خير البيوت ١٣٨
٢ ـ كيف استفاد عليه السلام من ذلك ١٤٠
المبحث الثالث : حادثة الفيل ارهاص للدعوة ١٤٤
١ ـ رد الله كيد الظالمين ١٤٤
٢ ـ أثر الحادث في نفوس العرب ١٤٧
٣ ـ موعظة وذكرى ١٤٩
الباب الثاني :
العوامل الداخلية لنجاح الدعوة ١٥٣
الفصل الأول : العوامل الذاتية لنجاح الدعوة ١٥٧
العامل الأول : ربانية الدعوة ١٥٩
١ ـ شريعة كاملة ثابتة ودعوة عامة ١٦٠
٢ ـ دعوة اليسر والسهولة والوضوح ١٦٢
٣ ـ دعوة العدل والمساواة ١٦٣
العامل الثاني : موافقتها للحق **والفطرة** ١٦٧
دور الفطرة في دعوة الحق ١٧١
الفطرة لغة ١٧٢
الفطرة إصلاحاً ١٧٣
المؤثرات في الفطرة ١٧٧
الإسلام وتحرير العقل وحفظه ١٨٠
ثمار تلازم الحق والفطرة ١٨٢
أ ـ دعوة ثابتة كاملة ١٨٣

ب ـ دعوة المثالين والواقعة ١٨٤
جـ ـ شهادة الخصوم لها ١٨٦
د ـ نتائج ذلك وأثره في الدعوة ١٨٧
العامل الثالث : تدرج الدعوة ١٩٠
أ ـ أساليب الدعوة ١٩٤
ب ـ مراتب الدعوة ١٩٩
العامل الرابع : شمول الدعوة ٢٠٥
١ ـ دعوته معه لما سبقه به الرسل ٢٠٥
٢ ـ دعوة ناسخة وخاتمة ٢٠٨
٣ ـ استيعابها لكل تصرفات البشر وحاجاتهم ٢١١
٤ ـ دعوة عامة لبني البشر ٢١٣
ثانياً : السنة النبوية ٢١٦
ثالثاً : أدلة أخرى ٢١٧
١ ـ دعوة الحق التي بشر بها النبيون ٢١٨
٢ ـ الرسول عام وغيره خاص ٢٢٢
٣ ـ اختصاص الإسلام بالتسمية ٢٢٣
٤ ـ كمال الدعوة ٢٢٤
٥ ـ العموم من الضرورات للبشر ٢٢٤
٦ ـ بقاء الدعوة ببقاء المعجزة ٢٢٥
العامل الخامس : **دعوة تقوم على الجهاد** ٢٢٦
١ ـ تعريف الجهاد ومراتبه ٢٢٧
٢ ـ تقرير مبدأ الجهاد ٢٢٨
٣ ـ مراحل تقرير الجهاد ٢٣٠
٤ ـ حكمة تشريع الجهاد ٢٣٣
٥ ـ الجهاد ضرورة فطرية اجتماعية شرعية ٢٣٥
١ ـ أن يكون الجهاد في سبيل الله ٢٣٩
٢ ـ أن يكون الجهاد للدفاع عن الدين والنفس
والأهل والعرض والمال ٢٤٠

٣ ـ من أهداف الجهاد حماية الدعوة الإسلامية ٢٤٠
٤ ـ من أهداف الجهاد وأغراضه حماية المستضعفين
من المؤمنين ٢٤١
٥ ـ تأديب الخارجين على المؤمنين، المتمردين عن الحق،
الناكثين لايمانهم ٢٤٢
الفصل الثاني : القرآن الكريم المعجزة الكبرى للدعوة ٢٤٥
تمهيد ٢٤٧
العامل الأول : القرآن معجزة التحدي ٢٤٩
ـ تحديد معنى القرآن ٢٤٩
ـ الدعوة معجزتها القرآن ٢٥١
قصة إسلام عمر رضي الله عنه وردت **بعدة** روايات منها ٢٥٣
حادثة تولي الوليد بن المغيرة ٢٥٤
* إعجاز القرآن ٢٥٦
المعجزات الدالة على صدق الأنبياء ٢٥٧
ـ مراحل التحدي ٢٥٨
ـ وجوه الاعجاز القرآني ٢٦٠
العامل الثاني : التدرج في الخطاب والتربية ٢٦٤
* **أولاً** : التدرج في الخطاب ٢٦٦
(أ) إنزال القرآن منجماً ٢٦٧
(ب) أساليب القرآن ٢٧٠
١ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف ٢٧١
٢ ـ الاستدلال ٢٧٢
* **ثانياً** : التدرج في التربية والتشريع ٢٤٨
أ ـ أهداف **المكي** والمدني ٢٧٥
١ ـ الخصائص ٢٧٦
٢ ـ الأساليب ٢٨٠
(ب) النسخ ودوره في قبول أحكام القرآن ٢٨١

العامل الثالث : المبادىء والأصول القرآنية ٢٨٤
١ ـ في العقائد ٢٨٥
٢ ـ في الأخلاق ٢٨٧
٣ ـ في العبادات ٢٨٩
٤ ـ في المعاملات ٢٩١
الفصل الثالث : العوامل الذاتية في الدعاء ٢٩٥
العامل الأول : **شخصيته** صلى الله عليه وسلم ٢٩٨
(أ) حسن **الخلق** ٣٠٠
١ ـ الصدق والأمانة ٣٠٢
٢ ـ العفة ٣٠٤
٣ ـ حلمه وصبره ٣٠٥
(ب) علو المكانة ٣٠٦
(جـ) الاعداد **الإلهي** له ٣٠٨
العامل الثاني : حكمته وحسن إعداده الدعوة ٣١١
(أ) الصبر والصفح ٣١٢
(ب) البحث عن مأوى ودار الدعوة والدعاة ٣١٦
(جـ) الهجرة للمدينة بعد تهيئتها وأثر ذلك في الدعوة ٣٢١
١ ـ التمهيد للهجرة ٣٢١
٢ ـ الهجرة للمدينة ٣٢٢
٣ ـ أثر الهجرة في الدعوة ٣٢٤
د ـ الاستفادة من الامكانيات المتاحة ٣٢٦
العامل الثالث : نوعية الصحابة الذين رباهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٥٦
أ ـ التحول العجيب ٣٣٢
ب ـ التحمل الفريد ٣٣٤
جـ ـ العلم والعمل ٣٣٨
العامل الرابع : تضحياتهم وجهادهم ٣٤٣
التضحية النادرة ٣٤٣

١ ـ التضحية بالنفس ٣٤٤
٢ ـ التضحية بالمال ٣٤٩
٣ ـ التضحية بالأهل ٣٥٠
* نماذج من جهادهم واستشهادهم ٣٥٤
* وكان للنساء نصيب في الغزو والجهاد ٣٥٨
* الخاتمة ٣٦١
* الفهارس ٣٧٩
١ ـ فهرس الآيات القرآنية ٣٨١
٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار ٣٩٣
٣ ـ فهرس الأعلام ٤٠٥
٤ ـ فهرس المصادر والمراجع ٤١٥
٥ ـ فهرس الموضوعات ٤٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الحق تبارك وتعالى :

« قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »(سورة يوسف : الآية ١٠٨)

وقال تعالى :

« ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ »(سورة النحل : الآيه ١٢٥)

وقال الله تبارك وتعالى :

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ »
(سورة فصلت : الآيه ٣٣)



الإهداء

إلى كل مؤمن مخلص يسعى لعزة هذا الدين الحنيف ونصرته...

إلى كل داعية مخلص يسعى إلى نشر دعوة الإسلام المباركة....

إلى كل الباحثين عن السعادة في الدارين : الدنيا والآخرة....

إلى كل المجاهدين الذين يبذلون أنفسهم، ويجودون بأموالهم داعين إلى دين الله الحق الذي ارتضاه تعالى لعباده دينا، وطريق حياة وسعادة...

إلى كل هؤلاء أقدم هذه الدراسة عن دعوة الإسلام، وأسباب نجاحها...

راجياً للجميع دوام التوفيق، وأن نعمل بما نقول حتى لانكون من الذين قال الحق فيهم :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »(سورة الصف : الآيه ٢، ٣)



مقدمة

الحمد لله نحمده، ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاّ إله إلا الله، وحده لاشريك له، أنعم علينا بالإسلام، وأمرنا بالدعوة إليه.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أرسله الله (شَـٰهِداً ومُبَشراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إلىَ الله بإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرا) (سورة الأحزاب :)

خير من دعا إلى الله بصيرة، وجاهد في الله حق جهاده، اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الأمي، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، والمجاهدين الصادقين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد

فإني أشكر الله تعالى أن هيأ لي فرصة البحث والدراسة في الدعوة الإسلامية لأن الدعوة إلى الله أمرها عظيم، وشأنها كبير، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين.

ولقد كنت في أوقات متفاوتة، أقف الوقفات الطويلة، أمام سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، منذ بدأ الدعوة إلى الله، وكيف كان يعالج قومه، ويستعمل كل أسلوب ممكن لدعوتهم للإسلام، وكيف تحمل من أذاهم ما تنوء الجبال الرواسي عن تحمله، رجاء أن يؤمنوا، وأملا في أن يشرح الله صدورهم للإسلام، وليـنقادوا لما جاءهم به من الهدى، وكلما

ازدادوا في الاعراض، وأصروا على الإنكار، ازداد حرصاً على طلب هدايتهم، ورغبة في دعوتهم للإسلام، وكنت لا أملك عندما يأخذ مني العجب مآخذه من موقف الرسول صلى الله عليه وسلم هذا إلا أن أردد قول الحق جل وعلا :

«لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (سورة التوبة ١٢٨). وكان مما يزيد إعجابي أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد استطاع وفي فترة زمنية وجيزة، وبنور من الله، وعلى هدى منه، تحويل الحفاة، رعاة الشاء إلى أمة رائدة هادية، يقتضي الناس أثرها، ويترسمون خطاها.

سبب اختيار الموضوع، وأهميته :

ولما منّ الله عليّ بالتخرج من المعهد العالي للدعوة الإسلامية، وأخذت أبحث عن موضوع لرسالتي، اتجه تفكيري إلى موضوعات تتصل بالدعوة، يمكنني بها الإستزادة في معرفة جوانب متعددة عن تلك الدعوة المباركة، التي عملت عملها في النفوس، ولايزال شذاها فواحاً يهب بنسائمه العطرة على القلوب، فتستريح لمنهاجه العظيم، وأسلوبه الفريد، فكان أن وفقني الله لاختيار هذا الموضوع الهام، الشديد الصلة بالدعوة، وهو :ـ

(أسباب نجاح الدعوة الاسلامية)

ولما كان هذا الموضوع واسعاً لايمكن الالمام به وحصره في رسالة واحدة رأيت الاقتصار في بحثي على أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لأمور :ـ

أولها : إن هذه الفترة تحتوي على الأسباب الرئيسية في نجاح الدعوة الإسلامية.

ثانيها : إن ذلك الواقع الذي واجهه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتمخضت عنه بعض تلك الأسباب هو الواقع الذي تعيشه البشرية اليوم، مع اختلاف يسير في الأشكال والصور اقتضته طبيعة اختلاف الزمان، وتجدد الحوادث.

ثالثها : ان تلك الفترة هي فترة تنزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كانت فترة اتصال السماء بالأرض.

وقد كان القرآن الكريم ينزل حسب الحوادث في تجددها، ووفق مقتضيات التشريع الإلهي .

لاشك أن لهذا الأمر أثره في معالجة الأمور، وإيجاد الحلول المثلى المطلوبة لكل قضية، وفق مراد الله تعالى، وحسبما تقضيه طبيعة البشر ومصلحتهم حيث أن هذا التشريع جاء لصالحهم، ووفق فطرهم فطرة الله التي فطر الناس عليها، مما يساعد في نجاح الدعوة، ونشر الإسلام.

ولذلك كان عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كالمرآة للمسلمين ينظرون بواسطتها لما حولهم من الأشياء، وما يوجد بساحتهم من القضايا أياً كانت.

فيسيرون بها على ضوء ماكان في ذلك العصر كما هي الحال في قضية التدرج في التشريع، والترتيب الزمني لقبول أحكام الإسلام وتشريعاته وما سوى ذلك مما سهل على الناس قبوله، وامتثال منهاجه.

ومن ثم الدخول في دين الله أفواجاً ، عن طوع واختيار، وبلا جبر وإكراه قال تعالى :

« لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ » (سورة البقرة :٢٥٦)

رابعها : إن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم هم القدوة الحسنة للمسلمين في دعوتهم، وقد بلغوا بالدعوة الإسلامية أعلى مراتب الكمال والنجاح، وأصبح عصرهم عصراً ذهبياً للدعوة،

ولن ينتصر المسلمون، وتنجح دعوتهم في أي عصر إلا بالسير على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه في ذلك.

ونظراً لشدة حاجة البشرية اليوم في كل مكان إلى الدعوة الإسلامية، لما أصاب الإنسانية من زيغ وضلال، وبعد عن الحق، ولما أصبحت الماديات والشهوات هي المسيطرة، وتفككت بذلك المجتمعات، وعجزت الحضارة المادية الحالية ببهارجها الزائفة عن حل مشكلات الإنسانية، وعادت الجاهلية الأولى ــ كما كانت بل أشد ــ إلا من النزر اليسير من المؤمنين القابضين على دينهم.

فأصيبت الحياة البشرية بالخلل والفوضى الدينية، وحل بها الاضطراب السياسي، والمنازعات الاقليمية والعرقية، ومنيت بالتفكك الاجتماعي، فأصبحت الحياة كلها على شفا جرف هار، لاينقذها منه، ويخرج البشرية من هذه المتاهات التي تتخبط فيها، إلا العودة للدين الاسلامي الحنيف، والإمتثال لأمر هذه الدعوة الإلهية المباركة.

وإذا كانت البشرية اليوم تواجه هذا الواقع المظلم، بسبب البعد عن طريق الحق والصواب، فإن واجب المسلمين كبير، ومسؤوليتهم عظيمة، في مواجهة ذلك، بعد أن ندبهم المولى عز وجل إلى هذا الأمر العظيم، بما خصهم به دون سواهم من البشر، من تكليف بهذا الأمر الجليل، بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى :

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ » (سورة آل عمران : ١١٠).

وبالقدر الذي تكون فيه البشرية بحاجة إلى دعوة الإسلام، فالدعوة بحاجة إلى دعاة مخلصين، يترسمون خطا السلف الصالح من دعاة الإسلام،

وأن من أول مايجب على الدعاة عمله، معرفة الضعف والضياع الذي أصاب المسلمين اليوم واصلاحه، و بعد تقويم أنفسهم ومجتمعاتهم يدعون غيرهم إلى هذا الدين، لأن المسلم هو المرآة التي يرى منها غيرة الإسلام، والمسلمون إذا لم يصلحوا أنفسهم، و يدعوا مجتمعاتهم، فكيف يصلحون غيرهم؟ أو يدعون من سواهم للإسلام؟ وفاقد الشيء لايعطيه، وقبل هذا وذاك يجب على المسلمين ـــ وخاصة الدعاة ـــ معرفة حقيقة دعوتهم التي يدعون بها وإليها.

وأن مما يجب معرفته عن هذه الدعوة، الأسباب والعوامل التي بموجبها يمكن لدعوة الإسلام، أن تحقق النصر والنجاح.

فكان أن اخترت هذا الموضوع، وقمت بهذا الجهد المتواضع لبيان الأسباب التي نجحت بموجبها الدعوة الإسلامية، حتى بلغت الآفاق على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان . وهي الأسباب التي لابد أن نأخذ بها الآن إذا ما أردنا للدعوة الإسلامية النجاح، وفهم المسلمون الواجب الملقى عليهم، وقبلوا هذه الدعوة، وطبقوا مناهجها في حياتهم، وقد حرصت في دراستي هذه على اتباع الدراسة المقارنة بين عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعصرنا الحاضر، وكذلك المقارنة بين دعوة الإسلام والدعوات الأخرى في الموضوعات التي يتسع المجال لها.

وسوف يجد القارىء الكريم إيضاح ذلك في مواضعه من هذا البحث إن شاء الله.

ولذلك اخترت أن يكون عنوان الكتاب :



وعملي في البحث كما يلي : ـ

إنني بعد قراءة الكثير من المراجع، واستشارة كثير من أساتذتي، وبالاستفادة بما لديهم من خبرة ومعرفة، فقد قسمت الكتاب إلى : ـ

مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة.

أما المقــدمة :

ففيها بيان أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وفيها تعريف بالرسالة، وبيان لمنهجي في البحث.

أما التمهيد :

فعنوانه :(الدعوة الإسلامية)

وتحدثت فيه عن بداية الصراع بين الحق والباطل، ودعوة الحق، وتعريف الدعوة، كما تحدثت عن ضرورة الدعوة، وحكم تبليغها، وأبنت موضوع الدعوة وخصائصها، ومن هو الداعية وما واجباته؟

أما الباب الأول :

فعنوانه : العوامل الخارجية لنجاح الدعوة.

وقد قسمته إلى فصلين : ـ

الفصل الأول : حاجة العالم للدعوة

وتحدثت فيه عن حاجة العالم قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم للدعوة الإسلامية، بعد أن أصيبت الحياة بالخلل الديني والسياسي

والاجتماعي، بما فيهم أهل الديانات السماوية السابقة، وخصصت فيه مبحثاً عما أصاب العرب خاصة من جهل وضلال وشرك، بسبب بعدهم عن عصر النبوات والصلاح.

الفصل الثاني : التمهيد الرباني للدعوة

تحدثت في هذا الفصل عن الارهاصات، والدلالات الربانية التي أجراها المولى ــ عز وجل ــ في حياة الناس والكون، للدلالة عن صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وثبوت دعوته، وعمومها لكل الناس، وأنه صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وأفضلهم، وأن دعوته آخر الدعوات وأكملها، ومنها : ماكان بشائر سابقة رافقت مولده المبارك أوسبقته، أو وقعت بعد مولده وقبل مبعثه.

إضافة إلى الدلالات الأخرى، مثل حكمة اختيار مكة وقريش منطلقاً للدعوة، وحادث الفيل وأثر كل ذلك في نجاح الدعوة، بعد أن تعلق العرب عامة ببيت الله الحرام، وبعد أن تأكدت فيهم مكانته، كما أقروا لسكان مكة من قريش بالفضل والسبق على من سواهم من العرب.

فكان كل ذلك من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية بعد، كما هو موضح في موضعه.

أما الباب الثاني :

فعنوانه : العوامل الداخلية لنجاح الدعوة. وقد قسمته إلى فصول ثلاثة:

الفصل الأول : العوامل الذاتية في الدعوة

تحدثت فيه عن الأسباب والعوامل المرتبطة بالدعوة من حيث ذاتها (المبادىء والأحكام والأصول) وذلك لما امتازت من كونها : دعوة ربانية، ودعوة الحق والفطرة، ودعوة عامة شاملة، تقوم على الجهاد.

وكل فقرة منها بسطتها في مبحث مستقل، وعرضتها عرضاً مناسباً، وسقت أدلتها، وناقشتها مناقشة وافية، أبانت كيف كانت تلك الخصائص عاملا من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية.

الفصل الثاني : القرآن الكريم المعجزة الكبرى للدعوة :

تحدثت في هذا الفصل عن القرآن الكريم، وأثره في نجاح الدعوة، من ناحية الاعجاز القرآني، وثبوت القواعد والأصول، والتدرج مع ظروف الأمة في أحكامه وتشريعاته، وأثر كل ذلك في قبول القرآن والامتثال لمنهجه وتطبيقه، وأثر كل هذا في نجاح الدعوة.

الفصل الثالث : العوامل الذاتية في الدعاة :

ونظراً لأن دعاة الإسلام، وفي مقدمتهم إمام الأنبياء، وأفضل الدعاة صلى الله عليه وسلم لهم أعظم الآثار في نجاح الدعوة الإسلامية، لتطبيقهم الإسلام، في كل شئون حياتهم، فقد أفردت هذا الفصل للحديث عن العوامل الذاتية في الدعاة، وهذا الفصل يحوي ثلاثة مباحث : —

المبحث الأول : عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلقه، وأثر ذلك في نجاح الدعوة، بعد أن أقام صلى الله عليه وسلم من سجاياه، وتصرفاته أدلة صادقة لا يرقى إليها الشك على صحة دعواه وصدق نبوته.

المبحث الثاني : حكمته وحسن إعداده وتخطيطه للدعوة، واستفادته من طاقات أتباعه، وماكان يتحلى به من صبر وصفح، مما كفل للدعوة الظفر والنجاح.

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً ونساء، الذين رباهم صلى الله عليه وسلم، وأثر تضحياتهم الهائلة وجهادهم المنقطع النظير في نجاح دعوة الإسلام، وأبنت كيف أن واجب

المسلمين اليوم، السير على خطاهم، وإقتفاء آثارهم، إذا ما أرادوا للدعوة الإسلامية النجاح.

وقد راعيت في تقسيم أبواب الرسالة التسلسل الزمني لأسباب نجاح الدعوة، حيث أن المقصود بالأسباب الخارجية (الباب الأول) تلك الأسباب والعوامل التي سبقت الدعوة، ومهدت لها. وبالأسباب الداخلية (الباب الثاني) الأسباب والعوامل التي رافقت الدعوة، ولاصقتها، ومازالت ضرورة لنجاحها.

أما الخاتمة :

فقد وضحت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي في هذه الرسالة، وختمت ذلك كله بفهارس الرسالة المتعددة.

منهجي في البحث :

هذا وفي عملي في البحث، اعتبرت الأمور التالية :

أولا : أن هذا الموضوع من الموضوعات الإسلامية المتشعبة والواسعة، والخوض فيه يحتاج إلى جهد كبير، ومقدرة على البحث، وسيطرة على القلم، بحيث لايخرج عن الموضوع الأصلي، نظراً لكثرة ماكتب في موضوعات الدعوة، ولما كانت ظروف البحث لا تمكن من كتابة كل ذلك، فكنت دائما آخذ الأهم وأترك المهم عندما أجد الموضوع متشعباً وقد يأخذ حيزاً كبيراً من الرسالة.

ثانياً : اعتمدت الدليل، وقوته في ترجيح الآراء، ولقد كنت أترك الآراء المرجوحه، ولا أكتبها في بحثي، نظراً لعدم اتساع الرسالة لذلك، خاصة إذا علمنا أن الذين كتبوا في هذه الموضوعات كثيرون، تختلف ميولهم ومشاربهم، كما تجنبت الخلافات الفقهية، والردود العقائدية، لعدم اتساع المجال لها.

ثالثاً : رقمت الآيات القرآنية، وخرجت الأحاديث النبوية، والآثار الأخرى التي وردت في كلامي، أو في كلام من نقلت عنهم.

رابعاً : حرصت على توضيح عملي في الرسالة، فترجمت للأعلام، وشرحت الألفاظ اللغوية، وبينت الاصطلاحات التي مرت بي أثناء البحث. وضبطت ما يحتاج إلى ضبط من الألفاظ.

خامساً : عملت فهارس تفصيلة للايات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والمصادر والمراجع، وأخيراً الموضوعات.

وبعد : فهذا هو بحثي، وتلك طاقتي، وقد بذلت غاية الوسع ومنتهى الجهد، فأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، فإن أصبت فمن الله، وأن تكن الأخرى فمن نفسي واستغفر الله تعالى وحسبي أن هذا العمل إستجابة لرغبات كانت تعالج نفسى منذ زمن بعيد وأني مجتهد، أرجو الأجر، وأتحرى الصواب «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » (سورة هود ﴿٨٨﴾).

شكر وتقدير :

وفي الختام فإنني أتقدم بالشكر الجزيل، وعظيم الوفاء والامتنان، لكل من أعانني في هذا العمل، وخاصة الأستاذ الدكتور /عبدالستار فتح الله سعيد، المشرف على الرسالة، والذي أمدني بكثير من النصائح العلمية، التي أعانتني على إخراج هذه الرسالة فالله يجزيه عني خير الجزاء.

كما أشكر المسؤولين في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض وعلى رأسهم المدير، ووكيله على مايبذلونه من جهد في خدمة الإسلام، والعلم وطلابه، والمسؤولين في المكتبات التي كنت أرتادها، حيث وجدت منهم كل مساعدة ومعاونة.

وختاماً أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ماتقوم به من جهود عظيمة، في مجال الدعوة، وخدمة الإسلام والمسلمين، ونشر العلم في كل مكان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وآله وأصحابه

ومن دعا بدعوته، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

تمهيد

(الدعوة الإسلامية)

ويشمل الآتي :

١ ـ صراع الحق والباطل.

٢ ـ دعوة الحق.

٣ ـ تعريف الدعوة.

٤ ـ ضرورة الدعوة.

٥ ـ حكم تبليغ الدعوة.

٦ ـ موضوع الدعوة وأركانها، وأصولها وأنواعها.

٧ ـ الدعوة ومايرادفها.

٨ ـ خصائص الدعوة وأساليبها.

٩ ـ الداعية وواجباته.



١ ــ صراع الحق والباطل

لقد كان من حكمة الله تعالى أن جعل الحق والباطل، كما جعل الخير والشر، لأن الشيء بضده يتميز، وتعرف قيمته، وتدرك أهميته. لذلك كان الصراع بين الحق والباطل، سنة من سنن الله تعالى، التي اقتضتها حكمته لهذا الوجود.

والصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان، حيث كان منذ خلق الله آدم، وكرّمه بأمر الملائكة أن يسجدوا له، وامتناع ابليس عن امتثال أمر ربه، استكباراً منه وعلوا، كما دل على ذلك القرآن الكريم في عدة مواضع.

ثم لما أهبط الله آدم وزوجه إلى الأرض استمرت على ظهرها العداوة بينهما وبين الشيطان.

ثم لما تناسل آدم وحواء، وخرجت منهما ذرية اندلع فيها العداء، وأخذ بنو آدم يتصارعون فيما بينهم : من أجل الحياة، ومن أجل البقاء، ومن أجل العقيدة، ومن أجل السيطرة.....إلخ.

فقتل قابيل أخاه هابيل حقداً وعدوانا، واستمر الصراع بين الحق والباطل في كل العصور والأزمنة.

٢ ــ دعوة الحق :

ومهما كان الأمر فالحق دائماً هو المنتصر، وإن كان للباطل صولة فللحق صولات وجولات، والنصر دائماً مع أهل الحق، ورجال الخير، وجحافل الهداية.

قال تعالى : « إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ » (سورة غافر : ٥١).

ومع ذلك فالحق لا ينتصر بذاته، ولا ينتشر بقوته فقط، فكان

من حكمته تعالى أن جعل الحق بحاجة إلى قوة تحميه، وتذود عنه، وتكفل له الذيوع والانتشار، وتبين حقيقته للناس، وتكشف باطن أعدائه؛ من أهل الشر، ودعاة الضلال والهدم، كما أن في ذلك ابتلاء لأهل الخير، وجند الحق، وتمحيصاً لهم، مصداقاً لقوله تعالى

« إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ »(سورة آل عمران ﴿١٤١﴾) والدين الاسلامي هو الحق.

قال تعالى : «وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ »(سورة الرعد ﴿١﴾).

لابد من الدعوة إليه، ونشره بين الناس، وتلك الدعوة لابد لها من رجال يقومون بها، و ينبرون لنشرها و بيانها، والذود عنها، والدفاع دونها لأنها دعوة للحق والخير، فكان لابد لها من الدعم المتواصل، وتنويع السبل، واختيار الوسائل المطلوبة، والطرق الممكنة، والأساليب المتاحة للاقتناع، وفي مقدمة ذلك ضرورة التزام العمل، والقدوة من جانب المسلمين عموماً، وخاصة رجال الدعوة ودعاتها، بعد أن أرشدنا إلى ذلك القرآن الكريم في عدة آيات، كقوله تعالى :

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » (سورة فصلت ﴿٣٣﴾).

فالآية تضمنت أهم قاعدتين من قواعد وسائل الدعوة : القول الحسن، والعمل الصالح.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم،

والتابعون لهم بإحسان من جند (دعوة الحق) طبقوا منهج القرآن الكريم، وأسلوبه العلمي تطبيقاً تاماً، فكان لهم ماأرادوا من نجاح الدعوة، وتحقيق مرادهم بنشر الإسلام.

وواجب المسلمين اليوم السير على ذلك النهج في دعوة الناس إلى دعوة الحق، والاستفادة من كل الوسائل المتاحة لهم التي تساعد في نشر الدعوة ونجاحها. حتى تحقق البشرية كلها الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

٣ ــ تعريف الدعوة :

الدعوة : لغة تطلق على المناداة والطلب، فهى من الدعاء، وهو النداء والصيحة والحث على قصده، أى قصد المنادى والطالب[١] .

قال تعالى :

« قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ »(سورة يوسف : ٣٣). وقال تعالى :

« وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ » (سورة يونس ٢٥).

جاء في أساس البلاغة «دعوت فلاناً، ناديته وصحت به، والنبى داعي الله، وهم دعاة حق، ودعاة الباطل، ودعاة الضلالة»[٢]

فالدعوة بهذا المعنى اللغوى تفيد المحاولات القولية والفعلية، والسعي إلى تحقيق هدف بعينه، قد يحتاج الأمر معه إلى جهد وإلحاح.

---

(١) انظر : لسان العرب جـ ٤ مادة دعو.

(٢) أساس البلاغة جـ ١ ص ١٨٩ مادة دعو.

وأما اصطلاحاً : فقد عرف العلماء (الدعوة الإسلامية) بعدة تعريفات منها :

١ ــ قال ابن الأثير عند ذكره لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه لهرقل «أدعوك بدعاية الإسلام» [١] أي دعوته، وهى كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة [٢] .

٢ ــ إن الدعوة «صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم، أو مصلحة تنفعهم،

وهى أيضاً ندبه لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو مصيبة كادت تحدق بهم» [٣] .

٣ ــ وقيل الدعوة هي : «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [٤] .

وهناك تعريفات أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

وهذه التعريفات لا تخلو من نقد وملاحظة منها :ــ

أولا : الطول في اللفظ ــ كما هو التعريف الثانى ــ والمطلوب كون التعريف موجزاً دالاً على القصد بقدر المستطاع، وبحيث يكون التعريف جامعاً مانعاً أيضاً.

ثانيا : عدم التفريق بين الدعوة والحسبة ــ كما في التعريف الثالث ــ لأن الحسبة جزء من الدعوة العامة، وعدم تفريقهم بين التبليغ الذى هو المقصود بالدعوة، وبين الإسلام من حيث المبادىء، والأحكام التي تبلغ عن طريق الدعوة كما في التعريف الأول.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري في (باب بدء الوحي) جـ ١ ص ٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، الطبعة الأولى جـ٢ ص١٢٢.

(٣) تاريخ الدعوة لمؤلفه : آدم عبد الله، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ص١٧.

(٤) الدعوة فريضة شرعية للدكتور/ صادق أمين ص٣٩.

والتعريف المنضبط للدعوة الإسلامية أن يقال الدعوة :

«هي الإسلام من حيث المبادىء، والقيام بنشره وجذب الناس إليه بالوسيلة المناسبه».

ومن هذا التعريف للدعوة يفهم أن المقصود في عنوان الرسالة بأسباب نجاحها من حيث المبادىء وهو الإسلام، ومن حيث الوسائل والأساليب.

٤ ـ ضرورة الدعوة :

سبق الحديث عن بداية الصراع بين الحق والباطل، منذ وجد الانسان على ظهر الأرض، وحاجة البشر إلى من ينقذهم من الضلالة، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، ويدلهم طريق الهداية، فكان أن بعث الله أنبياءه ورسله تترى لهذا الغرض، من لدن نوح، إلى آخرهم محمد (عليهم الصلاة والسلام) وكان هؤلاء الرسل الكرام يواجهون ذلك الصراع الرهيب بين ما جاءوا به من الحق، وبين الباطل وأعوانه ممن أغواهم الشيطان، وكانوا صابرين على الحق، متحملين الأذى، واقفين في وجه الصراع الذى يعتبر امتداداً لصراع آدم مع الشيطان.

وعندما بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بدعوة الأنبياء خاتماً لهم بالدين الإسلامى، وأنزل عليه آخر كتبه.

جاء القرآن الكريم كتاب دعوة، حاملاً بين دفتيه ما يتعلق بها من حيث موضوعها وهو الإسلام ونشره، وما يختص بالتبليغ من وسائل وأساليب فقد جمع القرآن الكريم بين(مبادىء الإسلام) من عقائد وعبادات ومعاملات، كما تضمن(أساليب ووسائل) تبليغ الدعوة القولية والعملية.

فالقرآن الكريم يأمر بالدعوة، ويرغب فيها بآكد الأساليب، مما

يدل على أن الله تعالى أوجب على هذه الأمة الدعوة إلى دين الله، وهو الإسلام وقد تضمن القرآن الكريم عدداً من الآيات الدالة على ذلك مثل قوله تعالى :

« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (سورة آل عمران ١٠٤).

وقوله تعالى : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» (سورة آل عمران ١١٠).

فقد جعل الله تعالى لهذه الأمة شرف القيام بالدعوة إلى الله، وفرض عليهم تبليغ الإسلام للعالمين في كل زمان ومكان، لأن دعوة الإسلام شاملة للعالمين جميعاً، ورحمة لهم.

قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (سورة الأنبياء : ١٠٧) وعلاوة على ما ورد في القرآن من التكليف بالدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن حاجة البشر إلى الشريعة، ودعوتهم اليها ضرورة فطرية واجتماعية، لاغنى عنها، لكون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من لوازم وجود المجتمعات الإنسانية، فضلاً عن أنه الحد الفارق بين الإيمان والكفر، كمايقول ابن تيمية[1]

وحاجة البشر إلى الدعوة، وأمرهم بالمعروف كحاجتهم إلى الطعام والشراب والدواء، حيث لاغنى لأحد من البشر عن الدعوة والشريعة، كما لايستطيع الاستغناء عن الطعام والشراب والهواء كما

---

(١) انظر : الحسبة في الإسلام ص١٨٣.

يقول ابن قيم الجوزية[1]، ويقول في موضع آخر عن فضل الدعوة إلى الله، والحاجة إليها، ومكانة الدعاة عندالله تعالى:

«اضافة الدعاة إلى الله للاختصاص، أي الدعاة المخصصون به الذين يدعون إلى دينه، وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء خواص خلق الله، وأفضلهم عنده منزلة، وأفضلهم قدراً لأن مقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد»[2]

ومن ثم كانت الدعوة إلى الله وظيفة الرسل عليهم السلام.

٥ ـ حكم تبليغ الدعوة:

الأصل في حكم تبليغ الدعوة وجوب ذلك على كل مسلم ومسلمة لورود الأمر في القرآن الكريم بالحث على الدعوة إلى الله، أى دينه، والحث على عبادته وحده، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الله تعالى امتدح هذه الأمة وشرفها عن غيرها من الأمم، بالقيام بهذا الأمر العظيم.

قال تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ »(سورة آل عمران ١١٠).

وندبهم تعالى إلى هذا العمل الجليل في قوله:

« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (سورة آل عمران ١٠٤).

فأصل وجوب ذلك على العموم الا أنه اختص به العلماء، ورجال

---

(١) مفتاح دار السعادة: جـ٢ ص٢.

(٢) مفتاح دار السعادة: جـ١ ص١٥٣.

الدعوة، لمعرفتهم بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه، نظراً لسعة علمهم به، ومعرفتهم لجزئياته [1].

ويرى ابن تيمية[2] رحمه الله أن الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية لقوله تعالى:

«وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (سورة آل عمران ١٠٤).

فقد أوجب الله ذلك على الكفاية إذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر حسب قدرته [3].

٦ ـ موضوع الدعوة وأركانها وأصولها:

أ ـ موضوع الدعوة:

إن موضوع الدعوة، هو الإسلام أي تبليغه، وبيانه للناس، واخراجهم من عبادة ما سوى الله إلى عبادة الله وحده.

ويقتضي ذلك من العباد الإستسلام لسلطان الله، وتحكيم منهجه وشرعه فيهم، وأن تكون السلطة فيهم لمناهج الله، وأوامره ونواهيه، حتى تحقق لدعوة الإسلام، ودين الحق السيادة والريادة، ويعبد الله في أرضه وفق مراده تعالى.

ب ـ أركان الدعوة:

لدعوة الإسلام أركان أربعة:

الأول: موضوع الدعوة وهو الإسلام أي: المدعو إليه.

الثاني: الداعي وهو من يقوم بمهمة الدعوة إلى الله.

---

(١) انظر أصول الدعوة ص٣٠٠.

(٢) ابن تيمية: هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ولد بحران سنة ٦٦١هـ وتوفي بدمشق معتقلاً سنة ٧٢٨هـ. كان آية في التفسير والأصول أفتى ودرس وهو دون العشرين جاهد في سبيل الاسلام ودعوته، فأوذ ى وامتحن في ذلك. انظر (الأعلام جـ١ ص١٤٤).

(٣) الحسبة في الإسلام ص١١٦.

الثالث : المدعو وهو من توجه له الدعوة.
الرابع : أساليب الدعوة ووسائلها.
وهناك من يعتبر أركان الدعوة : العقيدة والشريعة والأخلاق [1]، وهذا التحديد لأركان الدعوة لا يستقيم عندما ننظر لمعنى الركن لغوياً [2].

جـ ـ أصول الدعوة وانواعها :
أما أصول الدعوة فهي : العقيدة، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات.
أما أنواع الدعوة فتتلخص في أنواع ثلاثة :
أولا : دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم.
ثانيا : دعوة المسلمين بعضهم بعضا امه الخير. ويكون ذلك من خواص الامة العارفون بذلك.
ثالثاً ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ولكل نوع منها دليله من القرآن الكريم.
مما يرادف الدعوة الدعاية : حيث وردت في رسائل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، كما جاء في كتابه عليه السلام إلى هرقل عظيم الروم.
الوارد في الصحيحين ـ : أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام [3] «أى بدعوته».
وعلى الرغم مما يقصد بالدعاية اليوم من ترويج للباطل، ونشر للفساد عن طريق قلب الحقائق والمعانى فإن الدعاية تظل على

---

(١) انظر الدعوة الإسلامية د/ أحمد غلوش ١٤.
(٢) لأن الركن هو : جانب الشيء الأقوى، والذي لايتم ماهية الشيء إلا به.
(٣) رواه البخاري جـ١ ص٩ (باب كيف بدأ الوحي).
رواه مسلم جـ ٣ ص١٣٩٦ (كتاب الجهاد ـ باب كتاب النبي إلى هرقل).

المعنى الأصلى الذى أراده الإسلام من نشر الحق، ودفع الباطل، واستغلال غيرنا لها في تلك الصور الباطلة لايمنع المسلمين من استغلالها في الحق.

ومما يرادف الدعوة أيضا بفروق يسيرة :

١ ــ الوعظ : وهو التخويف والتذكير بالخير الذى يرقق القلب ويلينه[١] .

٢ ــ الارشاد : هو هداية الناس للخير، بمجانبة الغي، ودلهم إلى الصراط المستقيم[٢] .

٣ ــ البشاره : هى الأخبار بما يدخل الفرح والسرور في الصدر[٣] .

٤ ــ الحسبه : هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٤] .

٨ ــ خصائص الدعوة وأساليبها :

أ ــ الخصائص :

من فضل الله تعالى، أن خص الدعوة الإسلامية بخصائص، تنفرد بها عن غيرها، وتميزها عن الدعوات الأخرى، خاصة الدعوات الوضعية.

فمن خصائصها :ــ

كونها دعوة ربانية، ودعوة الحق والفطرة، وموافقتها للعقل السليم، وكونها دعوة عالمية، شاملة لكل البشر في كل الأزمنه والأمكنة.

وقد كانت تلك الخصائص من أسباب نجاح الدعوة، وعوامل انتشارها ــ كما سيأتى ان شاء الله ــ كما أن تلك الخصائص من

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ٦ ص١٢٦.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر الطبعة الأولى جـ٢ ص٢٢٥.

(٣) اقال ابن فارس : فالبشاره بالخير والنذاره بغيره.

(٤) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي؛ طباعة دار المعرفة ببيروت جـ٢ ص٣١٢.

الأساليب والوسائل التى تخدم الدعاة، وبخاصة في هذا العصر، الذى تقدم في العلم والصناعة، متى مااستفادوا من تلك الخصائص في دعوتهم.

ب ــ أساليبها :

لقد يسر الله تعالى عمل دعاة الإسلام، حينما جعل الدعوة إلى الله متلائمة مع الفطرة، في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الدعوة، بما فيها أساليب الدعوة الكثيرة التي نص القرآن الكريم على أصولها، وأرسى قواعدها في مثل قوله تعالى : « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ »(سورة النحل ١٢٥). :

وقوله تعالى : « قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »(سورة يوسف ١٠٨)

وقوله تعالى : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ »(سورة فصلت ٣٣).

فعلى دعاة الإسلام استخدام كل وسيلة ممكنة، متاحة في كل عصر، وفي أى مكان، يمكن بها الوصول إلى الهدف، في بيان الإسلام للناس، ونشره بينهم، وارشادهم إليه (كما سيأتى ان شاء الله)

٩ ــ **الداعية وواجباته :**

الداعية هو : من يمارس الدعوة إلى الله.

ويلزم الداعية عدة صفات منها :ــ

قوة الصلة بالله وكتابه، وأن يكون مصلحاً لنفسه، فاهما لأمور دينه وما يلزمه من أمور دنياه، شجاعاً مخلصاً لدعوته [1].

---

(١) انظر : كتاب مع الله للشيخ محمد الغزالي ص١٨٧.

أما أبوحامد الغزالي[1] . فيجعل صفات الداعية هي: العلم والورع وحسن الخلق[2] .
بحيث يكون عالماً بالقدر المطلوب لما يأمر به؛ و ينهى عنه على أقل تقدير.

كما يجب على الداعية إلى الله إعداد نفسه، إعداداً مناسباً لتحمل أعباء الدعوة. و يكون ذلك بالاعداد : العلمي والنفسي والثقافي، ليستطيع تحقيق الهدف من دعوته للإسلام على بصيرة، مصداقاً لقوله تعالى :

« قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »(سورة يوسف ١٠٨).

و يترتب على هذا معرفة الداعية لأحوال من يدعوهم، لأن دعوته لجميع البشر، وليست خاصة بجنس، أو موجهة لفئة من الناس، فقد يكون في فئة المدعوين الجاهل والمثقف، والفاسق والمنافق والعاصي، والقريب والبعيد، والعربي والأعجمي، وكل منهم يحتاج في الدعوة إلى طريقة تخالف غيره، ولذا كان تنوع أساليب الدعوة، وتعددها بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، واستعمال الترغيب تارة والترهيب تارة وغير ذلك من الوسائل والأساليب، نعمة منه تعالى، وفضلا على الدعاة، وعلى المدعوين في نفس الوقت.

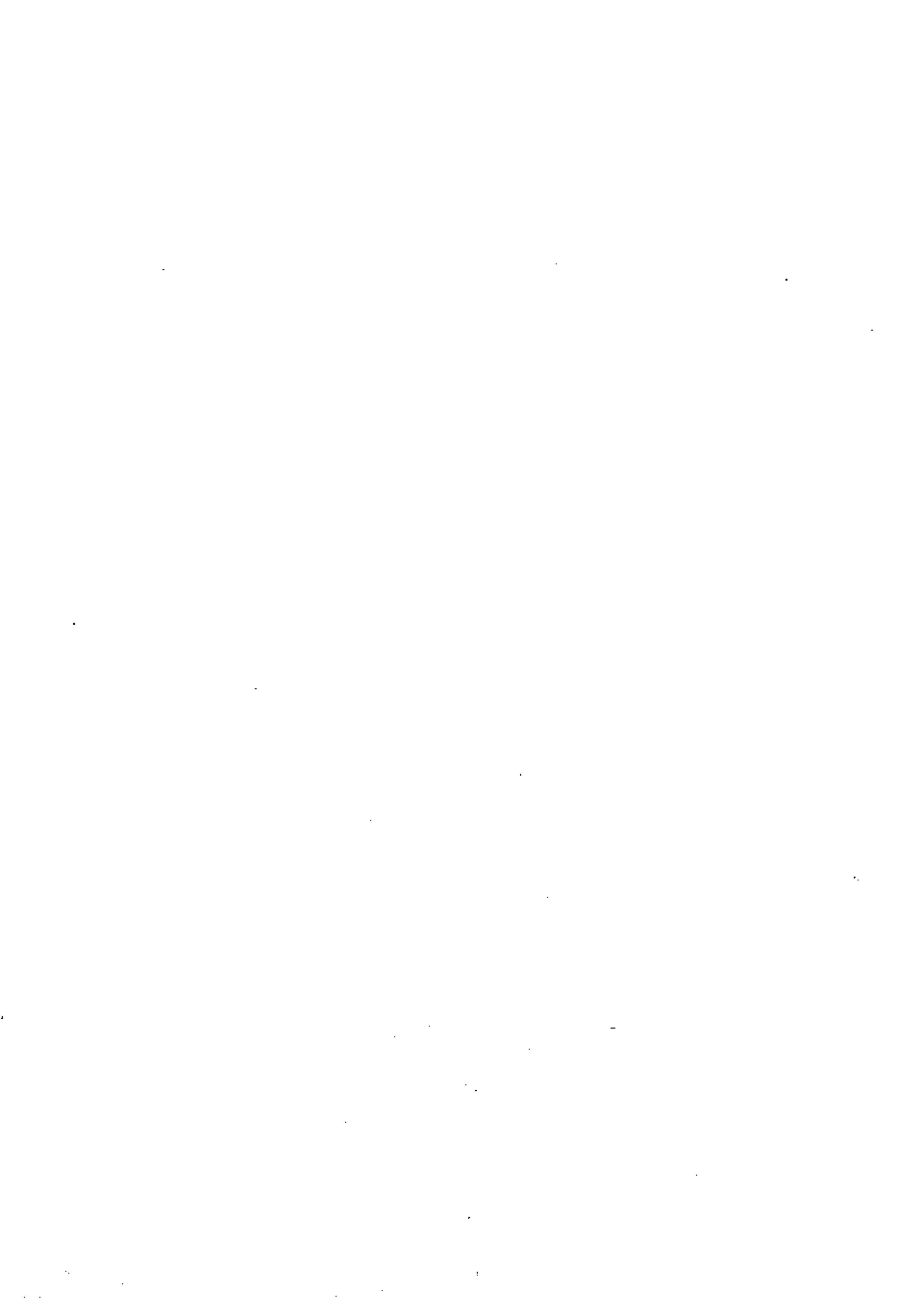
---

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ، كان عالماً مجتهداً زاهداً ورعاً تقياً، كما كان من أذكياء العالم صاحب المصنفات الكثيرة، توفي سنة ٥٠٥هـ.
انظر ترجمته في : مقدمة إحياء علوم الدين جـ١ منشورات دار المعرفة بيروت ــ والبداية والنهاية جـ١٢ ص١٧٢.

(٢) انظر : إحياء علوم الدين جـ١٢ ص١٧٢.

فكان مخاطبة الداعية للناس بقدر عقولهم، ومكانتهم، أمثل الطرق للدعوة ولنا في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسلف الصالح خير دليل.

كما سنبين ذلك بالتفصيل ان شاء الله



الباب الأول

العوامل الخارجية لنجاح الدعوة



تمهيـــد

العوامل جمع عامل ونعني بها الأسباب والمؤثرات التي ادت مجتمعة إلى نجاح هذه الدعوة الإسلامية نجاحاً منقطع النظير، عديم المثال في كل أدوار التاريخ البشرى.

والعوامل قسمان :

أولا : عوامل خارجية ترجع إلى أمر خارج عن ذات الدعوة ولكنها هيأت لها أسباب النجاح كحاجة البشرية الماسة للدعوة، وما أجراه تعالى على سنن الكون والحياة من حوادث وخوارق كان تمهيداً لخروج الدعوة، وتدليلاً على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم.

ثانيا : عوامل داخلية وهى التي ترجع إلى ذات الدعوة ومبادئها وكتابها وأحكامها وشرائعها وخصائصها.

والحقت بذلك عوامل أخرى خارجة عن ذات الدعوة وأعني بها شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ونوعية الرجال الذين آمنوا به ورباهم، إلا أن هذه العوامل الأخيرة وان كانت خارجة عن ذات الدعوة فهى استجابة لها، ونتيجة حتمية لها لذلك جعلت هذه العوامل فصلاً مدرجاً في الباب الثاني وهى العوامل الداخلية.

وحيث سبق أن أشرت في تعريفي للدعوة أنها تشمل الإسلام وهو مبادىء الدعوة وقواعدها وموضوعها، وكذلك التبليغ ووسائله وأساليبه ونظراً للتكامل والتلازم بين المبادىء والأساليب والوسائل فقد أدرجت العوامل مع بعضها ولم أفرق بينها لأنها مجتمعة ومتلازمة، وبعضها يخدم بعضا و يتأثر به ولا ينفك عنه.



الفصل الأول
حاجة العالم للدعوة

مر بنا في الحديث عن الدعوة كيف أنها ضرورة بشرية، لكون البشر بحاجة إلى عقيدة تربيهم، وشريعة تحفظ وجودهم، لأن المخلوق البشري مهما بلغ من الرقي والذكاء عاجز عن معرفة ما ينفعه، واجتناب مايضره دائماً، فكان في أمس الحاجة إلى الدين الذي يصله بخالقه، و يتبين بواسطته طريق الخير والصلاح فيتبعه، وطريق الشر والفساد فيجتنبه، ولتدوم تلك الصلة والمعرفة لابد من بقاء هذا الدين والمحافظة عليه ونشره، والدعوة إليه.

وعندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانت البشرية قد وصلت إلى حدّ شنيع من التدهور والإنحلال لبعد الناس عن عصر النبوات، ودعوات الإصلاح مما كانت معه البشرية في حاجة ماسة إلى دعوة الإسلام حيث أوجز القرآن الكريم وصف تلك الحقبة الزمنية في آية واحدة تغنيناً عما نحتاج في وصفه إلى أسفار.

قال تعالى : «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »(سورة الروم : ٤١).

فالآية الكريمة تصور مبلغ التدهور الذي هوت إليه الإنسانية كلها؛ من عبدة أوثان ويهود ونصارى، بلا فرق فهي تنطق بتفشي الفساد في العالم بأسره، بعد مرور الزمن على رسالات الرسل، وضعف الاصلاح الذي كان قد تم على أيديهم، والذي ماكاد يمضي الزمن حتى عفا ودرس.

ولهذا حذر الله المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه أولئك من قسوة القلوب، وبعد عن الحق، ومجانبة لأسباب الهداية بسبب طول الأمد.

قال تعالى : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ » (سورة الحديد ١٦).

وما كان ذلك المجتمع الجاهلي الذي واجهه صلى الله عليه وسلم قد عمه الفساد والانهيار إلا بعد ماأصيب بالخلل، والاضطراب الديني، والاجتماعي والسياسي وهو ماسنتحدث عنه في هذا الفصل لتجلية الموضوع، وبيان كيف كان ذلك الخلل والاضطراب عاملا من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية، التي جاءت على أيدى خير البشر، وامام الدعاة صلى الله عليه وسلم.

وسنتناول هذا الموضوع في مبحثين : —

المبحث الأول : حاجة غير العرب للدعوة.

المبحث الثاني : حاجة العرب للدعوة.

المبحث الأول
حاجة غير العرب للدعوة

عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان العالم كله يعيش في وضع بئيس، بعد أن تضافرت عليه ظروف قاسية، أفسدت على الناس عقيدتهم ومجتمعهم، وجميع شأنهم.
فعبدوا غير الله، مما زينت لهم شياطينهم من الأشجار والأحجار والنجوم والشمس والقمر والنيران. وغير ذلك

كما انحطت المجتمعات، وانعدمت العواطف، وفقدت الرحمة، وانفصمت الروابط الأسرية.

كذلك انعدم النظام، وفقدت العدالة، فأكل القوى الضعيف، واستبد الظالم بالمظلوم، واستعبد الغني الفقير.

أمام هذا الاضطراب العقدي، والاجتماعي والسياسي كان العالم في حاجة ملحة إلى دين ينظمه، ودعوة تسلك بالناس طريق الحق والعدل والمساواة، وتحفظ حق الجميع بعد أن عجزت الحضارات المختلفة ـ آنذاك ـ عن حل مشكلات الإنسانية، ووقفت حائرة لا تستطيع أن تقدم نفعاً، ولا أن تسدى خيراً، بل كانت من مثيرات الفساد، حتى عم الضلال كل أرجاء الأرض، وذلك ما أخبر عن أمره المولى عز وجل في قوله تعالى :
« ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » (سورة الروم ﴿٤١﴾).

ولذلك سوف نبين في الصحائف التالية الخلل والاضطراب الديني والاجتماعي والسياسي الذي أصاب العالم، حتى أصبحوا بحاجة لهذه الدعوة

المباركة، وكيف كان ذلك الاضطراب والخلل من أسباب نجاح الدعوة الجديدة.

أ ــ الخلل الديني :

لما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم كان أهل الأرض صنفين :
١ ــ أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى الذين وصفهم القرآن الكريم بالمغضوب عليهم و بالضالين.

٢ ــ الصنف الآخر أقوام لا كتاب لهم[١] .
وإلى هذا التقسيم يشير صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عند مسلم :[٢]
«إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الكتاب فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب»[٣] .
فالناس إذا ذاك أحد رجلين :ــ
اما كتابي معتصم بكتاب مبدل أو منسوخ، واما جاهلي عربي أو

---

(١) انظر : كتاب هداية الحياري لابن قيم الجوزية ص٤٨٢.

(٢) مسلم : هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ سنة ٢٠٤هـ ورحل في طلب العلم، وكتابه ثاني الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة في الحديث، توفي سنة ٢٦١هـ.
انظر : البداية والنهاية جـ١١ ص٣٣ والأعلام جـ٧ ص٢٢١.

(٣) نص صحيح مسلم جـ٤ ص٢٩٧ (باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار). ومعنى حنفاء أي مسلمين، وقيل طاهرين من المعاصي، وقيل مستقيمين منيبين لقبول الهداية.
(اجتالهم) أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه.
(المقت) أشد البغض، والمراد به المقت والنظر قبل البعثة.

أعجمي مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنه ينفع من نجم أو تمثال أو صنم وغير ذلك[1].

حتى أصبح الناس في جاهلية جهلاء، وأضحت الديانات فريسة للعابثين والمتلاعبين من محرفين ومنافقين، وفقدت شكلها وروحها، ولو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها، وأصبحت الدنيا مسرحاً للفوضى والانحلال الديني، وسوء النظام، وعسف الحكام[2].

حتى أضحت الإنسانيه كلها في حالة احتضار، تنتظر قدرها المحتوم يقول كاتب معاصر: «في القرنين الخامس والسادس (الميلادي) كان العالم المتمدن على شفا السقوط في هاوية الفوضى، لأن العقائد التي تعين على اقامة الحضارة قد انهارت، ولم يك ثمة ما يعتد به يقوم مقامها، وكان يبدو وقتئذ أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال.

وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ماكانت عليه من الهمجية؛ إذ القبائل تتحارب وتتناحر، لاقانون ولا نظام أما النظم التي خلفتها المسيحية فكانت تعمل على التفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام.

فكانت المدنيَّة التي تشبه شجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله، واقفة تترنح وقد تسرب اليها العطب حتى اللباب، وبين مظاهر هذا الفساد الشامل، ولد الرجل الذي وحد العالم المعروف جميعه[3] إ. هـ

يعني محمداً صلى الله عليه وسلم الذي جاء بدعوته المباركة، والتي أنقذت البشرية كلها من ذلك الواقع المشين، والظلمات المتراكم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢.

(٢) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ للندوى الطبعه العاشره ص ٢٨

(٣) انظر: كتاب (محمد رسول الله) لمولاي محمد علي ص١٣. نقلاً عن الكاتب الأمريكي (دينفسون).

بعضها فوق بعض، بين يهودية محرفة، موغلة في المادية، ونصرانية أمعنت في دعوى التسامح حتى ضيعت كرامة الانسان، ووثنية عبث الشيطان بقلوب أصحابها.

وسنعرض ــ حسبما يقتضيه المقام ــ إلى بيان شيء من ذلك الخلل:

١ ــ اليهود :

لقد ورد ذكر هذه الأمة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم يشق حصرها وجاء ذكرهم فيه بالتصريح تارة، وبالتلميح تارة أخرى.

وهم رغم كونهم أكثر الأمم أنبياء، وكتابهم التوراة من أول الكتب المنزلة من الله تعالى، فلم يكونوا يوماً من عوامل التوجيه إلى الخير، والهداية النافعة، لينفعوا أنفسهم، و يؤثروا في غيرهم.

نظراً لما تحمله الشخصية اليهودية في أعماقها من خصائص نفسية بالغة التعقيد، ولما تنطوي عليه أخلاقها من العوج والإلتواء، فلذلك تموج صدورهم بحقد طافح على الإنسانية كلها، وتتأجج جوانحهم دائماً بالغل المحتدم، والسعي في الأرض بالفساد، فهم لايرون لأنفسهم راحة أوسعادة الا على أنقاض الآخرين

لذلك عاقبه الله تعالى من قرون طويلة بأن يبعث من يسومهم سوء العذاب، وأن يتعرضوا للاضطهاد والاستبداد والنفي والجلاء، حتى أورثهم ذلك التفرد من بين الأمم في الأرض العبودية الطويلة، والتغالي في القومية، والجشع وشهوة المال والتعالي بالأنساب كذباً وادعاء.

والقرآن الكريم يصفهم وصفاً دقيقاً يصور ماكانوا عليه في القرن السادس (الميلادي) وما قبله من تدهور خلقي، وانحطاط نفسي، وفساد اجتماعي، عزلوا بسببه عن قيادة العالم، وامامة الأمم، حيث

---

(١) انظر : كتاب (معركة الوجود بين القرآن والتلمود) للدكتور عبد الستار سعيد الطبعة الأولى دار النصر للطباعة الاسلامية بالقاهرة ص٢٦.

سجل ذلك القرآن الكريم في عدة مواضع، مثل سورة البقرة إلى مابعد المائة الأولى منها، وأول سورة الاسراء وغيرها.
فالآيات القرآنية الكريمة تصور حال ذلك النوع، وموقفهم من أنبيائهم، وما أرداهم إليه ذلك السلوك المشين من الذل والهوان، مما استوجب معه تجديد دعوة الأنبياء، التي تتابعت تترى من لدن آدم عليه السلام بالدعوة الإسلامية الخاتمة لكل الدعوات والديانات بعد أن اشتدت الحاجة لهذه الدعوة المباركة عند فساد الفكر اليهودى، وانتكاسته عن الفطرة، وبعد أن أصبح يلتزم بكثير من المبادىء المدمرة للانسانية جمعاء، والتي أهمها :ـ

١ ـ الالحاد في العقائد :

ان من أوضح مظاهر الفساد في الفكر اليهودي، وانتكاسته عن طريق الحق والهداية، التحريف في العقائد، والإلحاد فيها، حتى ان المرء ليندهش غاية الدهشة حينما يقرأ شيئاً عن اليهود وعقائدهم وتصوراتهم سواء ما أخبر عنه القرآن الكريم، أو ماورد في كتبهم، كتوراتهم المحرفة، أوتلمودهم المزعوم، ففيها تطاول خطير على الله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، وسائر عقائد الدين[1].
فهم يصفون الله تعالى بصفات تنزل به عن جلاله الاسمى (عز وتنزه) فيصفونه بالقسوة، وانعدام الرحمة، والعداء للشعوب غير اليهودية، ويكفرون بالله تعالى، ويتطاولون عليه سبحانه، الذي يقول عز شأنه عنهم :
« لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ »(سورة آل عمران : ١٨١).
بعد افتراءهم على المولى ــ جل وعلا عن كفرهم ــ حينما قالوا:

---

(١) انظر : كتاب معركة الوجود للدكتور/ فتح الله سعيد الطبعة الأولى ص١٠٩.

«ان الله استراح في اليوم السابع من خلق السموات والأرض»[1]
« وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا »(سورة المائدة ﴿٦٤﴾).

وغير ذلك من مزاعمهم التي تصور الرب في هذه المزاعم السافلة صوراً لا تليق به تعالى، بعد انحراف اليهود عن التوحيد الحق الذي جاء به موسى عليه وعلى رسولنا السلام، وأقاموا دينهم على الشرك والالحاد، حتى كان التوحيد لديهم أشبه مايكون بالشعار فقط[2].
وان قوما يتمردون على الله تعالى بهذه الصفة، ليس مستغرباً تعديهم، وكذبهم على الخلق من البشر، وإن كانوا أفضلهم، وهم الأنبياء، وذلك بالنظر اليهم على أنهم مجرد آباء أو ملوك لبني اسرائيل، وعدم تنزيههم عن النقائص، وتصويرهم على أنهم ليسوا أهلا ليكونوا كذلك، حسبما جاء في توراتهم المحرفة، وأسفارهم المقدسة في زعمهم، حتى اطرد فيهم تكذيب الرسل، وقتلهم اذا جاؤهم بما لا تهوى نفوسهم الضالة المريضة.
يقول تعالى عنهم :-
« أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ »(سورة البقرة ﴿٨٧﴾).
وقال تعالى في الآية الأخرى عن وقاحتهم مع رسلهم :-
« لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ » (سورة المائدة ﴿٧٠﴾).

وفي التوراة التي بأيديهم من التحريف، والكذب على الأنبياء(عليهم السلام) ما لايشك في كذبه من له أدنى عقل وبصيرة، مما لايجوز نسبه للأنبياء من الباطل.

---

(١) هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص٥٨٤.
(٢) انظر : كتاب اليهودية والصهيونية للأستاذ/ أحمد عبد الغفور عطار الطبعة الأولى ص٢٩.

ولم يسلم من كذبهم أى نبي، حتى إبراهيم(أبو الأنبياء) عليهم السلام جميعاً [1].

وعندما كذبوا رسل الله الكرام بتلك الصورة، واستكبروا عليهم، وقتلوهم فلم يسلم من تطاولهم حتى ملائكة الله المكرمين، حيث زعموا أن جبريل عدو لهم.

قال تعالى في الرد على زعمهم هذا :

« قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ »(سورة البقرة ﴿٩٨﴾).

٢ ـ ربط الثواب والعقاب بالدنيا :

من أهم المبادىء التي ينبني عليها الفكر اليهودي، ربطهم الثواب والعقاب بالدنيا دون الآخرة، التي أعرضوا عنها وأنكروها، فكان اهتمامهم بالدنيا، وذلك ناتج عما غرس في قلوبهم من اهتمام بالمادة، وجمع الأموال، وملكيته وسائل الحياة، مما جعلهم يرون ان مايوصلهم لهذه الغاية، أهم من الاشتغال بالآخرة، والاعداد لها.

وقد ترتب على هذا التصور أن لا تتحدث أسفارهم المحرفة عن الثواب والعقاب في الآخرة، فوسعوا أمام الشخص دائرة الأمل في الدنيا، عندما يظهر المسيح، و يعطيهم حقهم [2].

وهذا ناتج عن تحريفهم، وانحراف سلوكهم وعقيدتهم، والا فالقرآن الكريم يدل في أكثر من موضع منه على أن الديانه اليهودية قبل التحريف كانت تقرر البعث، والعقاب والثواب في الآخرة، كما

---

(١) انظر : اليهودية والصهيونية المؤلف/ أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى ص٢٩.

(٢) انظر : مقارنة الأديان (اليهودية) تأليف الدكتور/ أحمد شلبي الطبعة الخامسة جـ١ ص٢٠٢.

هو مشاهد في القرآن الكريم عند الحديث عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وذريته من أنبياء بني اسرائيل كاسحاق و يعقوب وداود وسليمان عليهم السلام.

يقول الدكتور: على عبدالواحد وافي[1].

«كانت الديانة اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار كما ينبىء بذلك القرآن الكريم.

ولكن أسفار العهد القديم ـ وهى المرجع الأصلي للعقيدة اليهودية ـ قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه، وجحيمه على النحو الصحيح، ومن ثم لانجد من فرقهم من يؤمن بالله واليوم الآخر على الوجه المطلوب الذي قرره الإسلام»[2].

٣ ـ ادعاؤهم أنهم شعب الله المختار:

ان من أشد اعتقاداتهم خطرا على الانسانية، تصورهم بأنهم شعب الله المختار، حيث يرون أنفسهم شعباً متميزاً عن غيرهم من الأمم، بعد ماقدم إلههم لإبراهيم عليه السلام وعداً بأن يفضل اليهود على جميع الأجناس!!

والقرآن الكريم يقرر أن الله اختار بني اسرائيل ليقوموا بحمل رسالته في العالم القديم، وفضلهم بذلك على العالمين في زمانهم، ولم يكن هذا الاختيار بسبب العنصر، أو العرق والسلالة الخاصة أو غير ذلك من دعاوي وأباطل الجاهلية البشرية!!

---

(١) علي عبد الواحد وافي مفكر إسلامي مصري معاصر، ولد في أوائل القرن الهجري المنصرم، يعتبر من رواد علم الاجتماع.

تولى تعريب وتدريس الاجتماع بمصر عام ١٩٣٦م. ثم اختير عضواً للمجمع الدولي لعلم الاجتماع بفرنسا، تولى عدة مناصب، منها عمادة كلية الآداب بجامعة أم درمان، ثم مستشاراً بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، ثم رئيساً لقسم الاجتماع بالجامعة، يعمل حالياً أستاذاً بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية بالمدينة.

(تحصلت على هذه الترجمة من مذكراته المعدة لطلاب الجامعة، ومن بعض زملائه وطلابه).

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ص٢٣.

وانما كان هذا الإختيار تكليفاً واختياراً لبني اسرائيل أيشكرون أم يكفرون ؟

قال تعالى : «وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ »(سورة الدخان ﴿٣٣﴾).

ولكن ماذا فعل بنو اسرائيل بهذا الإختيار رغم الآيات البينات ؟!

يشهد الله، وكتابه، وأولوا العلم قديماً وحديثاً أن اليهود قد سقطوا في هذا البلاء والاختيار ، سقوطاً شنيعاً ذريعاً، تفردوا به بين العالمين أجمعين، بما حرفوا من دين الله، وبما عصوا وكانوا يعتدون، حتى سلبوا عن أنفسهم شرف حمل الرسالة وأداء الأمانة، وغضب الله عليهم غضباً أبدياً، ولعنهم لعناً عارماً باعتراف كتبهم، وعلى ألسنة أنبيائهم[1] .

قال تعالى : « لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ »(سورة المائدة ﴿٧٩﴾).

وتحول هذا الإختيار والإبتلاء الذي لم يرعوه حق رعايته شراً مستطيراً عليهم وعلى الانسانية كلها، بعد أن أصبح اليهودى يرى في نفسه أنه أفضل من غيره من بني البشر، مما جعله شاذاً في تفكيره وسلوكه وآدابه ومعتقده ومعاملته، ومن شدة صلفهم وتعاليهم زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فقال الله تعالى ردا لزعمهم الخطير :ـــ

« وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ »(سورة المائدة ﴿١٨﴾).

بعد فقدهم الرحمة، واعتقادهم أن غيرهم مجرد حيوانات لخدمتهم لايستحقون الرحمة والعطف.

---

(١) انظر : كتاب معركة الوجود ص١٥٢ وما بعدها (بتصرف).

فالتلمود يقول : «الرحمة محرمة على الوثني»(1)
وكلمة الوثني يطلقونها على غير اليهودي!!
لذلك احتكر اليهودي الجنة لنفسه دون غيره، كما احتكر الإله، وكل ماهو حسن فلا يدخل الجنة أحد غير اليهودي، وقد رد القرآن الكريم زعمهم وكشف باطلهم.
قال تعالى :
« وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ »(سورة البقرة ﴿١١١﴾)

٤ ــ الشذوذ في السلوك والتعامل :

اذا كان الله تعالى قد فطر الخلق على الرحمة، حتى لدى الحيوانات المتوحشة، فإن اليهود لا يعرفون الرحمة التي بها يعيش جميع البشر سعداء متآلفين متحابين، حتى خلي سلوكهم وتعاملهم مع الغير من السلوك المستقيم، والتعامل بأداب، بل جعلوا تعاملهم مبنياً على الخداع والمراوغة والنفاق والإنتهازية، وهذا مايكشفه القرآن الكريم.
مما يظهر لنا حالهم، بما لانحتاج معه إلى شديد عناء، أوبحوث تاريخية، ودراسات نفسية أو اجتماعية.
فان واقع حالهم يدل على استحالة التعامل معهم وصعوبة معايشتهم في سلام ومودة، علاوة على ماتؤكده توراتهم، ونص تلمودهم من حرص على جعل علاقتهم مع غيرهم قائمة على التوتر، وبث الفتن، ونشر الفساد والالحاد في العالم بأسره، بعد أن مردوا على الخيانة، ونقض العهود، ومرنوا على القسوة، ومجافاة الرحمة التي فطر الله عليها سائر المخلوقات ــ بما فيها الحيوان ــ ومن سجاياهم، وأشدها سوءا في هذا المجال الكذب والغدر، وحب الإفساد في الأرض.

---

(1) اليهودية والصهيونية الطبعة الأولى ص ٢٩.

وأمة هذه مبادئها وتلك خصائصها البشعة ليس من العجب أن نجدها تقوم على التفرقة العنصرية، وتسعى لتدمير العالم وخرابه، والعبث بأمنه، ومحاولة الإستيلاء على مقدراته، واستعمال كل وسيلة خسيسة ــ ولو كان فيها خراب العالم ــ في سبيل الوصول إلى مآربهم وأهدافهم

وواقعهم اليوم يتفق مع ما أورده القرآن الكريم عنهم، فما أشبه الليلة بالبارحة!!

فهاهم يعيشون في الأرض فساداً، يقتلون الشعوب،ويخربون المساجد، ويهلكون الحرث والنسل، لاشباع غرائزهم الفاسدة، وفطرهم المنحرفة، فلا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم لله وأنبيائه حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

لهذه الأسباب تنحت ــ أو نحيب على الصحيح ــ عن هذا الطريق المستقيم، وهو طريق الخير والهداية لتتيح لغيرها المجال من الأمم التي تسعد الإنسانية ولا تشقيها، وتهدي البشرية ولا تغويها، وتقيم العدل والمساواة بين بني البشر، وتقضي على الظلم والجور، وتنقذ الإنسانية من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ومن جور السلطان إلى عدل الرحمن، وهذه السمات والصفات جاءت أصدق ماتكون في الدعوة الإسلامية.

٢ ــ النصارى :

الصنف الثانى من أهل الكتاب هم «المثلثة» أمة الضلال، وعبّاد الصليب، ومؤلّهو عيسى عليه السلام، الذي جاءهم بالتوحيد الخالص، وأظهر تمام العبودية لله رب العالمين.

والنصرانية جاءت في وقت تكالب فيه اليهود على المادة، ورأوا فيها كل مقومات الحياة، وفتنوا في ابتكار الطرق للحصول على المال، غير مبالين بالوسيلة التي توصلهم إلى هدفهم.

وتسبب ذلك في أن تهون القوى الروحية، وتتلاشى المثل العليا، فاتجه المسيح ــ عليه السلام ــ إلى الدعوة للصفاء الروحي، والرحمة والتسامح، حتى يقتلع من بني اسرائيل صلفهم وعبادتهم للمادة، فنجد المسيح أولى عنايته إلى تطهير النفس والروح، ومحاربة شهوة المال، فكان مما أثر عنه قوله: «سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن.

وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فاترك له الرداء، ومن سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين»[1]

وكان شعار النصرانية «أعط مالقيصر لقيصر ومالله لله»[2]

وعلى هذا اتخذت النصرانية ثوب الزهد والتسامح وقنعت بهما، واتجهت بكليتها إلى التطهير الروحي، والتهذيب الوجداني.

وكان أسوأ انحراف أصابها تحريف عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى ــ عليه السلام ــ حين قام بولس الذي نشر المسيحية بعد عيسى بطمسها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها، والوثنية التي نشأ عليها، ثم قضى قسطنطين على البقية الباقية، حتى أصبحت النصرانيه مزيجاً من الخرافات اليونانية والوثنية الرومانية، والأفلاطينية المصرية، وأصبحت نسيجاً من معتقدات وتقاليد لا تغذي الروح، ولا تمد العقل ولاتحل معضلات الحياة[3].

وأصيبت بالانحراف والتحريف بسبب جهل الجاهلين وتحريف المحرفين،

---

(١) انجيل متى: الاصحاح الخامس فقرات ٣٨ ــ ٤٠.

(٢) كتاب (مقارنة الأديان) جـ٢ ص٨٣ (المسيحية).

(٣) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين الطبعة العاشرة ص٣٨.

الذين وصلت بهم الحال إلى التفرق والتشاحن، حتى تشعبت مذاهبهم حول طبيعة المسيح ــ عليه السلام ــ بين قائل بطبيعتين هما :

الانسانية والألوهية، وبين مؤله لمريم ومنكر لهذا التأليه، وبين مفسر لنبوة المسيح بأنه ابن الله مجازاً وقائل : ابنه على الحقيقة[1] !!

ولم يزل الخلاف يشتد بين النصارى، وخاصة بين نصارى الشام ونصارى مصر في القول بازدواجية طبيعة المسيح، وبين القائلين بأن له طبيعة واحدة.

حتى صار في القرنين السادس والسابع(الميلاديين) كأنه حرب عوان بين أعداء متنافسين، ثم بين اليهود والنصارى كل طائفة تقول : إن الأخرى ليست على شيء، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الخلاف بينهم في قوله تعالى :

« وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ »(سورة البقرة ١١٣).

وإذا كان اليهود قد ضلوا، وزاغوا عن طريق الحق بسبب تحريفهم لدين الله، الذي جاء به إبراهيم عليه السلام وتابعه موسى وغيره من أنبياء الله، فالنصارى لايقلون زيغاً، وضلالاً عن سلفهم، حيث سبوا الله الخالق، سبة ماسبّه إياها أحد من البشر، فلم يقروا بأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولم يجعلوه ــ تعالى ــ أكبر من كل شيء، بل قالوا فيه ما « تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا »(سورة مريم : ٩٠ ــ ٩١) فقل«ماشئت في طائفة أصل عقيدتها أن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبته

---

(١) انظر : كتاب (الله) ص١٥٥. وماذا خسر العالم ص٣٩.

وأن المسيح ابنه، وأنه نزل على كرسي عظمته، والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ماجرى إلى أن قتل ومات ودفن، فدينها عبادة الصلبان، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان»[1] .

وسبب خلافهم هذا حول طبيعة المسيح ــ عليه السلام ــ وأمّه ورفعهما إلى درجة الألوهية نلخصه في الآتي :

ان أمه مريم البتول ولدته بدون أب، ونظراً لغرابة الحادث وضخامته، عز على فرق النصارى أن تتصوره على طبيعته، وأن تدرك الحكمة في إبرازه، فجعلت تضفي عليه صفات الألوهية، واختلفوا على طبيعته وصاغوا حول مولده وطبيعته الخرافات والأساطير، حتى جاوزوا الحد في اطرائه وتعظيمه، وكان الواجب عليهم الاعتقاد أنه عبد الله ورسوله، وأمه مريم أمته العذراء البتول التي حصنت فرجها، فبعث الله الملك جبريل فنفخ فيها عن أمر الله نفخة حملت منها بعيسى[2] .

وفكرة الألوهية عند النصارى، ومانتج عن تصوراتهم فيها كعقيدة التكفير والخطيئة والصلب وغير ذلك من المزاعم الباطلة، قد تولى القرآن الكريم ردها، وتفنيد مفترياتهم، وليس هذا مقام الاستطراد في مناقشة عقائدهم، والرد عليها لأن موضوعنا هنا لايعدو مجرد الإشارة لحالهم، وما أرداهم إليه ذلك من الضلال والزيغ، حتى أصبحوا بحاجة إلى دعوة تنقذهم مما هم فيه من حال سوء.

٣ ــ الوثنيون :

عند البعثة المحمدية كانت تهيمن على العالم ــ كما هو معلوم ــ قوتان عظيمتان الفرس في الشرق والروم في الغرب، فكان لابد أن يكون للفرس

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم الجوزية، مطبعة المدينة المنورة بالرياض ص٤٨٣.

(٢) انظر : في ظلال القرآن المؤلف/ سيد قطب ــ

ذاك الدور في الحضارة الانسانية، حتى شاطرت الروم في حكم العالم المتمدين ـ آنذاك ـ وكانت الحقل الكبير لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم.

مما كان سبباً للاضطراب والتزعزع الديني والخلقي، وتنازع المجتمع عدة طبقات، حتى ضعفت السلطة المركزية في آخر عهد الساسانيين إلى حد لايتصور، وحصل النبلاء على سلطات كثيرة وعلى مساحات كبيرة من الأرض، وأصبح القرويون رعاء لهم. ونتيجة لهذا الوضع في فارس كان ظهور «مانى» في القرن الثالث الميلادى الذي كان ظهوره رد فعل عنيف طبيعي ضد النزعة الشهوانية السائدة في البلاد، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشر من العالم، وحرم النكاح استعجالا للغناء.

مما دفع «بهرام» إلى قتله، ثم ثارت روح الطبيعة الفارسية على تعاليم ماني المجحفة، وتقمصت دعوة «مزدك» الذي ولد سنة ٤٨٧، وأعلن أن الناس ولدوا سواء لافرق بينهم، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم مايجب فيه المساواة والاشتراك[١]

قال الشهرستانى :
«أحل مزدك النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراككم في الماء والنار والكلأ»[٢] .

وقال الطبرى[٣] :
«افترص السفلة ذلك واغتنموه، وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوه، فابتلي

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٤٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني الطبعة الثانية، تحقيق محمد سيد الكيلاني ص٨٦.

(٣) الطبري : هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري عمدة التفسير والتاريخ، ولد في طبرستان سنة ٢٢٤هـ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠هـ، انظر: البداية والنهاية جـ١١ ص١٤٥، والاعلام جـ٦ص٦٩.

الناس بهم، وقوى أمرهم، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله، لايستطيع الامتناع منهم، وحملوا(قباذ) على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه، فلم يلبثوا الا قليلاً حتى صاروا لايعرف الرجل ولده، ولايعرف المولود أباه، ولايملك شيئاً مما يتمتع به»[1]

ويفهم من أقوال المؤرخين أن الفرس كانوا في الزمن القديم يعبدون الله ويسجدون له، ثم جعلوا يمجدون الشمس والقمر والنجوم واجرام السماء مثل غيرهم من الأوائل [2].

وجاء «زرادشت»[3] صاحب الديانة الفارسية فدعى إلى التوحيد، وأبطل الأصنام وقال : ان نور الله يسطع في كل ما يشرق ويلتهب في الكون، وأمر بالاتجاه إلى جهة الشمس والنار ساعة الصلاة لأن النور رمز إلى الإله وأمر بعدم تدنيس العناصر الأربعة وهي : النار والهواء والتراب والماء.

ومع مرور الزمن جاء بعده علماء سنوا للزراد شتيين شرائع مختلفة حتى حرموا عليهم الاشتغال بالأشياء التي تستلزم النار، فاقتصروا في عملهم على الفلاحة والتجارة، ومن هذا التمجيد للنار، واتخاذها قبلة في العبادات تدرج الناس إلى عبادتها، ومازال الأمر على هذا الحال، حتى انقرضت كل عقيدة، وجهلت الحقيقة، ونسي التاريخ [4].

ولما كانت النار لاتوحي إلى عبادها بشريعة، ولاترسل رسلا، ولاتتدخل في شؤون حياتهم أصبحت الديانة عند المجوس عبارة عن طقوس وتقاليد، يؤدونها في أمكنة خاصة في المعبد فقط.

---

(١) تاريخ ابن جرير الطبري : الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية جـ٢ ص٨٨.

(٢) انظر : كتاب الأسفار المقدسة ص١٤١.

(٣) قال القاضي عياض : «زراد شت» تدعى المجوس وبعض المؤرخين نبوته ــ انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ٢ ص٣٠٣ وقال محقق الشفا : إنه كان نبياً ولكن قومه حرفوا شريعته بعده.

(٤) انظر : تاريخ إيران الطبعة الأولى سنة ١٣١٦هـ ص٢٢١.

أما أعمالهم الأخرى في دورهم ودوائر حكمهم وتصرفهم، وفي السياسة والإجتماع فكانوا أحراراً يسيرون على هواهم.

وهكذا حرمت تلك الأمة بأكملها في حياتها من دين عميق جامع يربى النفس، ويهذب الخلق، وأصبح الفرس المجوس لافرق بينهم وبين الوثنية البداة[1].

حتى جاءت الدعوة الإسلامية تحمل شعار العدل والمساواة، وأنقذت تلك الأمة مما كانت عليه من جهل وضلال وكفلت لهم الحقوق والواجبات، وجعلت التقوى والعمل الصالح هما الميزان.

الوثنية في الهند وما جاورها :

لم يكن الوضع في الهند والصين وما جاورهما من بلاد بأحسن حالاً من فارس. فقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوار الهند ديانة وخلقاً ذلك العهد الذي يبتدىء من مستهل القرن السادس (الميلادي) بعد أن شمل التدهور الديني والخلقي والاجتماعي الكرة الأرضية كلها في تلك الحقبة من الزمن. بعدما كانت الهند في قديم الزمان الغرّة التي فيها الصلاح والحكمة كما يقول جماعة من أهل العلم والنظر، وأصابها ما أصاب غيرها لما تجيلت الأجيال، وتحزبت الأحزاب (٢).

وبعد أن دار الزمان أصبحت الهند حقلاً لتطبيق مبدأ تعدد الآلهة، حيث هناك عوامل تقوى غريزة تعدد الآلهة لاختلاف قوى الطبيعة ومواجهة الإنسان لهذه القوى وجهاً لوجه .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين الطبعة العاشرة ص٥٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودي الطبعة الثالثة جـ١ ص٣٥.

لذا لاتجد هندوسياً إلاّ يعبد عدة آلهة، حتى أنه يصلى للنمر الذي يفترس أنعامه، وأصبح لديهم من الفرق مايصعب حصرهم[1].
يقول الشهرستاني :

«هم فرق كثيرة فنهم من يعظم النار و يتقرب إليها، ومنهم عبدة الأصنام وهم معظمهم، ولهم أصنام عدة كل صنم لطائفة، و يكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر ومنهم عباد الماء الذين يزعمون أن الماء ملك وهو أصل كل شيء[2]

ومن فرقهم «البراهمة» أصحاب الفكرة والعلم بالفلك وطريقتهم في ذلك تخالف طريقة فارس والروم[3].

ومما اشتهر عندهم من العادات إحراقهم لجثة الميت صاحب المكانة العالية وذر رماده في الجو[4].

وبالرغم مما اشتهرت به الهند من كثرة الديانات فلقد كانت (الهندوسية) أشهر الديانات وأوسعها انتشاراً، تليها «البوذية» ثم «الجينية» ومما عرف من دياناتهم عبادة الحيوان وخاصة البقر منذ القدم، وعرفوا كذلك عبادة عضو التلقيح معتقدين أنه سبب الخلق!![5].

و يظهر أن عبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر «الطوطمي»[6]

---

(١) مقارنة الأديان جـ٤ ص٢٩ (أديان الهند الكبرى).
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص٧٩.
(٣) انظر : تاريخ أبي الفداء جـ١ ص٩٩.
(٤) مروج الذهب جـ١ ص٣٩.
(٥) انظر كتاب (الله) المؤلف/ عباس محمود العقاد؛ الناشر: دار المعارف بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ ص٧٧.
(٦) تطلق كلمة (توتم) على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة رمزاً لها، ولقباً لجميع أفرادها (انظر: كتاب الطوطمية أشهر الديانات البدائية) للدكتور/ علي عبد الواحد وافي، الناشر: دار المعارف بمصر — سلسلة إقرأ).

أو اعتقادهم أن الله يتجلى في بعض الأحياء فيحل فيها لايمانهم بالتناسخ فجاز أن يكون الحيوان جداً قديماً أو صديقاً عائداً إلى الحياة.

لذا حظيت البقرة بأسمى مكانة على توالي القرون وكرّ السنون حتى الآن لاعتقادهم أنها أم الإنسان[1].

أما بلاد الصين و بلاد آسيا الصغرى فقد كانت دياناتها بين بوذية فاسدة ووثنية همجية، لا تملك ثروة علمية، ولا نظماً راقية، بل كانت في طور الانتقال من عهد الهمجية إلى عهد الحضارة.

وكانت تسودها عدة ديانات منها : ديانة «لا تسو» التي عنيت بالنظريات فقط حتى تحولت إلى وثنية، وكان اتباعها متقشفين زاهدين. ديانة «كونفوشيوس» وهى عكس السابقة، دنيوية مادية أكثر منها عقيدة. ديانة «البوذية» التي قام حولها خلاف كبير بين أصحابها دعا بعضهم إلى التساؤل : كيف قامت هذه الديانة العظيمة على أساس رقيق من الآداب التي ليس فيها الإيمان بالله[2] ؟!

ولقد انتشرت تلك الديانة انتشاراً رهيباً في شرق آسيا والهند والصين مع مرور الزمن. وعلى كل الأحوال فقد أصيب البرهمية والبوذية بالانحطاط ودخلت فيها العادات الساقطة، وأصبح من العسير التمييز بينهما بعد أن اندمجت البوذية في البرهمية[3].

ومهما يكن الأمر فلم تكن عند تلك الأمم رسالة دينية تسعدهم، وتسعد العالم معهم، وتحل مشكلاتهم بل كانوا مثل غيرهم في ذلك الزمان، أو قل أشد حاجة إلى من ينقذهم من وضعهم المشين حتى جاءت الدعوة

---

(١) انظر : كتاب (الله) ص٧٧، وكتاب مقارنة الأديان جـ٤ ص٢٩ (أديان الهند الكبرى).

(٢) ماذا خسر العالم؟ الطبعة العاشرة ص٥٢.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين الطبعة العاشرة ص٥٤.

الإسلامية حاملة مشعل الخير والهداية والسعادة لبنى الانسانية في كل زمان ومكان.

ب ـ الخلل الاجتماعي والسياسي :

ان الوضع الاجتماعي في جميع نواحي المجتمع يعتبر استجابة حتمية لواقع الأمة الإعتقادى، نظراً للتلازم الوثيق بين عقيدة المجتمع الدينية، وطبيعة نظمه الاجتماعية وأحواله الأخلاقية والاقتصادية والسياسية بل والفكرية ــ وفي رأيى ــ أن حال أى أمة في هذه النواحي تعتبر جزءاً من حالة الأمة الاعتقادية، فإذا تحسن واقع الأمة الاعتقادي الديني، تحسن معه واقع الأمة في النواحي الأخرى، وعندما تنحط الشعوب دينياً فلابد أن تنحط وتتدهور اجتماعياً وفكرياً وسياسياً، وهذا يلحظه من يستقرىء أحوال الأمم وتاريخ تطورها، وما واقع الأمة الإسلامية اليوم ــ بل والإنسانية جمعاء ــ إلاّ دليلاً على مانقول، ومن هنا كان كل نظام اجتماعي وسياسي لاينبثق من عقيدة صحيحة، وفطرة سليمة، نظاماً مصطنعاً، ومنهاراً بكل تأكيد، وإن عاش زمناً، واغتر به المخدوعون، والأشقياء من بني الانسانية.

وما دمنا تحدثنا عن الخلل الديني الذي أصاب الانسانية عند مبعثه صلى الله عليه وسلم مما استوجب معه اشراقة أنوار الدعوة الإسلامية. ولهذا سيتطرق بنا الموضوع إلى بعض جوانب الخلل الاجتماعي المتمثل في عدة صور من سيطرة الماديات والشهوات، وتسلط الانسان على أخيه الانسان، وبروز طبقة على حساب أخرى، وتبع ذلك تعطل جزء مهم من المجتمع،وهى المرأة، وتدهور مركزها، وعمت الدنيا الفوضى والاضطرابات والمنازعات.

١ ــ سيطرة المادة والشهوات :

بالرغم مما وصلت إليه الحضارتان اليونانية والرومانية من تطور وازدهار فقد كانتا عاجزتين عن البقاء والاستمرار لخلوهما من الركن الأساسي لكل

حضارة، وهو الدين الصحيح، واصبحت الحضارات والمجتمعات في ذلك الحين مادية بحته، وكلما تقدموا وتطوروا في مجال العلوم والماديات انحطوا في الأخلاق والعقائد والمبادىء، ويعلق على ذلك الأستاذ (الندوى)[١] بقوله:

«وفي نهاية دور الجمهورية الرومية سال بالروم سيل الانحطاط الخلقي البهيمية، وفاض بحر الترف في العيش والبذخ فيضاً عظيماً غاص الروم فيه إلى الأذقان وتزعزع البناء الاجتماعي حتى كاد ينهدم»[٢]

كما صور (داربر) الكاتب الأمريكي المجتمع الروماني بقوله : «لما بلغت الدولة الرومية في القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجبها، هبطت في فساد الأخلاق وفي الانحطاط الديني والتهذيب إلى أسفل الدركات»[٣] وأصبح العدل في بلاد الحضارة، يباع ويسام مثل السلع، وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة كل تشجيع، وانحطت الدولة البيزنطية انحطاطاً هائلاً بسبب المغالاة في الضرائب والمكوس، وانصراف الناس إلى شهواتهم وملذاتهم، واهمالهم لوسائل الانتاج، مما تتبعه كثرة مصائب الأمة، وازدياد الإتاوات، ومضاعفة الضرائب في البلاد التي تستظل بالامبراطورية الرومية، حيث كان الشعب الشامي يؤدى الجزية وعشر غلاته، ورسماً على كل رأس، وكذا الحال في مصر والحبشة اللتين كانت تظلهما الامبراطورية الرومانية ولم تكسبا من الرومانية المسيحية سوى المناظرات والخلافات كبقية البلاد التي تدين بالنصرانية[٤].

---

(١) الندوي : أبو الحسن علي الحسين الندوي ولد سنة ١٣٣٢هـ، بالهند، ينتمي إلى أسرة عريقة، عربية الأصل، يتقن عدة لغات مما مكنه من كشف أكاذيب أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم ولازال — أطال الله في عمره — يشارك في الذود عن حمى الاسلام، يشغل رئيس (ندوة العلماء بلكهنؤ) منذ زمن له عدة مصنفات مشهورة.

انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ — الطبعة العاشرة ص ٣٢ تعريفاً بالمؤلف للدكتور/ أحمد الشرباصي.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٨٤.

(٣) الإسلام ومشاكل الحضارة لسيد قطب، الناشر دار الشروق ص٥٥.

(٤) خطط الشام / محمد كرد علي، الطبعة الثانية ج٥ ص ٤٧، والنظم الإسلامية للدكتور /صبحي الصالح، الطبعة الثانية ص ٢٣.

أما فارس التي كانت تشاطر الروم في حكم العالم المتمدن، فلم تكن بأحسن حالاً من الروم لما أصابهم من الاضطراب، والتزعزع الديني والخلقي، حتى أصبح مجتمعهم مجتمعاً متعفناً ينخر فيه الفساد، وتسيطر عليه الشهوات، بعد أن درج الناس على المدنية المترفة، والعادات الساقطة، والأخلاق المنحطة، وفشى في المجتمع الفارسي من العادات والتقاليد ما ينفر منه الذي له أدنى عقل، وذوق إنساني، فالمحرمات النسبية التي تواضعت على حرمتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف ونقاش، حتى أن «يزد جرد الثاني» تزوج ابنته ثم قتلها، «وابهرام» الذي تملك في القرن السادس (الميلادي) كان متزوجاً بأخته، نتيجة لتأثر المجتمع الفارسي بدعوة مزدك، ومانتج عنها من فوضى خلقية، انغمست فيها إيران [1].

ولقد كان من مظاهر السيطرة المادية لدى الفرس مالاقاه الشعب من ضيق العيش ونكده، وكثرة في الضرائب والإتاوات حيث قاسم الحكام الفلاحين غلاتهم، التي بذلوا فيها جهدهم وعرقهم! وارتفع الخراج بصورة باهظة.

وهكذا كانت الدولتان ـــ الروم والفرس ـــ كفرسي رهان في البذخ والترف، وبذخ حكامهم بذخاً عظيماً يجل عن الوصف، حتى أصبحوا فى حال قد يعجز العقل عن إدراك مالديهم من الأموال، وماحوته مجالسهم من آلات الترف واللهو، وأسباب الرفاهية.

وقد صورت لنا المصادر التاريخية الإسلامية وغيرها المجتمع الفارسي أدق الصور، وأوفاها عن ترف الأكاسرة، وما أتوه من الكنوز التي لم يؤت أحد مثلها من العالمين [2].

---

(١) تاريخ الطبرى، الأولى ج٣ ص ١٣٨.

(٢) النظم الإسلامية الطبعة الثانية ص ٣٥.

فكان «لأنوشروان» مثلا مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع الجواهر، وكان له خواتم أربعة من الياقوت الأحمر[1].

أما كسرى «أبرويز» الذي عاصر أول القرن السابع الميلادي مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فله في ذلك أخبار يطول ذكرها، فقد غنم من الروم في حرب «شهريار» ألف مركب من خزائن الروم بعد أن نزل «أنطاكية» وألقت بها الريح إلى الساحل فغنمها، وسميت خزائن الريح، وأقام إيوانه المشهور في المدائن الذي وصف بأوصاف يصعب حصرها بعد أن جمع كسرى هذا من الأموال مالم يجمعه أحد من الملوك [2]

قال المسعودي : «أنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية، وألف فيل، وخمسون ألف دابة، وسروج ذهب مكللة بالدر والجوهر على عدد مالركابه من الخيل.

وكان تمام شرف أحدهم أن يكون من البيوتات المقربة كالوزراء والقضاة ورجال الدين وولاة الأقاليم لما ينعمون به من التلذذ بمباهج الحياة، والتقلب في بهارجها [3]

قال الشعبي[4] : «كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف وكان «هرمز» ممن تم شرفه فكانت قيمتها مائه ألف وكانت مفصصة بالجوهر[5]

واذا كانت تلك أمثلة قليلة عما كانت عليه الحال عند أولئك القوم. فماذا عن بقية البلدان كالهند والصين مثلاً ؟

---

(١) انظر : مروج الذهب الطبعة الثالثه ج١ ص ٢٩٤.

(٢) مروج الذهب ج١ ص ٢٨٥ — ٣٠٦.

(٣) مروج الذهب للمسعودي : الطبعة الثالثة ١٩٧٨م.

(٤) الشعبي : هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري تابعي حافظ مجتهد ولد ونشأ بالكوفة مات فيها فجأة سنة ١٠٣هـ وقيل سنة ١٠٤هـ انظر البداية والنهاية جـ٩ ص٢٣٠.

(٥) تاريخ الطبري الطبعة الأولى جـ٤ ص٦.

لاشك أنه قد أصابهم ما أصاب غيرهم، فالشهوة قد امتازت بها الهند منذ العهد القديم، وتناقلت الكتب عدة روايات وقصص عن اختلاط الجنسين، وما تفشى فيهم من خلاعة ومجون، وكذا الحال في الصين جارتها [1].

وهكذا كانت الحياة وأهلها في كل مكان بالرغم مما يظهر عليها من مظاهر العمران والحضارة تنتظر أجلها المحتوم، مصداقاً لقول الله تعالى : «وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا » (سورة الاسراء ﴿١٦﴾).

٢ ــ شيوع النزعات الرهبانية :

عندما سئمت تلك المجتمعات ما انحدرت إليه في دركات الشهوات والماديات برز في بعضها نزعات تدعو إلى الطرف المقابل، وهو التقشف، والابتعاد عن الحياة بجميع مافيها من نعيم وخيرات، أباحها وسخرها الذي خلقها وأوجدها تبارك وتعالى لعباده، من كسب حلال، وزينة لم يحرمها عليهم. فانصرف أولئك إلى الرهبانية، بكبت الميول الفطرية، والقضاء على الطاقات الطبيعية، بمخالفة الوظيفة الأساسية للإنسان في الأرض، وهي : عبادة الله وحده، ثم عمارة الأرض واقامة مصالح الناس.

وبخاصة عند النصاري لما عاناه المسيحيون في عهد الاضطهاد من تعسف وقسوة، والذي كان تدريباً للفداء والتضحية ــ كما يقولون ــ وعندما بدأ عهد الحرية تحسر من فاتهم عهد التضحية والفداء، فقرروا التضحية بمتعهم، والحرمان من ملاذ الحياة، وتعذيب الجسم [2].

---

(١) مروج الذهب جـ١ ص١٥٠ وما بعدها.

(٢) انظر : كتاب مقارنة الأديان (المسيحية) الطبعة الخامسة جـ٢ ص٢٤٣.

وهناك من المسيحيين من ينسب أسس الرهبنة إلى اسيد المسيح الذي احتقر المال والعتاد والتمسك بالأسرة[1].

لكن هيهات أن تقدر تلك الأساليب على مخالفة الفطرة الإلهية! التي أوجدها خالق كل شيء، وعالم سره، مما دفع بالحياة للدمار!!.

لأن كلا النقيضين ـ التلذذ غير المحدود، أو الرهبنة وعدم الانتفاع في حدود الفطرة ـ كلاهما دمار للكائن البشرى، لمجافاتها للفطرة البشرية، لذا كانت رهبانيتهم التي حرفوها شرا مستطيرا.

والناظر في حال أولئك الرهبان يعرف كيف كانت تلك الظاهرة مخالفة للفطرة، وقضاء على ميولاتها، وانحرافاً بها عن الطريق المستقيم.

يحدثنا «ليكي» في كتابه تاريخ أخلاق أوروبا بقوله: «زاد عدد الرهبان زيادة عظيمة، وعظم شأنهم، واستفحل أمرهم، واسترعوا الأنظار، وشغلوا الناس، حتى أصبحوا لايمكن حصرهم، ففي القرن الرابع(الميلادي) كان راهب واحد يشرف على خمسة آلاف راهب وبلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر»[2]

ويروى المؤرخون من حكايات أولئك الرهبان، وحالهم ماتدمع له العيون، وتحزن منه القلوب.

«فكانوا يفرون من ظل النساء، ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق، والتحدث إليهن ـ ولو كن أمهات أو أزواجاً أو شقيقات ـ تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية» [3]

وقد أفاض «ليكي» وغيره من المؤرخين والكتاب في وصف حالة

---

(١) المرجع السابق : ص٢٤٤.

(٢) تاريخ أخلاق أوربا ص١١، ١٧٨.

(٣) ماذا خسر العالم؟ ص١٨٨.

الرهبان، وبشاعة بعدها عن الفطرة الإنسانية، والغلو في الهرب مما وهبه الله تعالى للمخلوق من طيبات الحياة وزينتها، ومكافحة نشاط الفطرة، مما نورد عنه تلخيصاً وافياً للأستاذ أبي الحسن الندوى حيث يقول :

«ظل تعذيب الجسم مثلاً كاملاً في الدين والأخلاق إلى قرنين، وروى المؤرخون من ذلك عجائب، فحدثوا عن الراهب (ماكاريوس) أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد، وكان صاحبه الراهب (يوسيبيس) يحمل نحو قنطارين من الحديد، وقد أقام في بئر نزح، وقد عبدالراهب (يوحنا) ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة، وكان بعض الرهبان لايكتسون دائماً وانما يتسترون بشعرهم الطويل، ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام»[1]

وفي فارس يجيء «ماني» في القرن الثالث (الميلادي) رد فعل عنيف ضد النزعة المادية والشهوانية البهيمية السائدة في فارس.

فيأخذ من الأفكار النصرانية السائدة أن الدنيا لعنة الله، ومن الخير إنهاؤها ومن أجل هذا حث على منع النسل، وحرم النكاح استعجالاً للفناء، وبالرغم من قتله فإن تعاليمه لم تمت إلا بعد الفتح الإسلامي[2].

الوثنية الهندية والرهبانية :

المجتمع الهندى بدياناته المتعددة قد تأثر كذلك بالرهبانية، بعد أن اتفق البوذيون مع المسيحيين في عدم الاقتناع بالاتجاه الذي غلب على الديانتين، وفشل ماشرعوه من تشريعات ترضى شغفهم بالمادة.

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص٨٧.

(٢) الملل والنحل ـ للشهرستاني الطبعة الثانية؛ منشورات دار المعرفة بيروت ص٨٦.

بعد ذلك نجد اتجاه بعض رجال الدين إلى الرهبنة، فمثلاً (غوتاما) أحد فلاسفة الهندوسية يلجأ إلى العزلة والتقشف، وخلع ثيابه، والاكتفاء برقاع أوراق شجر يستر بها عورته، بجسمه بين الأشواك والحصا، ويهمل الطعام والشراب والملاذ، مكتفياً بقدر ضئيل جداً من الطعام، بلغ أحياناً حبة من الأرز في اليوم!

وكان من مبادىء «الجينية» احدى ديانات الهند، أنه لابد للنجاة من قهر جميع المشاعر والعواطف والحاجات [1].

وهكذا عجزت تلك الرهبانية عن تغيير «فطرة الله التي فطر الناس عليها» حيث لم تكن سوى رد فعل ضد المادية الطاغية، احتملتها الفطرة كارهة، بحيث لم تكن انتصارا لهذا الانحراف العاتى، فهذا مستحيل لأن الفطرة أغلب، كما لم تكن اعتدالاً وتوازناً في جموع المادية الشهوانية، وإنما كانت خليطاً من هذا وذلك، يفسد الحياة كلها [2].

فلم تفلح تلك النظم أن تصلح مافسد من أخلاق الناس والمجتمعات، ولا يتوهم أحد أن الرهبانية عدلت من شرهم المادى، وكبحت من جماحهم، وغلوائهم في البهيمية والشهوات لأن هذا لم يكن، ولن يكون في الغالب لمجافاته الفطرة، وإنما الذي يوجد الاعتدال المادى، ويخفض الشهوة الجامحة هو النظام الروحي الخلقي الذي يوافق الفطرة، و يستجيب للرغبة والفطرة السليمة، الذي لايتصدى لها، و يطمس معالمها، بل يستغلها و يستخدمها فيما ينفع انها فطرة الإسلام، ودعوته الإلهية التي فعلت في العرب مافعلت عندما صرفت شجاعتهم من المنافسات القبلية إلى الجهاد في سبيل الله، وحولت إسرافهم وتبذيرهم إلى الإنفاق في سبيل الخير والبر واظهار الحق، لأنها دعوة

---

(١) انظر : مقارنة الأديان جـ٤ ص١٤١ (أديان الهند الكبرى).

(٢) انظر : الإسلام ومشكلات الحضارة سيد قطب الناشر : دار الشروق ص ٦١.

ورسالة كل الأنبياء التي جاءت لتكمل الفطرة لا لتستبدلها وتغيرها، فيالها من دعوة والحمد لله. [1]

٣ ـ تسلط نظام الطبقات :

إن من أشد ما واجهته الإنسانية في تاريخها الطويل من أدواء؛ سيطرة الإنسان على أخيه الإنسان، بتسلطه عليه، وسلب حريته، عندما انحرفت الفطرة عن الهدف الذي خلقها الله له، وهو(افراده وحده بالعبادة) لأنه تعالى مصدر كل خير، والقادر على كل شيء.

حتى تجلت تلك السيطرة في عدة صور، وكانت سبباً في إهانة الإنسان الذي أكرمه الله بجعله خليفته في أرضه، بعد أن اتخذ أولئك الحكام نظاماً استبدادياً يعول على سلطة الفرد[2].

فالحكم الروماني مثلاً كان يفرض تجميع السلطات كلها في يد الإمبراطور الذي أصبح نتيجة لذلك ـ في نظر البيزنطيين ـ ذا صفة إلٰهية عندما تحولت الامبراطورية الرومانية إلى مسيحية، حتى غدا الامبراطور في نظرهم معيناً من قبل الله، مختاراً في التصرف لا معقب لحكمة، لأنه ينفذ إرادة السماء!

لأن هذا الامبراطور هو : رئيس الكنيسة، وحاميها ومفسر عقائدها، كما أنه قائد الجيش، وموزع السلطات[3].

ولم ينظروا لغيرهم من الأمم إلا أنهم خدم لهم، حتى دنس كل شرف، وامتهنت كل كرامة، ولم يجعلوا من بعض البلاد التي تظلها

---

(١) راجع كتاب (المستقبل لهذا الدين) سيد قطب طبعة ١٣٩٤هـ دار الشروق ص ٤١.

(٢) انظر : المستقبل لهذا الدين ص٧٨.

(٣) انظر : النظم الاسلامية للدكتور/ صبحي الصالح الطبعة الثانية ص٢٢.

الامبـراطور ية كـمصر والشام الا مطية للركوب، وناقة حلوبا، لا تعطى من العطف والرعاية إلا مايقيم صلبها و يدرّ ضرعها [١] .

يقول صاحب (كتاب[٢] فتح العرب لمصر) :«ان حكومة مصر الرومية لم يكن لها إلاّ غرض واحد هو أن تبتز الأموال لتكون غنيمة للحكام».

وفي الشام انقلبت الحال إلى أسوأ حال، وأصبح أهلها غرباء في وطنهم بعد كثرة المظالم والسخرات والرقيق[٣] .

أما فارس فكانت أسوأ حالاً من روما بالنسبة للتسلط الفردى، والسيطرة القبلية، حتى أن(الأكاسرة) ملوك فارس يدعون أنه يجرى في عروقهم دم إلهي، مما دفع الفرس بالنظر اليهم كآلهة، معتقدين أن في طبيعتهم شيئاً علو ياً مقدساً، و يرونهم فوق الانتقاد، وفوق البشر[٤] .

اصطفاهم الله للحكم بين الناس، وليس للناس قبلهم حقوق، ولهم على الناس السمع والطاعة، وقد جاء في كتاب(فجر الاسلام) :

أن ملوك (آل ساسان) لم يكنها أحد من رعاياها قط، ولا سماها في شعر ولا خطبه ولا غيره، حيث ترفعوا أورفعهم الشعب حتى لم يكن من الأدب أن يجرى على لسانه اسمهم، ولا كنيتهم حتى في الشعر! [٥] .

ومازال الفرس مثل الرومان يمجدون قوميتهم، وأن لهم فضلا على سائر الأمم، وأن الله خصهم بمواهب وخصائص دون سواهم، يدل على ذلك موقفهم من الأمم المجاورة كالعرب، حيث كان ينال العرب منه الامتهان

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص٧٦.

(٢) مؤلفه الدكتور الفرد. ج. بتلر، وتعريب : محمد فريد أبو حديد ــ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١هـ ــ ١٩٣٣م، ص١٦٣.

(٣) خطط الشام الطبعة الثانية جـ١ ص١٠١.

(٤) انظر : تاريخ الطبري الطبعة الأولى جـ٢ ص٨٨.

(٥) فجر الاسلام الطبعة العاشرة ص١١٢.

والاحتقار، واشعال الحروب معهم لأتفه الأسباب، والتي كان من أشهرها يوم ذي قار.

نقل المسعودي [١] فيه : «هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم» [٢] .

وتتجلى صورة الاستبداد الطبقي في إيران، والاعتقاد بنظرية الحق المقدس من تسمية «أردشير» مؤسس الدولة الساسانية لنفسه «بالشاهنشاه» أو ملك الملوك، وأخذ هذا الحق ينتقل كابرا عن كابر حتى كانوا يدينون بالملك بالوراثة لايبغون عنه بديلا [٣] .

فإذا لم يجدوا كبيراً ملكوا طفلاً، واذا لم يجدوا رجلاً ملكوا امرأة فقد ملكوا بعد «شيرويه» ولده ابن سبع سنين، وملكوا «بوران» بنت كسرى [٤] .

كما كان مجتمعهم مؤسساً على اعتبار النسب والحرف، حتى وجدت هوة ساحقة بين طبقات المجتمع، يظهر ذلك جليا في مجالس الأمراء والأشراف [٥] .

النظام الطبقي في الهند والصين :

أما بلاد الهند فلم يعرف في أمة نظام طبقي أشد قسوة، وأعظم فصلاً

---

(١) المسعودي : هو علي بن الحسين بن علي المسعودي، ينتهي نسبه إلى عبد الله بن مسعود من أهل بغداد، مؤلف رحالة مشهور، له عدة تصانيف؛ توفي بمصر سنة ٣٤٦هـ ـ انظر : الأعلام جـ٤ ص ٢٧٧ ومعجم المؤلفين جـ٧ ص٨٠.

(٢) مروج الذهب جـ١ ص٣٠٧ (يشير المسعودي إلى أن هذا لفظ حديث للرسول صلى الله عليه وسلم) ولكن هذا الحديث ضعفه الشيخ الالباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ٢ ص٤٧.

(٣) انظر : النظم الاسلامية للدكتور/ صبحي الصالح، الطبعة الثالثة ص٣٠.

(٤) تاريخ الطبري : الطبعة الأولى جـ٢ ص٨٨.

(٥) تاريخ الطبري : جـ٤ ص١٠٨.

بين الطبقات منه في الهند، وكان أشد مايكون استهانة بالإنسان وكرامته.

يقول علماء الأديان : «إن الطبقات بدأت في الهند منذ القدم عند التقاء (الآريين) مع السكان الأصليين حتى وجدت طبقة «البراهمة» وطبقة «الخدم والعبيد» وطبقة «رجال الزراعة» [1].

وحتى لنجد أنه ألف في البلاد قانون مدنى، قسم أهل البلاد إلى طبقات ممتازة ومنح هذا القانون طبقة «البراهمة» امتيازات وحقوقاً ألحقتهم بالآلهة!!.

ومما قال هذا القانون : «أن البراهمة هم صفوة الله، وهم ملوك الخلق، وأن مافي الأرض ملك لهم وحدهم، لأن غيرهم عبيد لهم، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن يموت جوعاً،وان استحق القتل لم يقتل، بل يحلق رأسه فقط، أما غيره فيقتل» [2]

أما بلاد الصين تلك البلاد الواسعة الأرجاء، المتعددة الديانات والعادات، فلم تحرم من هذا الوضع السيء، والنزعة إلى التسلط والاستبداد، وسيطرة الطبقات. فقد كان الصينيون يقدسون ملوكهم مطلقاً، و يسمونهم «الامبراطور» ابن السماء!

معتقدين أن السماء ذكر، والأرض أنثى، وأن الامبراطور «ختا الأول» هو بكر هذين الزوجين، و يعتبرونه كالأب الوحيد للأمة، له أن يفعل ما يشاء، ولما مات الامبراطور «لي يان» لبست الصين ثوب الحداد، وحزنت حزناً شديداً، وكان منهم من أثخن وجهه بالابر، ومنهم من قطع شعره، ومنهم من ضرب أذنيه بجانب النعش! [3]

---

(١) مقارنة الأديان جـ٤ ص٢٥ (أديان الهند الكبرى).

(٢) ماذا خسر العالم : الطبعة العاشرة ص٥٨.

(٣) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٧٥ ومعنى أثخن : أي أصاب وأذى، ومعنى ضرب أذنيه: أي ربطها بآلة كالمسمار.

وهكذا جاء الإسلام وكرامة الإنسان وقف على طبقات معينة من البشر وعلى بيوت خاصة، أما سواد الجماهير، فهو غثاء لاوزن له ولا قيمة (١).
فقال الإسلام كلمته المدوية التي زلزلت عرش كسرى، وملك قيصر والتي جاءت من فوق سبع سماوات، وهى قول الحق تعالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »(سورة الحجرات ﴿١٣﴾).

وقال تعالى في الآية الأخرى :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (سورة الاسراء ﴿٧٠﴾).

وبين تعالى منشأ الخلق وعدم وجود الفارق بينهم قال تعالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا »(أول سورة النساء).

٤ ـ تدهور مركز المرأة :

لاشك أن المرأة تعتبر عنصراً مهماً في تكوين المجتمع، لأنها الأم والزوجة والأخت والبنت، تشاطر الرجل احساسه ومشاعره، فلم تنفصل العلاقة بين الجنسين على مر العصور، وكّر الدهور، ولقد كانت ولا زالت صلة المرأة أساس الحياة، وعمار الكون، وقوام الحياة الاجتماعية. ونظراً لأهمية تلك العلاقات، ومكانتها في الطرفين، ظلت علاقتها عبر الأزمان، تدور بين

(١) انظر : هذا الدين لمؤلفه/ سيد قطب ـ طبعة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

الافراط والتفريط، استجابة لدواعي الغريزة التي أوجدها المولى ــ جل وعلا ــ في الذكر والأنثى.

فكلما كانت العلاقة في الحدود المطلوبة، مبنية على الإحترام المتبادل، ومعرفة مالكل منهما من حقوق، وما عليه من واجبات أقول : اذا سارت تلك العلاقة في محيط هذه الحدود، سعدت الإنسانية كلها، وكلما مالت عن صراط تلك الفطرة السليمة المستقيم، أو اعتدى أحدهما على الآخر، شقيت الإنسانية، وحل بها الدمار، وخرب بناء الأسرة والمجتمع.

ومع الأسف كانت العلاقة بين الرجل والمرأة في أكثر العصور، وخاصة العصر الذي بزغت فيه أنوار الدعوة الإسلامية في غاية العجب، عندما كانت تقوم على الظلم والاهمال والانحطاط.

فبينما نرى المرأة التي تلد الرجل، وترضعه وتربيه أما، أوتسعده وهى زوجة وشريكته في الحياة، وجعل الله بينهما المودة والرحمة، وجعلها سكنا له، بعد أن خُلِقَتْ من نفسه، تشاطره البؤس والرخاء، بالرغم من ذلك اتخذوها خادماً بل أمة تباع وتشترى محرومة من جميع الحقوق، مسلوبة الحرية، كما كان عند الرومان والفرس[1] .

وحتى الذين أرادوا إكرام المرأة جعلوها وسيلة للمتاع واللهو والعبث مما استتبعه حدوث موجات عنيفة من فوضى الأخلاق، وانحطاط الآداب، حتى أضحت المرأة وسيلة لكل شهوة، واتخذها الرجل مطية لهواه، يجعل منها حباله الشيطان مما يوقع الأمة بل الإنسانية في أعماق التردى الشهواني، والسلوك البهيمي.

مكانة المرأة عند الفرس والروم :

لقد كانت المرأة في المجتمع الروماني في أسوأ حال كانت تباع وتشترى

---

(١) انظر : كتاب (الحجاب) للمودودي منشورات دار الفكر بالقاهرة ص١٠.

كالبهيمة والمتاع، وتكره على الزواج والبغاء، وكانت تورث ولا ترث، ولا تملك، حتى وصل بهم الأمر إلى الاختلاف في كونها إنساناً ذا نفس وروح كالرجل أم لا ؟ ومازالت حال المرأة تهوى في المجتمع الروماني حتى لقد قرر أحد المجامع النصرانية في رومية أنها حيوان نجس لا روح ولا خلود، يجب عليها الخدمة، وأن يكم فمها كالبعير والكلب، وكان نظر الرهبان للمرأة أنها ينبوع المعاصي وأصل السيئات والفجور![1]

أما عند الفرس فلم تكن المرأة بأحسن حالا حيث عاشت في ذله وانحطاط، وتشاؤم بها، حتى اعتبرها رجال الديانة «الزرادشتيه» سبب هيجان الشرور، التي توجب العذاب والسخط لدى الآلهة، لذلك اجازوا أن تعيش تحت أنواع الظلم والقهر، وكان الزوج يتصرف بها تصرفه في متاعه وماله حتى كان له أن يحكم بقتلها![2] .

وكانت أمة سجينة منزلها، تباع بيع السوائم، بعدما أباحت أنظمتهم بيعها وشراءها[3] ، وحتى ماجاء الإسلام وأبطل ماتفعله تلك الجاهليات على ماسنبينه بعد ان شاء الله تعالى.

وكان من شدة امتهان الفرس للمرأة وتدهور مركزها ابعادهم لها عن المنازل اذا حاضت، ويجعلونها في خيمة صغيرة خارج المدينة، ولا يخالطها حتى الخدم، يلفون أنوفهم وأذانهم وأيديهم بلفائف من القماش الغليظ عند تقديم الطعام لهن وخدمتهن، خوفاً من أن يتنجسوا اذا مامسوهن، أومسوا الأشياء المحيطة بهن حتى الهواء![4]

---

(١) انظر : حقوق النساء في الاسلام للأستاذ/ محمد رشيد رضا الناشر : المكتب الاسلامي ببيروت ص٥٧، وكتاب الحجاب ص١.

(٢) انظر : المرأة وحقوقها في الاسلام ص١٠٢.

(٣) الاسلام والمرأة : ص١٣.

(٤) الاسلام والمرأة : ص١٣.

مكانة المرأة في الهند :

أما في الهند التي تعتبر مسرحاً للجهل الفاضح، والجور الاجتماعي، فقد كانت المرأة تعاني أنواعاً من الظلم والاهانة، بعد أن سلبتها ديانة «مانو» حق الإستقلال عن أبيها أو زوجها، واذا مات هؤلاء وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها في النسب، ولم تستقل بنفسها بأى حال.

وأشد من ذلك نكران حقها في الحياة المستقلة بعد موت زوجها، فانه مقضي عليها بأن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه على موقد واحد! (١) .

أو أن تلقى في بئر معه حتى تموت حيث لم يبق سبب للحياة بعده! (٢) .

وكانت المرأة تقدم قربانا للآلهة، لإرضائها حتى تنزل المطر والرزق، وفي بعض مناطق الهند شجرة يقدم لها الأهالي فتاة تأكلها كل سنة كما زعموا!

وديانة «الجينيه» تحث على العرى والانتحار حتى سميت «دين العرى ودين الانتحار» (٣)

ومادام هذه حالهم، فليس من العجب أن يحرص أولئك القوم على تقديس البقرة وعبادتها وحمايتها! في حين يعيشون في عرى وحيوانية وجوع وفاقة! و يتساقطون في الشوارع من ذلك! تدوسهم تلك الأنعام السائمه التي تسرح وتمرح وتبعد، والله قد خلقها لخدمتهم، والتمتع بها في حدود ما أمر الله وأباح، ولكنه الجهل والالحاد، والبعد عن الفطرة السليمة!!

---

(١) انظر : المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م ص٧٣.

(٢) انظر : كتاب المرأة المسلمة ص٢٦.

(٣) انظر : كتاب مقارنة الأديان جـ٤ ص٧٣ (أديان الهند الكبرى).

٥ ــ الانهيار السياسي والفتن والحروب والمنازعات :

لقد كان الواقع التاريخي المرير في القرن السابع (الميلادي) يفرض أن تتقاسم العالم دولتان كبيرتان، كلتاهما حرب للأخرى، تنافسها ولا تأمنها، ولا تهدأ الحرب بينهما فترة من الزمن الا ريثما تستعد لمعاودة الكرة بقوة من الجند والسلاح، والدولتان المتنافستان هما : دولة الأكاسرة، ودولة القياصرة ولا ثالث يصل إلى قوتهما في العالم المعمور يومئذ.

ولقد كانت الفكرة التي تقوم عليها الامبراطورية الرومانية هى الاجتياح بالقوة واستغلال الآخرين، والاعتداء عليهم، وسلب حرياتهم، حتى ان العدل الروماني المشهور لم يكن عدلا الا للرومانيين وحدهم، وكانوا يرون أنهم المتمدنون وحدهم دون سواهم من البشر، كما كانوا لايقيمون لغيرهم من الشعوب وزنا ولا اعتباراً، بل يوجهون اليهم الاضطرابات والمنازعات.

وهذا ماتطبقه أوروبا اليوم التي تعتبر امتداداً لجاهلية الدولة الرومانية في ذلك الحين[١] .

ولقد ابتليت الامبراطورية الرومانية بالاضطرابات والمنازعات الداخلية التي فككت أوصالها، وهدمت بنياتها حتى قسمت نهائياً سنة ٣٩٥م إلى امبراطوريتين، شرقية عاصمتها «القسطنطينية» وغربية عاصمتها «رومية» وكانت علامات الضعف والتفريق بادية على الامبراطوريتين بسبب تنازع الأحزاب السياسية، والاضطرابات والخلافات بين الأمراء، وتدخل الأجانب في شؤون الحكم، وكثرة اغارة «البرابرة» على الامبراطورية الغربية التي لم تعمر طويلاً[٢] .

لم تكن الامبراطورية الشرقية بأحسن حالا من الغربية، بعد كثرة الفرق

---

(١) انظر : الاسلام على مفترق الطرق للأخ المهتدي/ محمد أسد، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ص٣٨.

(٢) انظر كتاب الاسلام ظهوره وانتشاره ص ٧٨.

الـديـنـية التي سببت المنازعات والمشاحنات، وتعصب كل فريق لرأيه حتى كثر الاضـطـهـاد، وعـم الفساد، و يصف ما آلت إليه الامبراطور ية الرومانية المؤرخ الانجليزى «و يلز» المشهور، بما ترجمته.

«حل الـدمـار بـالامـبـراطـور ية الـرومـانـيـة، وسـاءت أحوالها السياسية والاقتصادية، وشاعت الدسائس، وكَثُرتْ الفتن والمصادمات العنيفة» [1]

كما يبين المؤرخ الانجليزى «توماس أرنولد» أثر الإسلام وفضله على تلك المجتمعات، بعد وصفه لحال الرومان آنذاك بقوله :

«وهـكـذا أزال الإسـلام مـا أصـاب هـذا المجـتـمـع مـن فـساد وخرافات واضطراب» [2]

فارس والانهيار السياسي :

كـانـت بـلاد فارس تعيش اضطرابات ومنازعات لا تهدأ، وفتن لا تنقطع بـسـبـب تنافس الأكاسرة على العرش، وكان الواحد منهم يولي ثم يعزل بعد مدة قصيرة.

حـتـى لـقـد تـولـى الـعـرش في فارس ستة ولاة في أشهر قلائل، بسبب تـدخـل الجـنـود، ورجال الحرس الثورى، واطلاق أيديهم بالتصرف في شؤون الـدولـة، وأخـذهم يعملون السيف في رقاب حكامهم، يقتلونهم جهاراً، دون أن يأبهـوا لوازع نفسي، حتى سقطت هيبة الملك،وقَلَّتْ قيمة العرش، وعمت الـفـوضـى، وانـتـشر الـفساد، وأصبح من العسير العثور على شخص قادر على تولي الحكم، والقيام بمسؤولياته، يقول الطبرى :

«ان رجـال الـدولـة أخـذوا يـبـحـثـون عـن أمير مـن أمـراء البيت المالك ليجلسوه على سر ير الملك فوجدوا «فيروز مهران» فلما توج قال :

---

(١) الاسلام ظهوره وانتشاره ص٨٠.

(٢) الدعوة إلى الاسلام ترجمة الدكتور حسن إبراهيم ورفقاه؛ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٠هـ ـــ ١٩٧٠م. ص٢٣.

«ماأضيق هذا التاج (لأنه ضخم الرأس) فتطيروا من كلامه فقتلوه في الحال، ثم طلبوا واحداً من بيت المملكة ليملكوه، و يقاتلوا بين يديه، ويحفظوا بلادهم من الفتح الإسلامي، فظفروا «بيزد جر بن شهيار» فملكوه، ولصغر سنه كان الوزراء يديرون ملكه، حتى بلغت فارس غاية الضعف في عصره» [1].

وإضافة إلى تلك الفتن الداخلية، كانت المنازعات والحروب لاتهدأ بين تلك القوى في ذلك الزمان. وأشدها ضراوة ماكان بين القوتين فارس والروم، وفي بعض الأحيان كان عبدة النار يهزمون عبدة المسيح، و ينهبون أموالهم، و يأسرون رجالهم، وقد تكون الدائرة على الفرس فيغلبهم الروم، كما حصل في القرن السابع (الميلادي) عندما كانت الحرب سجالاً بين الامبراطور يتين. كما قامت الحروب بين الفرس وجيرانهم في الشرق والشمال والغرب من العرب والأتراك ولم تهدأ أبدا، مما تسبب في ضعف فارس بوجه خاص[2] .

وعند قيام الدعوة الإسلامية، واتضاح وجهتها وشمولها، كان موقف الروم والفرس معاداة الدعوة، ومحاولة القضاء عليها، وكان المسلمون في أول الأمر يرغبون في انتصار الروم ـــ لأنهم أهلَ كتاب ـــ على الفرس المجوس.

ونجد القرآن الكريم يتعرض إلى بيان شيء مما كان بين الطرفين في (سورة الروم) المكية مما يثبت للعالم كله عالمية الدعوة الإسلامية، وارتباطها بأوضاع العالم من حولها في كل زمان ومكان، خاصة عند ما كانت ناشئة

---

(١) تاريخ الطبري : الطبعة الأولى ؛ المطبعة الحسينية بالقاهرة جـ٢ ص٢٢.

(٢) انظر : مروج الذهب الطبعة الثالثة جـ١ ص٣٠٧ وكتاب (انتشار الاسلام حول بحر قزوين) جـ١ ص٣٨.

بمكة المكرمة لأنها دعوة مرتبطة بفطرة هذا الكون ونواميسه، بما فيها فطرة النفس البشرية[1] .

المبحث الثاني
حاجة العرب خاصة للدعوة

العرب وميزاتهم :

العرب أمة قديمة، تغلب عليها البداوة، ولم تنغمس في حمأة المدنيات المعاصرة لها وقت البعثة، ولذلك بَقِيَتْ فيهم بقايا من الخصال الحميدة، مثل علو النفس، وقوة البيان، وفصاحة المنطق، والرغبة في الحرية، والفروسية الفذة، والشجاعة التي لا تبارى، خاصة في الذود عن الشرف والعرض، والعقيدة وان كانت عقيدة فاسدة، مادامت ورثت عن الأباء.

إضافة إلى مامنحهم الله إياه من قوة الذاكرة، وجودة الحفظ، والوفاء بالعهد. ومع ذلك ابتلوا مثل غيرهم بالوثنية الطامسة، وبالانحطاط الديني، حتى سيطرت عليهم الوثنية. كما انتشرت بينهم الأدواء الخلقية والاجتماعية وعمتهم الجهالة، حتى سيطر عليهم عدة أدواء اجتماعية، وعادات سيئة : كشرب الخمر، وسبي النساء، ووأد البنات، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب.

ولعل أدق تصوير لحال العرب قبل أن يمّن الله عليهم بالإسلام، وهديه ما قاله جعفر بن أبي طالب[2] ــ رضى الله عنه ــ أمام النجاشي ملك الحبشة حينما سأله عن الدين الإسلامي، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال :

---

(١) يراجع تفسير القرطبي ج٦ (سورة الروم) منشورات دار الشعب، وتفسير فتح القدير للشوكاني الطبعة الثانية جـ٤ ص٢١٤ وفي ظلال القرآن الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م جـ٥ (سورة الروم).

(٢) هو جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ولد ونشأ بمكة كان من أوائل السابقين للإسلام، هاجر للحبشة واستشهد مجاهداً في غزوة مؤته في السنة الثامنة من الهجرة، انظر الإصابة لابن حجر منشورات نهضة مصر سنة ١٣٨٢هـ. وصفوة الصفوة لأبي الفرج الجوزي، الناشر دار الوعي بحلب جـ١ ص٢٠٥.

«أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، يأكل القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله فينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله، لنوحده ونعبده، ونخلع ماكنا نعبده نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا، بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، ولانشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال : فعدد عليه أمور الإسلام[1].

وروى البخارى في صحيحه عن سعيد بن جبير[2] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام، قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم إلى قوله فضلوا وما كانوا مهتدين»[3] .

ومما لاشك فيه أنه قد أصاب العرب ما أصاب الأمم الأخرى في تلك الأزمنة من جهل وخرافات، والتي تسمى(بزمن الفترة) لابتعاد الإنسانية عن عصر النبوات والصلاح[4] .

والعرب بالرغم مما كانوا فيه من جهل وضلال وابتعاد عن الحق، فقد كان واقعهم مهيأ لهم ليكونوا أهلاً لتحمل أعباء الدعوة، وتبليغ الرسالة، والنهوض بذلك الحمل الثقيل، لأن اختيارهم لتلك المسؤولية الكبرى،

---

(١) رواه أحمد في المسند جـ١ ص٨٢ (مسند جعفر بن أبي طالب) راجع أيضاً سيرة ابن هشام جـ١ ص٣٥٨.

(٢) سعيد بن جبير الأسدي من أعلم التابعين والمجاهدين في سبيل الله، أصله من الحبشة قتله الحجاج بواسط سنة ٩٤هـ انظر: البداية والنهاية جـ٩ ص٩٦ الطبعة الأولى والاعلام للزركلي الطبعة الرابعة جـ٣ ص٩٣.

(٣) صحيح البخاري جـ٢ ص١٧٨ (باب قصة زمزم وجهل العرب).

(٤) يراجع عن جهل العرب : البداية والنهاية جـ٢ ص١٩٠ (باب جهل العرب) ومقدمة ابن خلدون الطبعة الخامسة ص١٤٩ وما بعدها.

والأمـانه العظمى، ابتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، لم يأت جزافاً، أو يحـدث مـن بـاب الـصـدفـه، لأن هـذا الـتـكليف وهذا الاختيار والـتـكـلـيـف يـكفي فيه أنه من لدن العليم الخبير مصداق ذلك قوله تعالى : «ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ» (سورة الأنعام ١٢٤).

ولما كـان الـعـرب هم أول من واجهه الدعوة الإسلامية عند بعثته صلى الله عـلـيـه وسـلم، وأول من تحمل أمانة الايمان بدعوة الرسول صلى الله عليه وسـلـم، ونـشـرها إلى أرجاء الدنيا، ورسوله الذي اختاره تعالى خاتماً لرسله كان منهم ومن عشيرتهم، كما أن القرآن الكريم الذي أنزل على رسوله بلغت العرب، ونظراً لما كان لذلك من آثار في نجاح الدعوة الإسلامية.

فـقـد رأيـت تخـصـيـص بـعض الفقرات من البحث لبيان ما أصابهم من خلل ديني، وتفكك اجتماعي، وما حل بهم من منازعات واضطرابات كانوا بـسـببهـا أشـد من غيرهم حاجة إلى رسالة الإسلام، ودعوة الرسول صلى الله عـلـيـه وسلم بعد أن سبق بيان ما أصاب الأمم الأخرى من بعد عن طريق الحـق والـصـواب، واتباعهم كل ناعق، ولقد أجمل القرآن الكريم في بيان ما وصلت إليه الإنسانية في كل مكان، قال تعالى :

«ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ»(سورة الروم ٤١).

وفي بيان حال العرب خاصة جاء قوله تعالى :

« هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ »(سورة الجمعة ٢).

أ ــ الخلل الديني :

قد لايمـكـن تـقـدير قيمة فضل الإسلام، والرسول صلى الله عليه وسلم،

والدعوة الإسلامية على الإنسانية كلها، والعرب خاصة الا بعد الإلمام بتاريخ العرب، وواقعهم العقائدي، ومانتج عن اختلال العقيدة من تفكك اجتماعي، وفتن واضطرابات ومنازعات قبلية على مانلخصه في الآتي.

١ ــ بداية الانحراف في العقيدة :

يروى عن معظم المؤرخين أن العرب منذ تاريخ قديم كانوا على بصيرة من أمرهم، يتعبدون بشريعة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، بعد أن تلقوها من ابنه اسماعيل، وهي الحنيفية التي جاء محمد صلى الله عليه وسلم بها حتى طال عليهم الأمد، وابتعدوا عن زمن النبوة، وكثر فيهم الجهل، وقلت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الهدى، وجروا على شهواتهم، وافترقوا كل الافتراق، فضلوا وتفرقت مذاهبهم وعقائدهم[١] .

وكان السبب العام في أصل ذلك إغواء الشيطان، ووساوسه للإنسان، كما ورد في القرآن الكريم، ابتداء من اخراج أبينا آدم وزوجه من الجنة، ويعلل العلامة(ابن القيم) كيفية اغواء الشيطان لأولئك المشركين بقوله :

«وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام، وتعدد عقائدهم له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم»[٢] .

ويقول (ابن الجوزى)[٣] في هذا :

«كل محنة لبس بها ابليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والإعراض عن مقتضى العقل، ولما كان الحس يأنس بالمثل[٤] دعا ابليس

---

(١) مروج الذهب للمسعودي الطبعة الثالثة جـ٢ ص١٢٤.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم جـ٢ ص٢١٨.

(٣) ابن الجوزي : هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي علامة عصره في الحديث والوعظ والتاريخ، كثير التصانيف ولد ببغداد وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ. انظر: البداية والنهاية الطبعة الأولى ١٩٦٦م جـ١٣ ص٢٨ ــ والاعلام ــ الطبعة الرابعة جـ٣ ص٣١٦.

(٤) في نسخة : بالميل .

لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور، وأبطل هؤلاء عمل العقل بالمرة فنهم من حسّن له أنها الآلهة وحدها، ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم إنه لايوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا : «مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» [1]

ثم عقد فصلاً بعنوان «ذكر بداية نلبيسه على عبادة الأصنام» وذكر فيه قصة عمرو بن لحي الخزاعي، وجلبة الأصنام إلى بلاد العرب وأنه أول من غير دين اسماعيل، ونصب الأوثان، وسيب السائبة، ووصل الوصيله[2] (كما سيأتي) في الحديث الصحيح.

و يؤيد ذلك ماجاء عن ابن عباس رضى الله عنه، في قوله تعالى :

« وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا » (سورة نوح ﴿٢٣﴾) ان هذه أسماء أصنامهم التي يعبدونها من دون الله[3] .

وروى البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودّ : كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع : كانت لهذيل، وأما يغوث : فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ ـــ باليمن ـــ وأما يعوق : فكانت لهمدان، وأما نسر : فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت»[4] .

---

(١) تلبيس إبليس : لابن الجوزي الناشر ـــ دار الكتب العلمية بيروت ص٥٢.

(٢) المرجع السابق : ص٥٦.

(٣) تفسير ابن كثير الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٥هـ ـــ ١٩٥٦م جـ٧ ص١٢٦.

(٤) رواه البخاري جـ٣ ص٢٠٨ (تفسير : إنا أرسلنا) والطبري في تفسير جامع البيان في تفسير القرآن جـ٢٩ ص٦٢.

وهذا ماروى عن عكرمة[1] والضحاك[2] وقتادة وابن اسحاق[3] وغيرهم وقال الشوكاني[4] في تفسير الآية :

«أي لا تتركوا عبادة الآلهة، وهي الأصنام والصور التي كانت لهم، ثم عبدتها العرب بعدهم، وبهذا قال الجمهور، وهذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم في العبادة، قال لهم ابليس : لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأسوق إلى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم من بعدهم فقال لهم ابليس : إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم، فابتدأت عبادة الأوثان كان من ذلك الوقت، وسميت الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروهم على صورة أولئك القوم.

وقال عروة بن الزبير[5] وغيره : إن هذه كانت أسماء لأولاد آدم وكان ودّ أكبرهم[6] ومن هنا ندرك أن السبب العام لغواية العرب وحتى غيرهم من البشر هو الشيطان ووساوسه، وطرقه التي يتبعها مع الناس كل حسب حاله، ولذلك تعددت وتنوعت انحرافات العرب في العقيدة، وتعددت

---

(1) عكرمة : هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري مولى عبد الله بن عباس تابعي ــ كان من أعلم الناس في التفسير ــ طاف البلاد للعلم؛ توفي بالمدينة المنورة سنة ١٠٥هـ. وقيل ١٠٧هـ ــ انظر: البداية والنهاية الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ جـ٩ ص٢٣٣ ــ والاعلام الطبعة الرابعة جـ٤ ص٢٤٤.

(2) الضحاك : هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي الخرساني كان إماما في التفسير وله مدرسة يعلم فيها الأطفال حسبه توفي سنة ١٠٢هـ وقيل سنة ١٠٥هـ ــ وقيل غير ذلك انظر: البداية والنهاية لابن كثير الطبعة الأولى ١٩٦٦م جـ٩ ص٢٢٣ ــ والأعلام للزركلي الطبعة الرابعة جـ٣ ص١١٥.

(3) تفسير ابن كثير الطبعة الثالثة جـ٧ ص١٢٦.

(4) الشوكاني : هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ــ نسبة لهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن التي ولد بها، نشأ في صنعاء، كان فقيهاً مجتهداً ولي قضاء صنعاء ومات وهو حاكم بها سنة ١٢٥٠هـ ــ انظر: الأعلام جـ٦ ص٢٩٨.

(5) عروة بن الزبير : هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي المدني التابعي ــ أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ــ ولد سنة ٢٣هـ كان فقيهاً عالماً ورعاً ــ روى عن مشاهير الصحابة وهو أول من صنف المغازي اختلف في سنة وفاته ولكن المشهور أنه توفي سنة ٩٤هـ ــ أنظر: البداية والنهاية لأبي الفداء بن كثير؛ الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م. جـ٩ ص١٠١.

(6) فتح القدير للشوكاني : الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٤م. منشورات مصطفى الحلبي القاهرة جـ٥ ص٣٠٠.

معبوداتهم. حتى أصبح لكل قبيلة معبود من دون الله، اما من الأوثان أو الأصنام أو الجن أو النجوم أو غيرها، وكان من العرب من اتجه إلى الديانات الأخرى كأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وحتى أولئك أصابهم ما أصاب غيرهم من عبدة الأوثان والأصنام ان لم تكن حالهم أشد سوءا. وكان فيهم من بقي على الحنيفية ــ كما سيأتي ــ وهم قليل.

والدارس لعقائد العرب، وانحرافهم قبل الإسلام يجد اختلافاً حول الأسباب المباشرة لانحراف العرب، وإن كان السبب الأصلي هو غواية الشيطان كما سبق يتلخص الاختلاف فيما يأتي :

أ ــ التقليد : باتباع الزعماء، والآباء والأجداد، كفعل عمرو بن لحي الخزاعي الذي كان أول من جلب الأصنام إلى بلاد العرب ودليل ذلك الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبة في النار، وكان أول من سيّب السوائب»[1] .
وقال تعالى مخبراً عن حال أولئك :
« بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ » (سورة الزخرف ﴿٢٢﴾) وقال تعالى في الآية الأخرى : « إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ » (سورة الزخرف ﴿٢٣﴾).

ب ــ التعلق بالحرم : لكونه بيت الله، ومتعبد إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، فبقوا على دين إبراهيم بتعظيم الحرم، ومع مرور الزمن، وبعدهم عن عصر النبوة، أوصلهم هذا التعلق، إلى عبادة أحجار الحرم، ثم انتقلت العدوى إلى غيره من الأحجار[2] .

---

(١) رواه البخاري جـ٢ ص٢٦٨ (كتاب بدء الخلق باب قصة خزاعة) ومعنى قصبة: القصب اسم للأمعاء كلها وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء (لسان العرب) جـ٣ ص٩١.

(٢) انظر : السيرة لابن هشام جـ١ ص٨٢ والبداية والنهاية جـ٢ ص١٨٨.

يقول أبو المنذر الكلبي[1] :

«كان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة إنه لا يظعن من مكة ظاعن الاّ احتمل معه حجراً من الحرم، تعظيماً للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحباً له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون و يعتمرون على ارث إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، ثم سلخ بهم إلى أن عبدوا مااستحسنوا، ونسوا ماكانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم»[2] .

ج ـ **الشفاعة والقربى** : لقد كان العرب يعتقدون في الله إنه اله أعظم، خالق الأكوان، بيده ملكوت كل شيء، قال تعالى عنهم : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (العنكبوت ٦١).

ولكن ما كانت حوصلة فكرهم الجاهلي البعيدة العهد بالرسالة والنبوة والمفاهيم الدينية تسيغ أن دعا أحد من البشر يتطرق إلى السموات العلى، ويحظى عند الله بالقبول مباشرة، بغير واسطة وشفاعة، قياساً على عاداتهم، وأوضاع ملوكهم الفاسدة، فبحثوا لهم عن وسطاء توسطوا بهم إلى الله، واشركوهم في الدعاء، وقاموا نحوهم ببعض العبادات، ورسخت في أذهانهم فكرة الشفاعة حتى تحولت إلى عقيدة تصوروا بها قدرة الشفعاء على النفع والضر، حتى ترقوا فاتخذوا من دون الله آلهة[3] قال تعالى :

---

(١) الكلبي : هو أبو المنذر محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي عالم بالتفسير وأيام العرب وأخبارهم ولد بالكوفة وتوفي بها سنة ١٤٦هـ ـ انظر: الفهرست لابن نديم ص١٣٩. الناشر دار المعرفة بيروت.

(٢) كتاب الأصنام المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ ص٦.

(٣) انظر كتاب عصر النبي وبيئته قبل البعثة، محمد عزه دروزه الطبعة الثانية ص٥٢٩.

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ »
(سورة الزمر : ٣) .

د ــ يروي الكلبي أن سبب عبادة العرب للأصنام هو اتخاذهم اسافا ونائلة

وهما صنمان على موضع زمزم كانت العرب تعبدهما وتنحر عندهما، و ينقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما[١] .

قال ابن اسحاق[٢] :

«واتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم، ينحرون عندهما وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم، هو اساف بن بفي، ونائلة بنت ديك. فوقع اساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرتين»[٣] وأخرجوهما من البيت، ووضعوهما فعبدتها خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب[٤] .

ونقل ابن اسحاق عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت :

«مازلنا نسمع أن اسافا ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم احدثا[٥] في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين[٦] .

و بعد هذا العرض لآراء العلماء في هذا الموضوع فالذي نرجحه أن عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من جلب عبادة الأصنام إلى بلاد العرب، لورود الحديث الصحيح في ذلك، وأن الأسباب الأخرى التي أوردناها كانت نتيجة لفعل عمرو بن لحى هذا.

---

(١) انظر : كتاب الأصنام ص٨ وما بعدها.

(٢) ابن إسحاق : هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة المنورة، زار الاسكندرية واستقر في بغداد وسكنها حتى توفي بها سنة ١٥١هـ انظر البداية والنهاية لابن كثير الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ جـ ١٠ ص ١٠٥ والأعلام للزركلي الطبعة الرابعة جـ٦ ص٢٨.

(٣) سيرة ابن هشام جـ١ ص٨٦.

(٤) كتاب الأصنام ص٨.

(٥) المراد بالحدث : الفجور.

(٦) سيرة ابن هشام ص ٨٦ جـ١.

٢ ــ المعتقدات عند العرب :

لقد أصبح الشرك عقيدة العرب في الجاهلية، حتى شغلت مظاهر الشرك حيزاً كبيراً في عقائدهم وأديانهم، سواء الذين جعلوا الشرك دينهم، أو الذين اعتبروا شركاءهم وسطاء لهم عند الله، كما دل على ذلك القرآن الكريم الذي فيه عدد من الآيات الكريمة تبين عقائد العرب وأديانهم، وتلك الآيات وان كانت بصدد تفنيد عقائدهم، وبيان ضلالتهم، فالقرآن الكريم هو المصدر الأول المهم الذي يوثق فيه، ولا يعتريه الشك عند البحث في شأن أولئك الأعراب وأحوالهم أو غيرهم من الأمم.

وما زال العرب على تلك الأحوال من الانحراف في العقيدة حتى نسوا أصول عبادتهم، وتمسكوا بما ورثوه عن الآباء والأجداد، حتى جاء الإسلام بعقيدة التوحيد الخالص، وحررهم من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، وحال بينهم وبين العبودية الساقطة.

وقد أصبح العرب قبل الإسلام فرقا في معتقداتهم ودياناتهم : فكان منهم المؤمن بالله المصدق بالبعث والجزاء والحساب (١) ــ وقليل ماهم ــ ومنهم من أقر بالخالق، ونوع من الاعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام وحجوا وأحلوا، وهم الدهماء من العرب، واقرارهم هو الذي يسمى توحيد الربوبية (٢) .

قال تعالى : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ » (سورة الزمر : ٣٨).

وكانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام التقرب لله تعالى (٣) الذي قال فيهم مخبراً عن قولهم :

---

(١) مروج الذهب للمسعودي الطبعه الثالثة ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ج٢ ص ١٠٢.

(٢) والدهماء : المراد بهم الدهاء أو الكثرة من الناس

(٣) مروج الذهب ج٢ ص١٠٣.

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » (سورة الزمر : ٣).

ولقد كانت شبهات العرب كثيرة : مثل الشرك، وانكار البعث وجحد ارسال الرسل، قال تعالى حاكياً شكهم وانكارهم :

« أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ » (سورة الصافات ﴿١٧﴾).

و يقول شاعرهم :

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو[1]

وكان في العرب من عبد الشمس كحمير وزعموا أنها ملك من الملائكة، وهي أصل نور القمر[2]. وكان من شدة تعظيمها أن تسمو بها كقولهم «عبد الشمس» [3].

وكان منهم دهريون عطلوا المصنوعات عن صانعها[4] وقالوا[5] ما حكاه تعالى عنهم : «وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ» (سورة الجاثية ﴿٢٤﴾).

وكان من العرب صنف يصبو إلى الصابئة وهم الذين يعتقدون في الأنواء(النجوم) وهي أمة كبيرة، ومن قريش زنادقة أخذوها من الحيرة،

---

(١) ينسب هذا البيت لابن الزبعرى.

(٢) النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية، المؤلف عمر القلوصي الطبعة الأولى ١٣١١هـ ص ٥٦.

(٣) تاريخ العرب القديم جواد علي ج٥ ص ٣٧.

(٤) بلوغ الأرب ج٢ ص ٢١٢.

(٥) وقد قام العلامة ابن القيم رحمه الله بتنفيذ مزاعم الدهريين، وأبطل حججهم في كتابه القيم(مفتاح دار السعادة) انظر : ج١ ص ٢٦١.

وديانتهم لا تختلف عن الثنوية في فارس[1] كما يقول(ابن قتيبة)[2].

كما كان من العرب من عبد الجن، وتعوذ بهم وخافهم قال تعالى:
«وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» (سورة الجن ٦)

وقال بعض المفسرين:
«كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فأحس في واد قفر، وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم، فيبيت في جوار منهم حتى يصبح»[3]

وفي كتاب الأصنام «كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن»[4] وكان من العرب من عبد النار، ويروى أن ذلك سري إليهم من الفرس[5].

وقد اعتقد العرب في بعض ماشاع بينهم من عادات، وأصبحت لهم عقائد لازموها، وسيطرت على مشاعرهم، وأكثرها خرافات كالكهانة والعرافة وزجر الطير، وما يرونه في الهاتف والجان والطيرة والشيطان، وغيرها، وقد أفرد المسعودي في كتابه (مروج الذهب) فصولاً عجيبة عما كان يعتقده العرب في ذلك[6].

والقرآن الكريم يورد في مواضع كثيرة بياناً شافياً لما أحدثه العرب في

---

(١) كتاب المعارف الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ص ٢٦٦.
(٢) ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، ولد سنة ٢١٣هـ اشتغل بالعلم، وصنف في اللغة العربية والأدب والتفسير وعلوم القرآن، ولي القضاء بمصر وتوفي بها سنة ٢٧٠هـ انظر: البداية والنهاية ج١١ ص ٤٨.
(٣) تفسير غرائب القرآن للنيسابورى الطبعة الثانية ج٢٩ ص ٥٩.
(٤) كتاب الأصنام ص ٣١٤.
(٥) بلوغ الارب ج٢ ص ١٧٩.
(٦) انظر: مروج الذهب ج٢ ص ٣٢ وما بعدها.

دين إبراهيم عليه السلام من عادات توارثوها عن آبائهم، ما أنزل الله بها من سلطان، وأصبحت لهم سلوكاً وعقيدة.

فكان من الذي ابتدعوه وزعموه ديناً (الحُمْس) وهو مأخوذ من الشدة لأنهم قالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم، وولاة البيت فليس لأحد من العرب مثل حقنا ومنزلتنا حتى تركوا الوقوف بعرفة والافاضة[1].

روى مسلم في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله عز وجل نبيه أن يأتي عرفة ويقف بها ثم يفيض منها»[2].

وكان مما أحدثوه افتراء على الله وتحايلاً على شرعه نسيئهم للشهور في الجاهلية بجعل الشهر من الأشهر الحرم، مكان الشهر من أشهر الحل، لحاجتهم للحرب والغارات، ولذا قال رسول الله في حجة الوداع :«ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض[3]».

وحج صلى الله عليه وسلم في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته الصحيح.

ومما ابتدعوه تصنيفهم لبعض الأنعام التي كانوا يطلقونها لمعبوداته وآلهتهم بشروطهم التي افتروها على الله تعالى :
« مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ »(سورة المائدة ١٠٣) ومن معانيها :
البحيرة : الناقة التي تشق أذنها وتنتج خمس أبطن آخرها ذكر، السائبة :

(١) انظر : سيرة ابن هشام، تحقيق محمد عبدالحميد طبعة ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م ج١ ص ٢١٦.

(٢) رواه مسلم ج٢ ص ٨٩٤ (كتاب الحج) باب(في الوقوف وقوله تعالى : ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس).

(٣) رواه البخارى ج٣ ص ١٣٥ (كتاب التفسير سورة براءة).

المخلاه المسيبة حيث كانوا في الجاهلية اذا نذر الرجل لقدوم سفر، أو برء من مرض مثلاً قال : ناقتي سائبة[1] . الوصيلة : أنثى الغنم اذا ولدت فحلا بعد أنثى سيبوها[2] ، وقيل الأنثى اذا ولدت مع ذكر[3] . الحامي : الفحل اذا نتج عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره[4] .

والله تعالى ــ بهذه الآية ــ يذمهم على صنيعهم هذا، ويكشف كذبهم وجهلهم، وافتراءهم على الله الأعظم.

٣ ــ الحنيفية عند العرب :

سبق القول إنه كان في العرب الموحد المؤمن المصدق بالبعث والجزاء والحساب، واستبصر ببصيرته فاعترف بوجود الله ووحدانيته، ولم يدرك دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بقي على أصل فطرته « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا »(سورة الروم ٣٠) وهم البقايا الذين لم يغيروا دين إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، من تعظيم البيت والطواف والحج والعمرة[5] .

ويسمون «الحنفاء» وهم فريقان :

١ ــ من بقي على أصل التوحيد. ٢ ــ من اتبع من بقيت شريعته ولم تنسخ ملته ــ آنذاك ــ كعيسى بن مريم وهم نزر قليل، ولقد كان الباقون على التوحيد أكثر سموا من غيرهم في العقائد والسلوك، ولكن لم تكن لهم المقدرة على تغيير مجتمعهم. وعادات قومهم.

قال ابن اسحاق : «كان نفر من قريش زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، وعبدالله بن

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص ٥٩١.

(٢) تفسير القرطبي ج٣ ص ٢٣٣٤.

(٣) أحكام القرآن للجصاص، المطبعة البهية بمصر ج٢ ص ٥٩١.

(٤) تفسير القرطبي ج٣ وأحكام القرآن ج٢ ص ٥٩١.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني الطبعة الثانية، منشورات دار المعرفه بيروت ج٣ ص ٣٣٣.

جحش، حضروا قريشاً عند وثن لهم، كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا :

تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض فقال قائلهم : تعلمن والله ما قومكن على شيء، لقد أخطأوا دين إبراهيم، ماحجر نطيف به لايسمع ولايبصر!! ولا يضر ولا ينفع ياقوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلد ان يلتمسون الحنيفة دين إبراهيم» [1] وفي رواية ابن كثير يلتمسون أهل الكتاب[2] .

قال ابن اسحاق :

أما ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث فتنصرا، وأما عبد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، فتنصر وهلك نصرانياً، وخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان».

وأما زيد بن عمرو بن نوفل فوقف ولم يدخل يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه واعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل المؤدة، وقال أعبد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيب ماهم عليه[3] ».

وروى عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قوله :

ان يزيد بن عمرو بن نوفل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول :

الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض

---

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٤٢.

(٢) البداية والنهاية ج٢ ص ٢٣٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٤٣.

الكلأ ثم أنتم تذبحونها على غير اسم الله[1]». ولذا كان لا يأكل الا ماذبح على اسم الله وحده[2] .

وكان من أشهر الموحدين في ذلك الزمن وهو زمن الفترة خالد بن سنان العبسى وقس بن ساعده الايادي،وعامر العدوانى[3].

والعرب بالرغم مما كانوا فيه من شرك وجهل وضلال قد حرموا أشياء نزل القرآن بتحريمها، فقد كانوا لاينكحون الأمهات ولا العمات ولا الخالات ولا البنات، ومنهم من كان يحافظ على بعض العبادات؛ فكانوا يغتسلون من الجنابة، و يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، وكان فيهم من يداوم على السنن كالمضمضة، والاستنشاق وقص الشارب[4] .

كما كانت قريش تصوم يوم عاشوراء، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه قبل البعثة روي البخارى في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت :

«كان عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما نزل رمضان كان من شاء صامه ومن شاء لا يصومه»[5].

٤ ـ الوثنية والأصنام عند العرب :

لقد أصبح الشرك هو دين العرب العام، بعد قيام عمرو بن عامر بن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٥٩.

(٢) البداية والنهاية ج٢ ص ٢٣٧.

(٣) انظر : البداية والنهاية ج٢ ص ٢١١، ٢٤٠ والملل والنحل للشهرستانى الطبعة الثانية ج٣ ص ٣٣٣.

(٤) كتاب الأصنام ص ٣٩.

(٥) رواه البخارى ج٢ ص ٣١٧ (باب أيام الجاهلية) كما رواه مسلم بهذا اللفظ (صحيح مسلم ج٢ ص ٧٩٢، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشورا).

لحي الخزاعي ــ على قول أكثر المؤرخين ــ بتغيير دين اسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان، وسيب السوائب، ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة، وحمى الحامية بعد أن نازع جرهما على ولاية البيت وظفر بهم، وتولى حجابة البيت، ثم انه مرض مرضاً شديداً فقيل له : ان بالبلقاء من الشام حمه ان أتيتها برأت، فاستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ماهذه؟ فقالوا : نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة [1] .

روى البخاري عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

«رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبة في النار، وكان أول من سيب السوائب [2] ».

وقال ابن اسحاق : «حدثني محمد بن إبراهيم بن الحرث التميمي، أن أبا صالح السمان حدثه إنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي :

«يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به، ولا بك منه» فقال أكثم : عسى أن يضرني شبهه يارسول الله، قال : «لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين اسماعيل : فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي» [3] .

ولقد كان أقدم أصنام العرب مناه، وكان منصوباً على ساحل البحر

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ج١ ص ٨٢.

(٢) رواه البخارى ج٢ ص ٢٦٨.

(٣) سيرة ابن هشام ج١ ص ٨١.

الأحمر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة، وكانت العرب تعظمه وتسمى «عبد مناه» وتذبح له، ثم اتخذوا بعده اللات، وكانت صخرة مربعة في مكان قبر يهودي يلت السويق للحجاج بالطائف. ثم العزى شجرة بوادي نخلة كانت العرب تعظمها وتذبح عندها، وقد بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عام الفتح وأمره بعضدها وقطعها[1]، قال تعالى :

« أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ » (سورة النجم : ١٩ — ٢٠) وقد هوت بهم عبادة تلك الأصنام إلى الحضيض في الجهل والخرافة والانحراف عن طريق الهدى، حتى عبدوا الأشجار، وقطعوا الحجارة، وتلال الرمل بعد أن يحلبوا عليها، روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال :

«كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاء فحلبناها عليه ثم طفنا به»[2].

وهكذا ما ان كثرت لديهم الأصنام، وتنوعت طقوس عبادتها، حتى أصبحت جزءا من حياتهم، وأضحت من الكثرة، بحيث يصعب حصرها أوعدها.

ولقد كان حول الكعبة التي بنيت لعبادة الله وحده عند فتح مكة المكرمة ثلاثمائة وستون صنماً، وقد أمر صلى الله عليه وسلم باخراجها، وأبى أن يدخل البيت وفيه الأوثان، وكان مما أخرج سورة سيدنا إبراهيم واسماعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام فقال صلى الله عليه وسلم : «قاتلهم الله لقد عملوا ما استقسما بها قط»[3].

---

(١) انظر : كتاب الأصنام ص ١٤ وسيرة ابن هشام ج١ ص ٨٧ وما بعدها.

(٢) صحيح البخارى ج٣ ص ٧٩ (كتاب المغازى باب وفد بنى حنيفة) ومعنى جثوه : كمية قليل من التراب يضم بعضها إلى البعض.

(٣) صحيح البخارى ج٣ ص ٦٢(باب فتح مكة).

ولم يزل الأمر يستفحل فيهم، و يقوى أمره مع إمعانهم في الجاهلية، حتى انغمست كل الأمة في الوثنية، وأصبح لكل قبيلة وناحية صنم.

وهكذا انحدرت أمة بأكملها إلى الهاو ية في عبادتها، وأخلاقها نتيجة البعد عن طريق الحق، واتباع أسباب الغواية، والضلال من الهوى والشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، و بسبب شقاوة أحد أبنائها، وهو عمرو بن لحى الذي جلب عبادة الأصنام إلى بلاد العرب، فارتكب اثما عظيماً، وزوراً كبيراً.

٥ ــ اليهودية والنصرانية عند العرب :

إضافة إلى الوثنية التي كانت الدين العام عند العرب، فقد عرفوا الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية.

أولا : اليهودية : لقد كانت معرفة العرب لليهودية عن طريق الدعوة العامة التي يعززها سلطان الرؤساء على نحو ما حدث في اليمن[١] .

أوعن طريق الهجرة الجماعية من اليهود نتيجة القمع والتشريد حيث هاجر بنو النضير و بنو قريظة جملة واحدة إلى يثرب واستقروا فيها[٢] .

ولكن الخلاف قائم بين المؤرخين في تاريخ دخولهم ووسيلتهم في ذلك، لأن المعروف عن اليهود المتأخرين عدم الدعوة للدخول في اليهودية لأنهم يرون أنفسهم شعب الله المختار!(٣)].

وكان من أهم مواطن اليهود بعد يثرب في شمال جزيرة العرب تيماء وفدك وخيبر، لأنها عبارة عن حصون منيعة، تساعد اليهود على التحصن

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٣.
(٢) انظر : الفصل في الملل والنحل لابن حزم طبعة ١٣٢١هـ ج١ ص ٤٩.
(٣) انظر : مطلع النور للعقاد الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م ص ٤٨.

والاحتماء، خشية وقوع الأذى عليهم من أعراب البادية، وفتاك[1] القبائل، واشتغلوا في التجارة والسعي إلى الكسب، وجمع المال لما عرف عنهم من شهوة في حب المادة، والتصرف في وسائل الانتاج، واستعملوا كل وسيلة مشروعة، وغير مشروعة، وأخذوا في بث الفرقة بين العرب ليخلوا لهم الجو، وسيطروا على الناس بالتعامل بقروض الربا والدسائس[2].

ويرى بعض المؤرخين أن بطونا من نمير وكنانة وكندة وبني الحارث عرفت اليهود من جوارها لطريق المدن التي يسكنها اليهود[3].

وعلى كل الأحوال فجزيرة العرب لم تفد من أولئك اليهود إلا الشر المستطير والفتن والمنازعات القبلية، واشعال جذوة الوثنية فيها كما يقول الأستاذ العقاد[4] :

«ولقد كان يحسب لهؤلاء اليهود أثر في مقدمات الدعوة الدينية أو مقومات النهضة القومية الإنسانية بعبارة أخرى، لو أنهم أفادوا العرب من حولهم دروساً في التفكير والأخلاق، تكشف لهم عن سخف الجاهلية، وتهيء ضمائرهم لما هو أصح منها وأقرب إلى التقدم والهداية، هذا أو تكون حياتهم بين العرب قدوة صالحة».

«ولكنهم لم يصنعوا هذا ولا ذاك، وصنعوا في أكثر الأحيان نقيض هذا وذاك، لأنهم لم يكترثوا لأمر المتهودين من قبائل العرب الاليننتفعوا بولائهم وحراستهم لتجارتهم في الطريق، فلم يكن بين الجاهلين المتهودين الوثنيين فرق في العادات والأخلاق، الا أن يكون فرق الشجاعة والرجولة في جانب

---

(١) الفاتك : الجريء وجمعها فتاك.

(٢) انظر : مطلع النور للعقاد الطبعة الأولى ص ٤٨.

(٣) المرجع السابق ص ٤٨.

(٤) العقاد : هو عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد ــ كاتب مصرى معاصر من كتاب القرن الرابع عشر الهجرى، ولد بأسوان سنة ١٣٠٦هـ له مصنفات كثيرة مشهورة توفي بالقاهرة ودفن بأسوان سنة ١٣٨٣هـ انظر الأعلام الطبعة ج٣ ص ٢٦٦.

الوثنين، يمتازون به على الذين تعودوا اللياذ بالآطام والتعلق في حروبهم وسلمهم بذرائع المساومةوالنفاق!! [1]

وقد كان يهود يثرب قدوة سيئة ، في كل علاقة بينهم وبين العرب، أو بين أنفسهم في جوار المدينة، فقد كانت سياستهم ــ كما هي في كل زمان ومكان ــ قائمة على الايقاع بينهم، واثارة الأحقاد في المتخاصمين منهم. كلما جنحوا إلى النسيان، وتعاهدوا على الصلح والأمان، ولزم اليهود أنفسهم داؤهم القديم، من الشقاق والمشاكسة حيثما اجتمعوا في مكان واحد [2] .

وكان من حقدهم على غيرهم، ونشرهم الفتن والفساد في الأرض إشعالهم الحرب بين الأوس والخزرج في يثرب، ثم كان موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بعد الهجرة الذي اتسم بالعداوة، وانتظار ماتكون عليه الخصومة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقومه من المشركين، حيث كانوا ينتظرون قضاء الطرفين على بعضهما ليصفى لهم الأمر في النهاية، وعندما أحسوا بانتصار المسلمين بدأوا يظهرون العداوة للمسلمين.

وقد كانوا يقابلون إحسان العرب الذين آووهم، وعطفوا عليهم في جزيرتهم بالعداوة والبغضاء، حتى قضى الله عليهم بالجلاء من المدينة، بل والجزيرة كلها، وانتصر المسلمون على اليهود باذن الله.

ومواقف اليهود تلك ليست مستغربة من تلك الفئة التي كتب عليها الذل والهوان والخسران المبين.

ولذلك نجد التاريخ يعيد نفسه فهم الآن قابلوا تسامح المسلمين، وعطفهم في سائر بلادهم بالعداوة والبغضاء والاعتداء على المسلمين،

---

(١) مطلع النور للعقاد الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م ص ٥١.

(٢) مطلع النور ص ٥١ وما بعدها.

بطردهم من بلادهم وقتل أبنائهم، واستحلال أموالهم ونسائهم، وابادتهم بجميع وسائل الإبادة، ولم يقفوا عند حد اغتصاب فلسطين والبيت المقدس بل يصرحون أن هدفهم من الفرات إلى النيل.

ثانيا : النصرانية :وإلى جانب اليهودية عرف العرب النصرانية التي كانت ذائعة في البلاد المحيطة بالجزيرة كالشام ومصر والحبشة، ولقد كان النصارى يتعبدون بنشر ديانتهم والتبشير بها، فيجوبون البلاد متحملين المشاق في سبيل نشرها.

وينقل (ابن اسحاق) أن أول ماعرفت النصرانية ببلاد العرب بنجران بعد قدوم «فيمون» الذي كان رجلاً صالحاً من بقايا دين عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ مجتهداً زاهد في الدنيا مجاب الدعوة، وكان سائحاً ينزل بين القرى حتى استقر في نجران ونشر دينه[١] .

وبعد فترة عرفت النصرانية كثيراً من أرجاء الجزيرة.

فإضافة إلى الغساسنة في الشام عرفت الحيرة بالعراق النصرانية، كما دانت بها تغلب، وتنصر من قريش بنو أسد[٢] .

ودخلت النصرانية إلى اليمن كذلك في القرن الرابع (الميلادي) على أرجح الروايات، وانتشرت بحكم العامل السياسي والديني والتجاري[٣] .

وعلى كل الأحوال فالعرب لم يستفيدوا من هاتين الديانتين، لكونهما صورتين لليهودية والنصرانية في بلاد الروم والشام، وقد طرأ على أصلهما التحريف والوهن وسوء الاعتقاد، وكثرة الخلاف والشقاق. مما وجب معه

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ج١ ص ٣٠.

(٢) انظر : الملل والنحل لابن حزم ج١ ص ٤٩ وتاريخ الطبرى الطبعة الأولى ج١ ص ٣.

(٣) انظر : عالمية الدعوة الإسلامية للدكتور /علي عبدالحليم محمود الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م ص ٧٩.

تجديد الدعوة الحنيفية بالدعوة الإسلامية، وما أن انبلج صبح الدعوة حتى كتب الله لها النجاح والنصر لتقضي على تلك الدعوات المحرفة، والتي عشعش الشيطان في رؤوس أصحابها.

ب ـ الخلل الاجتماعي والسياسي :

سبق الحديث عن فساد عقيدة العرب، وسيطرة الأوثان عليهم، وعلى تصرفاتهم حتى أصبح الشرك هو الدين العام لديهم، نظراً لبعدهم عن عصر النبوة، ودعوات الخير والصلاح، كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

« لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ (سورة القصص ٤٦) وقوله تعالى :

« هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ »(سورة الجمعة : ٢).

مما كان له عظيم الأثر على واقع الأمة الاجتماعي والسياسي، بعد أن أصيبوا في العقيدة، خاصة عندما تحدثنا عما أصاب غيرهم من الأمم ولا سيما ـ أهل الكتاب ـ الذين كانوا أمل الإنسانية ورجاها.

وإذا كان الأمر كما ذكر فليس مستغرباً أن ترين على المجتمع الجاهلي، تلك الظلمات وتتراكم عليه تلك السحب الثقيلة، ظلمات بعضها فوق بعض حتى يهوى إلى الدركات، بعد أن انتشرت بينهم بسبب ذلك، الأدواء الخلقية، والأمراض الاجتماعية : من شرب الخمر، والادمان عليه، وتعاطي القمار، والتعامل بالربا بشتى صوره التي سيطرت على قلوبهم حتى قالوا : «إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ »(سورة البقرة : ٢٧٥) إلى استحلال الزنا وغيره من المنكرات.

من بين تلك الظلمات يشرق نور الهداية، و يظهر الحق، لينشر العدل و يعم الرخاء والأمن، وتعم السعادة، لكن من أين؟

من بين جبال مكة الشامخة، ووهادها[1] الوادعة، من جوار أول بيت وضع للناس، من مكة المكرمة، من البلد التي شهدت أول دعوة للحق، على يدى إبراهيم عليه السلام، فتأتى دعوة الإسلام، مجددة لتلك الدعوة بعد أن تخلى عنها أهل الأديان السابقين من أهل الكتاب.

وما دام الأمر كذلك فلابد من التعرض إلى بيان شيء مما أصاب جزيرة العرب من اختلال في الاجتماع، وما نتج عنه من فساد في الأخلاق، وتسلط قبلى، وانهيار سياسي.

١ ــ سيطرة الأدواء الخلقية والشهوات :

لقد تفشى في المجتمع الجاهلي كثير من الأدواء الخلقية التي ألفوها وشاعت بينهم حتى وان رفضها العقل السليم.

منها شرب الخمر، ومعاقرتها إلى حد الادمان، والمفاخرة بشربها والتفنن فيه، ووصفها في أشعارهم التي كانت وسيلتهم الفكرية الشائعة، لما كانت تحدثه فيهم من لذة وحيوية، قال حسان بن ثابت في جاهليته يبين أثر الخمر فيهم، و يفاخر في شربها[2] :

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسداً لا ينهنهنا اللقاء

وكان مما شاع بينهم تعاطي القمار والميسر، وإضاعة أوقاتهم في مجالسها، وإهدار أموالهم فيها، قال ابن عباس :

---

(١) وهاد : مفردها وهد، وهو المنخفض المطمئن، والوادعة من وديع : أى ساكن.

(٢) فتح القدير للشوكانى الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٤م ج١ ص ٢٥٥.

«كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله، فأيهما قمر صاحبه ذهب بماله وأهله»[1].

قال القرطبي[2] : «الميسر قمار العرب بالأزلام»[3].

وقال الزهري[4] : «الميسر الضرب بالقداح على الأموال والثمار»[5].

حتى كانوا يعدون من العيب والنقيصة عدم لعب القمار[6].

ورسخت في أذهانهم بعض العادات والخرافات، التي أصبحت جزءاً من اعتقادهم، لايملكون إلا التسليم لها، والانقياد لنتائجها، كالاستقسام بالأزلام، وزجر الطير وهو ما أسموه : بالسانح أى المرجو، والبارح : المخوف وتفاؤلهم ببعض النجوم وتشاؤمهم بالآخر[7].

كما شاع بينهم تعاطي الربا، والتعامل فيه إلى حد الاجحاف والقسوة والظلم، وأكل المال بالباطل، قال الطبري :

«كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السنين، وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل فإذا

---

(١) تفسير القرطبي ج١ ص ٨٦٠.

(٢) القرطبي : هو أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن أبي بكر الخزرجي القرطبي ولد بقراطبة بالأندلس توفي سنة ٦٧١هـ ــ صاحب التفسير المشهور.

(٣) تفسير القرطبي ج١ ص ٨٦٠.

(٤) الزهري : هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري من أهل المدينة المنورة أحد كبار الحفاظ والفقهاء، وأول من دون في الحديث توفي سنة ١٢٤هـ.
انظر : البداية والنهاية ج٩ ص ٣٤٠. والأعلام ج٧ ص ٩٧.

(٥) فتح القدير ج١ ص ٢٥٥.

(٦) انظر : ماذا خسر العالم للندوى الطبعة العاشره ص ٦٦.

(٧) مروج الذهب للمسعودي الطبعة الثالثه ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ج٢ ص ١٤٨.

حل طلبه من صاحبه فيقول له الذي عليه المال: أخر عني دينك وأزيدك علي فيفعلان[1] ».

قال تعالى في التحذير من حالهم :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً »(سورة آل عمران : ١٣٠) ولقد رسخ فيهم هذا وجرى مجرى الأمور الطبيعية[2] حتى قالوا «إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ »(سورة البقرة : ٢٧٥).

كما انتشر بينهم الزنا وأصبح غير مستنكر، وكان من عادات بعضهم اتخاذ عددٍ من الخليلات، وكان فيهم من يكره النساء على البغاء ليأخذوا أجورهن.

روى مسلم ــ بسنده ــ عن جابر رضى الله عنه قال : كان عبد الله بن سلول[3] يقول لجارية له : اذهبي فأبغينا شيئاً»[4] .

فأنزل الله تعالى : « وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا » (سورة النور ٣٣).

وكانت تشيع فيهم صور شتى للنكاح، كنكاح الاستبضاع، ونكاح المتعة والشغار[5] .

وكان من صور النكاح لديهم أن يجتمع الرهط لدى المرأة فيدخلون عليها

---

(١) تفسير الطبرى الطبعة الثانية بدار المعرفه ج٤ ص ٥٩.
(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص جـ١ ص ٤٦٥.
(٣) عبدالله بن سلول : هو عبدالله بن أبي بن سلول بن عوف الخزرجى رأس المنافقين في المدينة، كان مؤذياً للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه خاذلاً لهم، نزل القرآن بكشف أمره، وبيان ضلاله، هلك بالمدينة منافقاً قبل وفات الرسول صلى الله عليه وسلم.
انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ١٤٨.
(٤) صحيح مسلم جـ٤ كتاب التفسير.
(٥) صحيح البخارى جـ٣ ص ٤٢٥.

فإذا حبلت ألحقته بمن شاءت منهم، حتى لقد روي أن بعض البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً لمن أرادهن!

فحرم الإسلام كل ذلك الا النكاح المشروع كما جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها[1] .

وإذا كانت هذه حال الجاهلية التي بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقضى على بدعهم وضلالهم، فما أشبه الجاهلية المعاصرة بتلك الجاهلية الأولى، وما أحوج الإنسانية إلى دعاة مصلحين، يدعون إلى الله على بصيرة، و يدلون الإنسانية طر يق الهدى.

٢ ــ تسلط النظام القبلي والعصبية :

كان أكثر العرب في جز يرتهم بدوا يعيشون على الرعي، وتربية الماشية، والترحال وراء الماء والكلأ في القفار الواسعة، اضافة إلى ما كانت عليه بلادهم، من طبيعة قاسية نتيجة للحرارة الشديدة في الصيف، والبرد القارس في الشتاء، الا في بعض الواحات أو الحواضر كالطائف ومكة والمدينة، علاوة على ماكان عليه مجتمعهم من أمية وجهل فقد أثرت تلك الأسباب في حياة أبناء الجزيرة، وأوجدت لديهم عدم الاستقرار، وأصبح أولئك البدو من أهل الحواضر بمنزلة الوحش غير المقدور عليه، مما يصعب معه خضوع ابن البادية لسلطان أو نظام، وغدت القوة هي السيطرة، وعم السلب والنهب، وكان أحدهم لا يأمن على نفسه أو عرضه أوماله، وعند فقدان الرابطة الدينية لم يكن من رابطة تجمع بينهم للوقوف في وجه ذلك الوضع إلاّ رابطة الدم، وعلاقة القربى، والتعصب القبلي، حتى شاع بين العرب قولهم المشهور (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وأصبحت عادات القبيلة هي

---

(١) رواه البخارى جـ٣ ص ٢٤٨ (كتاب النكاح باب من قال لا نكاح الابولىّ).

النظام والقانون، وغدت قوة القبيلة هى الحكومة والسلطان، وهى المناصرة لأفرادها، والحامية لهم من القبائل الأخرى [1].

وما كاد يكون للقبيلة ذلك الدور حتى وجدت لديهم الفوارق الطبقية الناتجة عن قوة القبيلة وسلطانها، ومدى وفائها لأفرادها وصارت كل قبيلة تحارب الأخرى، دفاعاً عن مصالح القبيلة، حتى عمت الحروب والمشاحنات بين القبائل، بل وبين أفراد القبيلة الواحدة حيناً، كما حصل من الاختلاف بين بني عبد مناف وبني عبد الدار وكلاهما أبناء قصي بن كلاب [2].

وقد أوهت تلك الحروب والمشاحنات قوى العرب، وأفقدت بعضهم الثقة ببعض كما دفعت بعض القبائل إلى التحزب، والتكتل مع قبيلة أخرى للوصول إلى الإنتصار في الحرب، أو أخذ الثأر، فلم يكسب العرب من تلك الحال الاّ الفرقه والانقسام والانغماس في أتون الفتن، وسقطت الأمة بأكملها في أعين الأمم الأخرى المجاورة كفارس والروم، وأصبحت لقمة سائغة لكل غاصب ومعتد.

مما دفع تلك القوتين إلى محاولة اقتسام العرب، أو استمالة عواطف من يليهم ضد الأمة الأخرى في الحرب على أقل تقدير، ومع مرور الزمن، تكاثرت تلك القبائل العربية، وتفرقت بطونا، خاصة في بادية الحجاز، حيث الحرم، وما جاوره من واحات.

وشرعت كل قبيلة تعتز بنفسها، وتفاخر برجالها، وتعتز بسيد أو أكثر من رجالها فتعددت السلطات، وتعددت تبعاً لذلك المصالح والعادات، وأصبح سلطان القبيلة درعاً واقياً يستظل به كل مارق، متبع لشهواته، وكل صعلوك يغير للنهب والسلب [3].

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون الطبعة الخامسه ص ١٣٢ وما بعدها.

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٤٢.

(٣) انظر : تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور سعد زغلول عبدالحميد طبعة سنة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ص ٣٠١ وما بعدها.

٣ ــ تدهور مراكز المرأة في المجتمع الجاهلي :

عندما أصيب المجتمع الجاهلي بالزيغ والضلال، كان نصيب المرأة وفيراً في ذلك، وأصبحت أشد خسرانا من الطرف الآخر في المجتمع وهو الرجل، بعد أن أصابها ما أصاب أختها في تلك الجاهليات من الاهانة والذل. بعدما وصل الأمر في مجتمع «ماكون» إلى التساؤل هل المرأة روح أم هى جسد بلا روح؟ وغلبوا أنها جسد بلا روح!! وأنها مصدر لكل خطيئة، ومنشأ كل شر وسيئة للرجل[١] !.

وحينما تقارن مكان المرأة في المجتمع العربي بمكانها في المجتمعات الأخرى التي يقال عنها : إنها أكثر تقدماً من العرب حينئذ.

نجد المرأة في المجتمع العربي قد جرفها ذلك السيل العرم الذي جرف تلك الجاهليات كلها، إلاّ أن المرأة كانت أوفر حظاً، وأكثر نصيباً من الرجل في الانحطاط والذل والإهانة وسلب الحرية! لذا ماذا نتوقع أن يكون للمرأة عند العربي الجاهلي من الحظ في الكرامة والانصاف؟

لقد هان أمرها، وقلت منزلتها، وأصبحت حطاماً يورث مع المال والماشية، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«كان الرجل إذا مات أبوه أو حميه فهو أحق بامرأته، ان شاء أمسكها، أو يحبسها حتى تفتدى بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها[٢] »

وقال السدى[٣] :

إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك

(١) انظر : كتاب المرأة في القرآن للعقاد الطبعة الثالثه ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م. وكتاب الحجاب ص ٢١.
(٢) رواه البخارى جـ٣ ص ١١٨ (كتاب التفسير، وباب تفسير سورة النساء).
(٣) السدى : هو اسماعيل بن عبدالرحمن السدى يرجع نسبه إلى احدى قبائل الحجاز تابعى، سكن الكوفة، وتوفي سنة ١٢٨هـ انظر الأعلام جـ١ ص ٣١٧.

امرأته، فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها، أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهب إلى أهلها فهي أحق بنفسها[1]

ولهذا كانت المرأة في الجاهلية مهضومة الحقوق بخلاف الرجل، حتى لقد يطفف معها الكيل، وكانوا يمسكوهن مضارة بهن، ونهى الله عن فعلهم هذا لما فيه من الظلم، قال تعالى :

« وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ »(سورة البقرة : ٢٣١).

وكان فيهم من يعرض عنها، و يتركها معلقة لاهى زوجة تتمتع بحقوق الزوجية، ولا مطلقة فتكون لها حرية الزواج من غيره، قال تعالى :

« وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا » (سورة النساء ١٣٠)

كما كان من المأكولات ماهو خالص للذكور محرم على الاناث، قال تعالى :

« وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ »(سورة الأنعام : ١٣٩)

قال القرطبي : «هذا نوع آخر من جهلهم، قال ابن عباس : هو اللبن

---

(١) تفسير الطبرى الطبعة الثانية جـ٤ ص ٢٠٧.

جعلوه حلالاً للذكور حراماً على الأناث، و يروي الأجنة قالوا : إنها لذكورنا ثم ان مات منها شيء أكله الرجال والنساء[1]

وقال ابن كثير[2] :

«كانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح، وإن كان ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك، وقال الشعبي وقتادة ومجاهد[3] : هي السائبة والبحيرة[4] »

وكان تعددُ الزوجات شائعاً بدون عدد أوشرط تبعاً لهوى الرجل، روى البخاري[5] وأبو داود[6] ـ باسنادهما ـ ان عميرة الأسدي قال : أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : «اختر منهن أربعاً»[7] .

ومن جانب آخر فقد بلغت الكراهية بأولئك الأعراب، الجفاة الطباع، الغلاظ الأكباد للمرأة إلى حد قتلها، وهي حية دون رحمة أوشفقة، وذلك

(١) تفسير القرطبي جـ٣ ص ٢٥٣١.

(٢) ابن كثير : هو أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ولد في قرية قرب بصرى الشام، حافظ مؤرخ فقيه، توفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ انظر : الأعلام جـ١ ص ٣٢٠.

(٣) مجاهد : هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي التابعي مفسر من أهل مكة من خواص ابن عباس توفي سنة ١٠٣هـ انظر : البداية والنهاية جـ٩ ص ٢٤٤ والأعلام جـ٦ ص ١٠٠.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٧٠.

(٥) البخاري : هو أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري حبر الإسلام، الحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإمام أهل الحديث ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ نشأ يتيما، ورحل في طلب العلم، وقد أجمع العلماء على قبول صحيحه وصحة ما فيه توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر : البداية والنهاية لابن كثير الطبعة الأولى جـ١١ ص ٢٤ والفهرست ص ٣٢١ والأعلام جـ٦ ص ٣٤.

(٦) أبو داود : هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أصله من (سجستان) أمام أهل الحديث في زمانه، رحل طويلاً في طلب العلم توفي في البصرة سنة ٢٧٥هـ انظر : البداية والنهاية جـ١١ ص ٥٤ والأعلام جـ٣ ص ١٢٢.

(٧) رواه البخاري جـ٣ ص ٢٤٣(كتاب النكاح. باب لا يتزوج أكثر من أربع) ورواه أبو داود في سننه الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م جـ٢ ص ٣٦٥.

مـاشتهر عندهم بالوأد، وهو دفن البنت وهي حية، دون ذنب جنته، أو جرم اقترفته، قال تعالى :

« وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ »(سورة التكوير ﴿٩﴾).

ولقد تنوعت عندهم طرق الوأد، وتعددت أسبابه، فكان فيهم من يئد البنت لمزيد الغيرة، أو خشية العار، وفيهم من يئدها بسبب عاهة فيها كالسود والبرص، أو خشية الفقر[1] . وقد بين القرآن الكريم جهلهم في هذا العمل، وعظم جرمهم. قال تعالى :

« وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا » (سورة الاسراء ﴿٣١﴾).

وكانوا ينفذون جرمهم هذا بقسوة نادرة في بعض الأحيان، فقد يتأخر وأد الموؤدة لسفر الوالد وشغله، فلا يئدها إلا وقد كبرت وصارت تعقل، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات، وكان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق[2] .

٤ ـ الحروب والمنازعات :

سبق الحديث عن الحياة القبلية لدى العرب، وما نتج عنها من عصبية هوجاء، وتقاليد عمياء، نتيجة لظروف البلاد الطبيعية، وتكوين المجتمع العربي الذي كان أقرب مايكون للمجتمع البدائي. وما اختص به ابن الصحراء من خصال، وماتبع تلك الظروف من قسوة في العيش، وغلظة في الطباع، وفقدان السلطة المهيمنة، والنظام الحاكم.

حتى عمت الفوضى، وانتشر فيهم السلب والنهب، وهانت عليهم الحرب،

---

(١) انظر : بلوغ الارب في أحوال العرب المؤلف محمد شكرى الالوسى الطبعة الثانيةجـ٢ ص ٣٠.

(٢) انظر : ماذا خسر العالم للندوى الطبعة العاشرة ص ٦٩.

وسهلت عندهم اراقة الدماء، وتفرق العرب لكل منهم وجهة هو موليها، مما أفقدهم الثقة بعضهم ببعض، وأصبح المرء لا يأمن على نفسه، ولا يطمئن على عرضه وماله.

ووجد بينهم أناس جعلوا النهب والسلب حرفة، لا يتورعون عن أى عمل في سبيل تحقيق مطلبهم، وان كانت وسيلتهم القتل والدمار، حيث لا يمنعهم وازع من ضمير، أو خلق من دين، أو خوف من سلطان.

وكان فيهم من مهنته الإغارة على القوافل ونهبها وهم المسمون «الصعاليك» حتى أن منهم من تبرأت منه قبيلته، وكانوا يسمون «الخلعاء»[1].

وأصبح ليس من الصعب أن تقوم الحرب بين القبيلتين، أو أبناء القبيلة الواحدة لأي سبب.

ولقد كان الصراع لا يهدأ بينهم، كما كان يحصل كثيراً بين القرشيين من التنافس بسبب الرغبة في السيطرة على البيت الحرام، وما يتعلق به من بعض الخدمات التي كانوا يفاخرون بها : كرفادة الحاج، وقرى الضيف، والحجابة والسقاية. مثل الصراع الذي حصل بين أبناء قصي بن كلاب : بني عبد الدار وبني عبد مناف ووصل بهم الأمر إلى الإنقسام على أنفسهم — مع مرور الزمن — بسبب مطالبة بنى عبد مناف بحقهم في الحجابة والسقاية[2].

وما رأوه من أنهم أولى بذلك من بني عبد الدار لشرفهم وفضلهم في قومهم، قال ابن اسحاق :

---

(١) انظر : في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور /سعد زغلول عبدالحميد طبعة ١٩٧٦م ص ٣١٩.

(٢) معاني الكلمات : الرفادة : خرجا تخرجه قريش في موسم الحج لاطعام من له حاجة من الحجاج، والحجابة : جعل مفاتيح الكعبة عندهم لا تدخل إلا باذنهم، قرى الضيف : اطعام الوافد وخدمته، السقاية : اسقاء الماء للحجاج وتأمينه.

«فتفرقت عند ذلك قريش : فكانت طائفة مع بني عبد مناف يرون أنهم أحق به لمكانتهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبدالدار يرون أن لاينازع منهم ماكان قصي جعل اليهم فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكداً على أن لايتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضا، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسموا المطيبين»[1]

وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحلف عندما كان غلاماً، روى الإمام أحمد[2] ــ بمسنده ــ عن عبدالرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم واني أنكثه»[3] .

وعمل بنو عبد الدار مثل ما عمل بنو عبد مناف حيث تعاهدوا على أن لايتخاذلوا، وأن ينصر بعضهم بعضا، أخذا بحقهم، قال ابن اسحاق : «وتعاقد بنو عبدالدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الأحلاف» ثم سوند بين القبائل، ولز بعضها ببعض، فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم، وعبيت بنو أسد لبني عبدالدار.

ثم قالوا : لتغزْ كل قبيلة على من أسند إليها وبينما الناس على ذلك قد

---

(١) نص ابن هشام في السيرة جـ١ ص ١٤٢.

(٢) أحمد بن حنبل : هو شيخ الإسلام أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني البغدادى ينتهي نسبه إلى إبراهيم الخليل عليهما السلام، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، كان محدثاً فقيهاً بارعاً، كما اشتهر بالورع والزهد والتقشف، امتحن وأوذى في دينه، توفي في بغداد سنة ٢٤١هـ انظر البداية والنهاية جـ١٠ ص ٣٢٥.

(٣) مسند الإمام أحمد تحقيق وشرح الاستاذ /أحمد محمد شاكر طبعة دار المعارف المصريه سنة ١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٩م جـ٣ ص ١٢١.

أجمعوا للحرب، إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبدالدار كما كانت، ففعلوا ورضي الطرفان بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب»[1]

الأخذ بالثأر:

إضافة إلى ماعرفه العرب من الإغارة لطلب السلب والنهب، يسببه ذلك من المنازعات والحروب، كان هناك سبب أهم من هذا لاشعال الحرب بينهم وهو طلبهم الأخذ بالثأر، وعدم السكوت على الضيم، وان كان سبباً تافهاً، حتى أصبح الأخذ بالثأر عقيدة عندهم لا يتخلى عنه إلاّ متخاذل ممتهن، حيث كان ينتج عن ذلك الحروب والغارات، خاصة ما كان منها جماعياً منظماً ـــ أيام العرب ـــ والتي كان من أشهرها، وأطولها زمناً، وأكثرها خسارة، حرب «البسوس» التي جرت بين بكر وتغلب، بسبب قتل كليب زعيم تغلب ناقة رجل نزل ضيفاً عند البسوس، خالة جساس أخي زوجة كليب، الذي قام بقتل كليب، لقتله الناقة التي وردت ماء لإبل كليب. ولقد طال أمد تلك الحرب لمدة أربعين سنة، وبعد أن أنهكت قواهما، وقتل عدد من سادتها سعى الطرفان للصلح[2].

ومن أيام العرب المشهورة كذلك حرب «داحس والغبراء» وهما فرسان تراهن سيد ذبيان وسيد عبس على سباق لهما، وقام حذيفة بن فزاره سيد ذبيان باعتراض (داحس) التي كان مقرراً لها الفوز، ومن هنا اندلعت الحرب، واستمرت بين القبيلتين مدة طويلة لم تتوقف إلا قرب مطلع الإسلام، بعدما سعى هرم بن سنان في الصلح، وبعدما أن هلكت ذبيان

---

(١) نص ابن هشام في السيرة جـ١ ص ١٤٣.

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير الطبعة الثانية جـ١ ص ٥٢٣ وفي تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٣١١ وما بعدها.

وعبس، وقتل رجالها، وهلكت ماشيتها، وفضلوا جميعاً الموت على الحياة لهذه الأسباب التافهة[1].

وكان من أشهر أيام العرب أيضاً «حرب الفجار» بين قيس وكنانة بسبب استحلال المتحاربين المحارم مما اعتبر فجوراً، واستمرت الحرب حتى أواخر القرن السادس (الميلادي) وحضر الرسول صلى الله عليه وسلم بعضها، وهو شاب مع أعمامه، والتي كان من نتائجها قيام قريش بعقد حلف الفضول المشهور[2].

ويثرب كان نصيبها وافراً من تلك الحروب والمنازعات، خاصة بعد أن وطئتها أقدام اليهود، عندما قدموا لجزيرة العرب ــ كما سبق ــ كالتي كانت بين الأوس والخزرج، وكان آخرها يوم (بعاث) بين الفريقين[3].

وقد كان واقعهم هذا دافعاً لهم لقبول الدعوة، والدخول في الإسلام، بسبب ما لاقوه من المحن والافتراق والمشاحنات.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى عليه وسلم وقد افترق ملؤهم، وقتلت سراتهم وجرحوا، قدّمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الإسلام[4]».

مما كان من الأسباب الباهره لنجاح الدعوة الإسلامية بعد ذلك.

وهكذا كان البؤس والتعاسة والشقاء تخيم على بلاد العرب عامة،

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٠٦ والكامل في التاريخ لابن الأثير الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ جـ١ ص ٥٦٦.

(٢) انظر : مروج الذهب جـ٢ ص ٢٧٠ وسيرة ابن هشام جـ١ ص ١٤٤.

(٣) انظر : الكامل لابن الأثير جـ١ ص ٥٨٨، ٦٧٦، ٦٧٨.

(٤) رواه البخارى جـ٢ ص ٢٢٠ (القسامه في الجاهلية).

يثرب خاصة قبل أن يمتن الله عليهم بالإسلام، وبهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومآخاته بين الأوس والخزرج بعد أن كان يهود يثرب يشعلون تلك الحروب بين أبناء البلد الواحد، والقبيلة الواحدة، و ينشرون بينهم الفرقة والشحناء، فجاء الإسلام بدعوته المباركة وألف بين قلوبهم، حتى جعل منهم أمة واحدة، يعبدون رباً واحدا، و يدينون ديناً واحداً، و يتبعون نبياً واحداً، وصدق الله العظيم إذ يقول :

« وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »(سورة الأنفال ٦٣).

بعد أن كانوا في أمس الحاجة لهذه الدعوة، بسبب ذلك الواقع المشين الذي انحدر إليه العرب دينياً واجتماعياً وسياسياً مما كان مهيأ لدعوة الإسلام بالنجاح والظفر.



الفصل الثاني
التمهيد الرباني للدعوة

فيه مباحث :

المبحث الأول : البشارات السابقة.
المبحث الثاني : حكمة اختيار مكة وقريش منطلقاً للدعوة.
المبحث الثالث : حادث الفيل ارهاص للدعوة.



التمهيد الرباني :

سبق الحديث عن الأرهاصات العامة التي تعتبر من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية وهي : حاجة الخلق عجمهم وعربهم إلى الدعوة الإسلامية. بعدما أصيبوا بالخلل والاضطراب الديني والاجتماعي والسياسي، بسبب بعدهم عن طريق الحق والصواب. وبعد الشقة بينهم وبين زمن النبوه والهداية، واتباعهم كل ناعق من شياطين الإنس والجن، خاصة بعدما أن أفلس من كانوا أمل الإنسانية من أهل الكتاب ــ من يهود ونصارى ــ وأصبح أولئك أشد زيغاً وضلالاً من الوثنيين والمجوس.

في أتون ذلك الواقع البشرى المظلم، كان هناك (إضافة إلى ماتقدم) ارهاصات واضحة، ودلالات كاشفة، وبشارات سارة، ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وخروج دعوته، وانتشارها في أرجاء الكون.

والارهاصات التي نحن بصدد الحديث عنها هنا، هي من نوع آخر ليست من النوع السابق الذي نعتبرة واقعاً تاريخياً بشرياً.

إن هذه الارهاصات والدلالات الربانية تعتبر تمهيداً إلهياً أجراه خالق الكون ومدبره لزيادة البيان، والتأكيد على بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصدقه، واقامة الحجة على المعاندين، المكابرين الجاحدين لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، مما كان له أعظم الأثر في نجاح الدعوة الإسلامية، ودخول الناس في دين الله أفواجا. وتلك الارهاصات التي نحن بصدد الحديث عنها منها : ماكان بشارات سابقة، وإما أحكام ووقائع أجراها المولى ــ عز وجل ــ في سنن الكون نتحدث عنها فيما يلى :

المبحث الأول

البشارات السابقة للبعثة

لقد أجرى الله سبحانه وتعالى عدداً من «البشارات»[1] الدالة على بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصدق نبوته، منها ماكان قبل مولده من الأخبار، والنقل المتواترة عن صفته، واسمه ودينه ومبعثه ومهاجرته ،أو ما أجراه الله تعالى في سنن الكون من الحوادث والوقائع السابقة، أوالمرافقة لمولده صلى الله عليه وسلم، أوما كان بعد مولده وقبيل مبعثه.

ولقد قام علماء المسلمين قديماً وحديثاً بدراسة تلك البشارات وبيانها للناس، وذلك ناتج عن اهتمامهم، بدراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشمائله وسنته المطهرة، وتعبدهم في ذلك، لأنه القدوة الحسنة للمسلمين، قال تعالى :

« لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا » (سورة الأحزاب ﴿٢١﴾).

ونحن في هذه العجالة سوف نتطرق إلى بعض الحوادث المشهورة في هذا الباب، دون التعرض للاختلاف الحاصل بين العلماء في بعض تلك البشارات، وعدم مناقشة دليل أى فريق لإنه ليس هذا مجال البحث في هذا الاختلاف. وانما الذي يجب أن ننبه إليه، إنه مهما وجد بينهم من اختلاف أو اجتهاد عند دراسة بشائر الرسالة المحمدية، فالعلماء لم يختلفوا في آثار تلك البشارات التي سبقت الدعوة وهذا الذي يعنينا هنا.

---

(١) بشارات : جمع بشاره وهي الاخبار بما يسر، مما ينتج عنه بسط بشرة الوجه، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر، وقد جاءت في القرآن في معان كثيرة. انظر : مفردات الراغب ص ٤٧.

وهذه البشارات منها :

أ ــ تبشير أهل الكتاب وكهان العرب وغيرهم ببعثه :

لقد بشر الأنبياء السابقون برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر الله من أدركه منهم باتباعه، وأن يأمر قومه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض(1) :

«استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به بحيث أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبياً الا ذكر له محمدا ونعته، وأخذ عليه ميثاقه ان أدركه ليؤمن به، وقيل «أن يبينوه لمن بعدهم» (2) .

كما أن القرآن الكريم يؤيد هذا الكلام، كما قال تعالى عن عيسى عليه السلام : « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ » (سورة الصف ⑥).

وقال علي بن أبى طالب رضى الله عنه :

«لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلاّ أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن يبعث وهو حي ليؤمن به ولينصرنه، وليأخذن العهد بذلك علي قومه» (3)

كما أخبر اليهود، ورهبان النصارى، وكهان العرب وغيرهم بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرب زمانه، قال ابن اسحاق :

---

(1) القاضي عياض : هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي، ولد بسبته سنة ٤٤٦هـ كان عالم المغرب وامام أهل الحديث في وقته، كما أنه أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، توفي بمراكش مسموماً سنة ٥٤٤هـ انظر : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٢٢٥.

(2) نص القاضي عياض (كتاب الشفا ج١ ص ٤٣).

(3) كتاب الشفا جـ١ ص ٤٣.

«وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه : أما الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى فيما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه، وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما يسترقون من السمع»[١].

وكان يستفتح به اليهود على العرب من قولهم : «إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم» فلما بعث الله رسوله أجابه العرب فيما دعى إليه وكذب به اليهود[٢].

قال تعالى :

« وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ » (سورة البقرة ٨٩).

ووردت صفة الرسول صلى الله عليه وسلم في الإنجيل وأخبر عنه الرهبان من النصارى كصاحب عمورية المذكور في قصة إسلام سلمان الفرسي المشهورة عندما كان يبحث عن الحقيقة قبل إسلامه رضي الله عنه[٣].

بل كان ذلك شائعاً في غير أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقد روي إنه ورد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظه العربي «أحمد» في كتب البراهمة[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٢١.

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٣١.

(٣) انظر : الاصابة جـ٣ ص ١١٣ وسيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٣٣.

(٤) انظر : مطلع النور ص ١٤.

ب ــ مارافق مولده من البشارات :

لقد رافق مولده المبارك عدة وقائع و بشارات عظيمة، تتناسب مع مكانته وعظيم قدره، وما أجراه الله تعالى على يديه الكريمتين من خير وفلاح للإنسانية كلها.

كان منها ما رأته أمه من خروج نور من بطنها أشرقت له الآفاق، روى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال : قلت يارسول الله ما كان أول بدء أمرك قال : «دعوة أبي إبراهيم، و بشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»(١)

قال ابن كثير في معنى الحديث :

«والمراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام، ولم يزل في الناس مذكوراً مشهوراً سائراً، حتى أفصح عن اسمه عيسى عليه السلام، حيث قام خطيباً في بني اسرائيل وقال : « اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»(٢)

وسقوطه من بطن أمه عند الولادة جاثياً على ركبتيه رافعاً رأسه(٣) ، وفي رواية عندما سقط سجد على وجهه، وكلما عدلوه رجع إلى ماكان، فقال جده عبدالمطلب : «ان لابني هذا شأناً» (٤)

وكان مما حدث كذلك خرور كثير من الأصنام عند حمله وليلة ولد على وجوهها، وسقوطها عن أماكنها، اضافة إلى ماكان من ارتجاج ايوان كسرى،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٥ ص ٢٦٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ١ ص ١٨٤.

(٣) السيرة الحلبية جـ١ ص ٨٩.

(٤) انظر : الخصائص الكبرى للسيوطي مطبوعات دار الكتب الحديثه بالقاهرة ١٣٨٦هـ جـ١ ص ١١٤.

وسقوط أربع عشرة شرفه منه، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام[1].

وكان مما حدث أيضاً حجب الشياطين عن استراق السمع، ورميهم بالشهب حتى عرف الجن أن ذلك لأمر أحدثه الله في العباد[2]

روي الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان الجن يسمعون الوحي، فيسمعون الكلمة فيز يدون فيها عشراً، فيكون ماسمعوه حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يرمي بها قبل ذلك، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلاّ من أمر قد حدث، فبث جنوده فإذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلي نخله، فأتوه فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض[3]»

هذا ما جاء عن هذه البشارات في روايات كثيرة في مؤلفات علماء معروفين بالبحث والتمحيص كابن إسحاق والسيوطي وغيرهما، ولعل هذا من قبيل الخوارق كما قلنا والعقل لا يمنع هذا وإن كانت أسانيد بعض هذه الروايات فيها مقال.

ج ـ ما أكرمه الله به بعد مولده قبل البعثة:

لقد أكرم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، قبل البعثة ببعض الحوادث والبشارات الدالة على مكانته، وعظيم أمره، وهي مقدمات ترتبط بما تلاها من وقائع، وهذه البشارات لا تقل أهمية عما سبقها من خوارق وبشارات أجراها المولى لبيان ما يتبعها من أحداث غيرت مجرى التاريخ،

---

(١) انظر: الخصائص الكبرى جـ١ ص ١٢٨ وما بعدها والبداية والنهاية جـ١ ص ٢٦٩.

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٢٢.

(٣) رواه أحمد في المسند جـ٢ ص ١٦٠.

ووفق الله لها من شاء من عباده للاستنارة بها، واتباع الحق، وكانت من أسباب نجاح الدعوة، وعوامل انتشارها ومن تلك البشارات في هذا الموضع :

١ ــ بركة آل حليمة :

لقد كانت عادات العرب التماس المراضع لمواليدهم من البوادي ليكون أنجب للولد، حيث كانوا يقولون :«ان العربي في المدن يكون كليل الذهن، فاتر العزيمة»[١] .

لما حضر نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن أطفالاً يرضعنهم، كان الرضيع اليتيم من نصيب حليمة السعدية وزوجها أبي كبشة، بعد أن أعياهما التعب في البحث عن وليد يكون غنياً، وقالت لزوجها : «والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه»قال الزوج : «لا عليك أن تفعلي عسى أن يجعل لنا فيه بركة»[٢] .

فأخذ اليتيم وما أن بدأت إرضاعه حتى درّ لبنها وروى هو وابنها الآخر الذي كان لايجد في أمه مايرضعه وحده، حيث كانت السموات عجافاً من قبله، فامتن الله عليهم بخير مضاعف، ونزلت بهم البركة، وكثر الخير، مما زاد تعلقهم بالطفل بسبب ذلك، واعزازهم له، ومكث في مضارب بني سعد سنين، نما فيها وشب وترعرع[٣] .

ثم حدث له حدث هام وهو(شق الصدر) واخراج حظ الشيطان منه، روى مسلم في الصحيح«عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١١.
(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٧٤.
(٣) انظر : الخصائص الكبرى جـ١ ص ١٤٣ والبداية والنهاية ص ٢٧٣.

ذهب بماء زمزم ثم لأمه[1] ، ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني المرضعة) فقالوا : ان محمدا قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس : كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره»[2] .

وهذه الحادثة أفزعت حليمة وزوجها مما حداهما إلى إعادته إلى أمه.

وحادثة الشق لصدره صلى الله عليه وسلم هذه غير شق صدره بعد البعثة ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، وعرج إلى السماء الواردة في الصحيحين[3] .

٢ ـ تسخير الغمام :

ومن المكرمات الإلٰهية له صلى الله عليه وسلم تسخير الغمام له في سفره إلى الشام، وحتى كانت تظلمه في اليوم الصائف، لايشترك معه أحد من القافلة، كما حكى ذلك الغلام ميسرة لسيدته خديجة، مما حببه لها، وخطبته لنفسها، وتيقنت أن سيكون له شأن[4]

٣ ـ سلام الأحجار والأشجار :

وكان مما امتن الله به على رسوله صلى الله عليه وسلم، ماكان يسمعه من السلام عليه من الأشجار والأحجار، فقد روى مسلم. عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»[5]

---

(١) لأمه : أي أعادة بأن ضم بعضه إلى بعض.

(٢) رواه مسلم جـ١ ص ١٤٧ (كتاب الايمان، باب الاسراء).

(٣) صحيح البخارى جـ١ ص ٣٢٧ (باب المعراج) وصحيح مسلم جـ١ ص ١٤٧، (كتاب الايمان باب الاسراء) ونور اليقين للخضرى ص ٢٢.

(٤) انظر : شرح المواهب اللدنية للزرقانى الطبعة الأولى جـ١ ص ٢٤٠.

(٥) رواه مسلم في الصحيح جـ٤ ص ١٧٨٢ (كتاب الفضائل نسب النبى صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة).

٤ ـ ما تواتر له واستفاض من الأخلاق :

وهذا إضافة إلى مااشتهر به الرسول صلى الله عليه وسلم بين قومه منذ نعومة أظفاره، من حسن الخلق، وصدق الحديث، وعظم الأمانة، والبعد عن الفحش، وهجر ما كان متفشياً في قومه، من عبادة الأصنام، وشرب الخمور، وتعاطي القمار، وشيوع الزنا وغيرها من الموبقات مما يجل حصره في هذه العجالة، وكل تلك الحوادث والبشارات كان لها عظيم الأثر، حيث لفتت الأنظار إلى شخص الرسول، وأن له شأناً كبيراً ، مما كان من أسباب نجاح الدعوة، وقبولها لدى الناس بعد بعثه.

المبحث الثاني
حكمة اختيار مكة وقريش منطلقاً للدعوة

جعل الله مكة المكرمة منطلقاً للدعوة الإسلامية، واختار قريشاً ومنها الرسول صلى الله عليه وسلم لتحمل أعباء الدعوة في مهدها، وكان في هذا حكمة الهية، وعناية ربانية، يعجز المرء مهما أوتي من قوة البيان عن حصرها، وتلك الحكم كانت أشد ماتكون صلة بنجاح الدعوة الإسلامية، بعد أن اصطفى الله تعالى أفضل خلقه لتحمل أعباء الدعوة، ومسؤوليات الرسالة، وأمانة الوحي المنزل من رب العالمين، روى مسلم ـ بسنده ـ عن واثلة بن الأصقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم»[1] .

اضافة إلى ما كان للبلد الحرام من مميزات اجلال، وعظمة تقديس منذ القدم كانت تلك السمات والخصوصيات كافية لتكون ارهاصات لانطلاق الدعوة من تلك البلاد، وأولئك العباد، وأن تكون من أسباب نجاح الدعوة كما سيأتي.

وعلى كل الأحوال فالمرء لايسعه أمام تلك الحكم الباهرة إلا أن يردد قول الله تعالى :

«ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ» (سورة الأنعام ﴿١٢٤﴾).

فهو سبحانه أعلم بأصلح مكان لها، وأصلح رجل يحملها، وأصلح زمان لنجاحها على مانبينه فيمايلي :

---

(١) رواه مسلم جـ٤ ص ١٧٨٣ (كتاب الفضائل ـ باب فضل نسب النبى صلى الله عليه وسلم).

أ ــ حكمة انبثاق الدعوة من مكة :

لقد خص الله تعالى مكة المكرمة بمكانة عالية، لم تصلها أي بقعة من بقاع الأرض. بأن حرمها الله، وقدسها منذ القدم، فحرمة مكة وقداستها ضاربة في أعماق التاريخ، حيث حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والأرض، روى البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنه قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«إن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة...»(١)

فلم يكن تحريمها بهوى الخلق، أو رغبة البشر، كما لم يمكن تحريمها بدعاً أو حدثاً طارئاً، فقد روى البخاري في رواية أخرى : «أن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة....»(٢)

وبقيت لمكة المكرمة تلك الحرمة والقداسة عند جميع الخلق، حتى أمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بالتوجه إلى مكة، وبناء البيت بعد إسكان ذريته فيه، فزادت حرمتها، وعلت مكانتها، وعظمت قدسيتها، وبعد أن هدى الله خليله إبراهيم عليه السلام إلى مكان البيت، وأمره وابنه اسماعيل عليهما السلام ببنائه قال تعالى:

« وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »(سورة الحج ٢٦).

---

(١) رواه البخارى جـ١ ص ٣١٥ (كتاب الحج ــ باب لايحل القتال بمكة).

(٢) رواه البخارى في الموضع السابق.

فابتدأ الخليل وابنه عليهما السلام البناء، ورفع القواعد من البيت، قال تعالى :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ » (سورة البقرة ١٢٧).

واكتمل البناء بعون الله وفضله، وهما يرددان :

« رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » (سورة البقرة ١٢٩).

فكان من سعادة الإنسانية كلها، وانعام الله تعالى عليها، أن يستجيب الرب دعاءهما، ويبعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالدعوة الحنيفية، فيكتمل العقد باتصال حلقاته، من قداسة مكة، إلى بناء البيت على يدي أبى الأنبياء، إلى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي استقرت واكتملت به، وبدعوته أسباب الهداية للبشرية.

١ ـ إمتداد الدعوة ومسيرة الخير من مكة :

وكانت تلك المكانة العالية، والقداسة العظيمة لمكة المكرمة، ولبيت الله الحرام في نفوس العرب، تجرى فيهم مجرى الدم، لاعتقادهم أنهم أبناء اسماعيل، وورثة إبراهيم عليهما السلام. ولم تتغير تلك المنزلة في نفوسهم بالرغم مما اعترى حياتهم من الشرك، لبعدهم عن زمن النبوة، وتعدد معبوداتهم، فقد بقيت العرب تعرف فضل الكعبة، ومكانة مكة المكرمة لأنها عرفت أن فيها بيت الله تعالى، ومسجد خليله إبراهيم عليه السلام [1].

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٧٢.

وإضافة إلى هذا فإن لمكة المكرمة من الميزات، والخصائص الكثير، مما تنفرد به عما سواها من البلاد، مما زاد في قدسيتها وتعظيمها.

ففيها أول بيت وضع لعبادة الله تعالى وحده، قال تعالى :

« إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » (سورة آل عمران ﴿٩٧﴾).

فكانت مهوى الأفئدة، ومتعلق الأنظار، وموضع الحج والنسك. وكانت المأمن لكل خائف، وهذه السمة اكتسبها من حرمتها القديمة، قال تعالى ممتناً على المشركين، ومبيناً فضله عليهم :

« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ » (سورة العنكبوت ﴿٦٧﴾).

حتى أن هذا الأمن في البلد الحرام ليس للإنسان وحده، بل تعداه إلى الحيوان والطير والشجر، حيث حرم الله اصطياد صيدها وتنفيره، وحرم قطع شجرها، كما في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة(١) .

وقدم قداسة مكة وحرمتها، الواردة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض» لايعارض قول الخليل عليه السلام :

« رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ » (سورة البقرة ﴿١٢٦﴾)

---

(١) رواه البخاري جـ١ ص ٣٢ (كتاب العلم ــ باب كتابه العلم) ورواه مسلم جـ٢ ص ٩٨٦ (كتاب الحج ــ باب تحريم مكة).

لأن الحديث إخبار عما سبق من تقدير الله، ومعنى الآية أن إبراهيم أعلَمَ الناس بذلك[1] .

وقال ابن كثير :

«إن قوله تعالى في سورة البقرة : «رب اجعل هذا بلداً آمنا» أى اجعل هذه البقعة بلداً آمنا، وناسب هذا لأنه قبل بناء الكعبة، أما قوله تعالى في سورة إبراهيم :

«وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا» ناسب هذا هناك لأنه (والله أعلم) كأنه وقع دعاء مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به» [2] .

كما أن الأحاديث الدالة على حرمة مكة قبل إبراهيم لا تعارض الأحاديث التي بعضها في الصحيحين الواردة في تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة، كما حرم إبراهيم مكة لأن إبراهيم عليه السلام بلغ عن الله حكمه فيها، وتحريمه لها قال ابن كثير:

«فلا منافاة بين الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم حرمها لأن إبراهيم بلغ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها، وأنها لم تزل بلداً حراماً عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها ـ للكعبة ـ كما أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوباً عند الله خاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل من طينته، ومع هذا قال إبراهيم عليه السلام :

---

(١) انظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى الطبعة الأولى جـ٣ ص ٣٤٩.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٧٤.

«ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم» الآية وقد أجاب الله دعاءه بما سبق في علمه وقدره[1] ».

وكان من ميزات مكة أنها لا تقر فيها ظلماً ولا بغياً منذ القدم، ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجته فكانت تسمى «الناسة» ولايردها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه، وما سميت ببكة إلا أنها كانت «تبك»[2] أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً كما حصل لأساف ونائلة عندما بغيا في الحرم فسخهما الله حجرين ــ كما سبق ــ وما حصل لجرهم من الاجلاء من مكة بعد أن بغوا فيها، واستحلوا حلالاً من الحرمة، وظلموا من دخلها من غير أهلها، ففرق الله أمرهم، وما أجراه الله على أبرهة وقومه، من الهلاك عندما هدم الكعبة (كما سيأتي إن شاء الله).

ومما يدل على قداستها وعلو مكانتها لدى المؤمنين بالله على تعاقب العصور والدهور كثرة أسمائها التي من جملتها أم القرى وبكة ومكة والبلد الحرام والبلد الآمن وغيرها مما وردت في القرآن الكريم[3] . ولا شك أن كثرة الأسماء تدل على أهمية المسمى كما يقول العرب.

٢ ــ موقع مكه المكرمة ومكانتها من عوامل النجاح :

وعلاوة على ماتقدم فإن موقع مكة الجغرافي بتوسطها ووقوعها في منتصف طريق القوافل بين اليمن والشام، وما انفردت به من بقائها مستقلة بسلطانها ــ خاصة منذ تولي قصي ابن كلاب حكم مكة، وعمارته لها (على قول بعض[4] المؤرخين) وما كانت تعمر به أسواقها من تجارة، امتن الله بها عليهم، في رحلتي الشتاء والصيف، وما وهبه الله لسكانها، من غنى بعد فقر، وأمن بعد خوف، وخلوها من السلطان أو الحكومة القوية الموحدة

(١) تفسير ابن كثير الطبعة الثانية جـ١ ص ١٧٤.
(٢) تبك : من بك مصدر بمعنى الدق دق عنقه.
(٣) انظر : معجم البلدان لياقوت الحموى جـ٥ ص ١٨٢.
(٤) انظر : كتاب اعلام النبوه للماوردى الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م ص ١٧٢.

التي تقف في وجه الدعوة الناشئة، وبقاء مكة حرة من أى تبعية لسلطان خارجي، وفشل (الامبراطوريات) القوية المجاورة في السيطرة على أولئك الأعراب، بواسطة هذا البيت، الذي تعظمه.

وللأسباب السالفة كان لمكة مكانة عظيمة عند العرب ومن هذا البلد الذي يأتيه العرب من كل مكان، كان انطلاق الدعوة لتبلغ الآفاق عن طريق الحجيج، والعمار، والزوار، وليستطيع كل انسان أن يسمع هذا الداعية مباشرة أو بالواسطة.

وهل كان إسلام النفر من الأنصار إلا عن طريق الحج؟ وهل كانت بيعة العقبة إلا في موسم الحج؟ ولو اختير بلد غير ذلك لما أمكن أن تنجح الدعوة ذلك النجاح المنقطع النظير، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الحكم ودورها في نجاح الدعوة في مواضع شتى كقوله تعالى :

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ » (سورة النصر).

وهكذا ندرك طرفاً من حكمة الله في اختيار هذه البقعة المباركة من الأرض، لانطلاق الدعوة الإسلامية من هذا البلد المقدس، الذي يحجه العرب ويقدسونه، وما منحته للإنسانية كلها من دعوة خير وبركة بعد ذلك، وكيف كانت تلك الانطلاق من مكة المكرمة من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية.

ب ــ حكمة انطلاق الدعوة من قريش :

إذا كان لمكة تلك المكانة والقدسية لدى العرب منذ القدم، التي لم يزدها مرور الدهر إلا عظمة، وعلو مكانة لدى العرب قاطبة، على اختلاف نحلهم ومللهم، فلابد أن يكون لذلك أثره في سكان مكة، ومجاوري بيته العتيق، مما جعل قريشاً يخالفون غيرهم من العرب وينفردون بكثير من

الميزات، حتى دانت لهم العرب بالرئاسة، وتولي سدانة البيت، وخدمة قاصديه من الحجاج والعمار.

عندما استقرت فيهم وظائف البيت التي تعارف عليها العرب، كالحجابة والسقاية والرفادة، ولم يتطلع إليها أحد من العرب أو ينافسهم اياها، بل رقوا بسببها إلى مكانة عاليه في نفوس أبناء تلك البوادي.

بعد أن عرفت قريش قدرها، وقاموا بأمانتها خير قيام، حيث لم يقم بها أحد كما قام بها أجداد النبى صلى الله عليه وسلم خاصة بني هاشم، الذين عرفوا سمتها، وحفظوا حقها، حتى صارت فيهم فطرة طبعوا عليها من غير كلفة، وإذا كان الأمر بهذه الحال فلم يكن مستغرباً أن يكون لقريش ذلك الفضل الكبير على من سواهم من بقية القبائل[1] .

وهذا الفضل الكبير، والمكانة العالية كان إمتداداً لما لقريش من رفعة في النسب لكونهم سلالة اسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، ولتوسط نسبهم بين قبائل العرب، ولما كان يربطهم من علاقات قربى ومصاهرة لأكثر قبائل العرب وأرفعها في النسب.

ومما زاد في فضلهم أيضاً كونهم حلفاء متحالفين متآلفين، متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم دين، ولا يزينهم أدب، كما كانوا مستمسكين ببعض شعائر الحج مقيمين لبعض نسكه، وغيرها من الشعائر، وما تعارفوا عليه من عادات وفضائل انفردوا بها عمن سواهم[2] .

ودان بها العرب لقريش كما كان من أمر الحُمْس ــ كما تقدم

---

(١) انظر : كتاب أعلام النبوه للمارد ص ١٧٢ ومطلع النور ص ١٤٤.

(٢) انظر : بلوغ الارب في أحوال العرب جـ١ ص ٢٤٣.

وما جعلته العرب لقريش من أشهر حرم لاينكرونهم، ولا يدفعونهم يسيرون إلى أي بلاد العرب شاؤا لا يخافون منهم شيئا، وهو المسمى «البسل» (١) كما يقول ابن هشام(٢) .

١ ــ خير الخلق من خير البيوت :

والله تبارك وتعالى ــ العالم بخفايا الأمور ــ قد جعل لقريش فضلهم على من سواهم بأن اصطفى منهم رسوله، بعد أن اصطفى قريشاً من خير خلقه، كما في حديث مسلم السابق في أول هذا المبحث. وما رواه الإمام أحمد ــ بسنده ــ عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فخطب فقال :

«إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني من خير فرقه، وخلق القبائل فجعلني من خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً»(٣) .

ولذلك كان لأسرة الرسول صلى الله عليه وسلم الفضل على غيرهم (آنذاك) حيث كانوا أصحاب رئاسة، وذي سلطان في مكة، وعرفوا بصفات النبل والكرم والمروءة.

وهذه الصفات تبرز للباحث فيما أثر من حوادث ليست مما يجرى على ألسنة الناس من شعراء وغيرهم من كيل المديح لغرض وقتي ثم يزول بزوال الحاجة.

خاصة من عهد قصى بن كلاب أحد أجداد الرسول صلى الله عليه

---

(١) البسل : المنع والحبس، أى يمنع عنهم الأذى والشر.

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص ١١٤ ــ وابن هشام : هو أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى ولد بالبصرة وفيها نشأ ثم رحل إلى مصر كان مشهوراً في علم النحو والأنساب والسيرة توفي في الفسطاط سنة ٢١٧هـ انظر : وفيات الأعيان جـ١ ص ٢٦٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند جـ٣ ص ٢٢٤.

وسلم عندما كثر أولاده وقوى أمرهم، وعظم شرفه، فرأى أنه أولى بالكعبة، وأمر مكة من غيره لأنه من قريش، ونخبة اسماعيل.

فقد أصاب ملكاً أطاع له قومه، واستقرت فيهم الحجابة والسقاية والرفادة والندوة، وهذا الفضل والمكانه توارثها أبناؤه.

فعندما ننظر من بعده فنجد هاشماً مثلاً أول من أطعم الحجاج الثريد بمكة، وكان اسمه عمر وماسمى هاشماً إلا بهشمه الخبز لقومه، ومن مآثره كذلك أنه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف[1].

ويمضي بنا تاريخ تلك القبيلة الطويل، المتصل الحلقات، ومآثرها العظيمة على العرب، ونقف عند عبدالمطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيد قريش غير منازع، الذي بلغت شهرته الآفاق حيث كان رجلاً متديناً صادق اللهجة، ملتزماً بمحارم دين قومه في الجاهلية، وكان أول من حلى الكعبة الذهب من ماله، وقام بتجديد حفر زمزم، عندما اشتدت حاجة مكة للماء، في تاريخ يطول سرده، وكان في قمة فضائله ومآثره ماوهبه من عطفه وحنانه لابنه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم قبل بعثته) عندما كان يخصه من بين أبنائه بالجلوس على ردائه تحت الكعبة.

ولا أدل على مكانة تلك الأسرة من وقوفهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وحمايته وإن كان بخلاف دينهم، لقد كان أولئك وخاصة بنى عبدالمطلب جميعاً في نصرة النبى صلى الله عليه وسلم من آمن به منهم، ومن لم يؤمن ماعدى أبا لهب وبنيه، بل لقد كان إسلام بعضهم من باب الحمية، والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من أذى المشركين، كما كان من قصة إسلام حمزة رضى الله عنه[2].

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٤٧ وزاد المعاد جـ١ ص ٧.

(٢) انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٣١٢.

وكل هذا إضافة إلى ما منحهم الله تعالى من خصال يحمدون عليها كالشجاعة والمروءة وفصاحة اللسان، حتى احتوت لغتهم على محاسن لغات العرب، وحازت عليها قصب السبق.

وكان تتويج فضلهم في ذلك نزول القرآن الكريم بلغتهم.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما كلف الثلاثة الرهط من القرشيين بنسخ القرآن في المصاحف قال لهم: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك» (١).

وهكذا يتجلى للباحث كيف كانت تلك القبيلة، وكيف كانت تلك المكانة والفضل لهم على سواهم، كافية لخروج الرسول صلى الله عليه وسلم منهم.

مما كان ارهاصاً وعلماً من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، والعرب كانت تعرف لقريش ذلك الفضل، مما كان له أعظم الأثر في نفوسهم، فإنه ما كادت تسلم قريش حتى تسابق العرب للإسلام، ودخل الناس في دن الله أفواجا.

٢ ـ كيف استفاد عليه السلام من ذلك ؟

وعندما ننظر في أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة، نجده لم يهمل هذا الجانب لما له من أثر في نجاح الدعوة الإسلاميه، حيث كان حريصاً على إسلام قريش واشرافها، وسأكتفي بايراد نموذج واحد في هذا الموضع من نماذج كثيرة ولكن ما أورده هنا ربما يعتبر أهمها. وهو صلح

(١) رواه البخاري جـ٢ ص ٢٦٦ (كتاب بدء الخلق ـ باب نزل القرآن بلسان قريش).

الحديبية المشهور في السنة السادسة من الهجرة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومشركي مكة، الذي عده القرآن الكريم فتحاً مبيناً قال تعالى :

((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)) (سورة الفتح ﴿١﴾).

ولقد عده القرآن الكريم فتحاً وهو صلح، ولكنه في الحقيقة فتح، ولم يكن فتحاً مبيناً إلا لما ترتب عليه من نتائج باهرة، وما أظهره هذا الصلح من الدلالة على نبوته، وبعد نظره، ولو لم يكن لقريش ذلك الدور في الدعوة الإسلامية وعوامل نجاحها، لما كان هذا الصلح فتحاً مبيناً. فقد ورد عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضى الله عنه قوله :

((ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه، والعباد يعجلون والله لايعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد))[1]

يعني بذلك رضى الله عنه ما كان من اعتراض بعض الصحابة على الصلح وبعض نصوصة.

وقال الزهري ــ رحمه الله ــ : ((فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، انما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا، فالتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تيك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر[2]))

ويجلى العلامة النووي[3] ــ رحمه الله ــ قيمة هذا الصلح وأثره في

(١) السيرة الحلبية : علي برهان الدين الحلبي، طبعة ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م بيروت جـ٢ ص ٢٦٦.

(٢) تاريخ الطبري جـ١ ص ٨١.

(٣) النووي : هو أبو زكريا محي الدين يحي شرف بن مروى الحوراني النووى الشافعي ولد بـ(نوا) من قرى حوران الشام وفيها توفي سنة ٦٧٦هـ كان علامة في الفقه والحديث انظر : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٧٨ والأعلام جـ٨ ص ١٤٩

الدعوة، ويبين أثر إسلام قريش في نجاح الدعوة، بعد أن كان هذا الصلح من أسباب كف آذاهم عن الدعوة، ومن ثم إسلامهم، وإسلام غيرهم بعد ذلك ودخول الناس في دين الله أفواجا.

يقول النووي : «والمصلحة المترتبة على إتمام الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة التي كان عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي، لا يحلون ـــ أي يجتمعون ـــ بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاؤا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة، وحلوا بأهلهم، وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، مفصلة بجزئياتها ومعجزاته الظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك.

فما زالت نفوسهم إلى الإيمان حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام، قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، لما كان قد تمهد لهم من الميل. وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي»[1] إ.هـ

قال تعالى في بيان ذلك :

« إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ »(سورة النصر).

وهكذا يتضح كيف كان لاختيار الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٢ ص ١٤٠.

القبيلة أبلغ الأثر في نفوس العرب، فإنها ماكادت تسلم حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وكيف كان هذا عاملاً من عوامل نجاح الدعوة بعد أن اختار الله عز إسمه ــ خير البلاد، وخير العباد لنشرها فضلاً منه وكرماً.

المبحث الثالث
حادثة الفيل ارهاص للدعوة

استجاب الله تعالى دعوة خليله إبراهيم عقب بناء البيت، بأن جعله آمناً تهوي إليه الأفئدة، ويأوي إليه كل خائف، حتى حين انحرف العرب عن دين إبراهيم عليه السلام وعبدوا الأصنام، فلم يهم أحد بالبغي فيه إلا أهلكه الله قال تعالى :

« وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ » (سورة الحج : ٢٥).

فكان من جملة ما حفظ الله البيت منه أصحاب الفيل، في حادثة أصحاب الفيل المستفيضة الشهرة لدى العرب قبل البعثه، والتي كان من ضخامة الحادث وأهميته، أن أخذ العرب يؤرخون به لأنفسهم.

١ ــ رد الله كيد الظالمين :

وقبل التعرض لبيان أثر حادث الفيل في نجاح الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أرى أنه من المفيد تلخيص الروايات الواردة في حادث الفيل : (كان الحاكم الحبشي لليمن «ابرهة» بنى كنيسة في اليمن باسم ملك الحبشة لها من أسباب الفخامة الشيء الكثير، لما رآه من تعلق العرب بالحرم المكي وحجهم إليه فقصد صرف العرب عن البيت الحرام، ولكن العرب لم ينصرفوا عن بيتهم المقدس، لأنه موضع عزهم وفخرهم، ومتعلق أفئدتهم، فكتب أبرهة للنجاشي يخبره ببناء تلك الكنيسة المسماة «القليس» وأنه ليس منتهياً حتى يصرف إليها حج العرب، فلما تحدث العرب بكتاب أبرهة غضب رجل منهم فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها، فأخبر بذلك أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه،

وتجهز ثم سار في جيش لجب[1] فيه عدد من الفيلة في مقدمتها فيل عظيم مشهور، فلما سمعت بذلك العرب أعظموه، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا أن هدفهم هدم الكعبة ، فوصل إلى الطائف بعد أن هزم من اعترض له من العرب، فلما كان بالمغمس بين مكة والطائف بعث قائداً من قواده، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، وكان مما أصاب مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل وغيرهم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به. ثم بعث أبرهة برسول إلى مكة، يسأل عن سيد هذا البلد، ويبلغه أن الملك لم يأت لحربهم وإنما جاء لهدم هذا البيت، فإن لم يعترضوا له فلا حاجة له في دمائهم. فلما كلم الرسول عبدالمطلب فيما جاء به قال له :

(والله مانريد حربه ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع فانطلق معه إلى أبرهة)[2] .

قال ابن إسحاق : «وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه، وأكرمه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبش يجلس على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سرير ملكه، وجلس على بساط، وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه :

«قل له : ما حاجتك؟ فقال : حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي فلما قال ذلك : قال أبرهه لترجمانه قل له :

قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني!

---

(١) لجب : أى كثير وقوى.

(٢) انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٤٦ وما بعدها.

أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟!

قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال : أنت وذلك فرد عليه إبله، فانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً من معرة[1] الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، و يستنصرونه على أبرهه وجنده.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله، وعبأ جيشه، وكان اسم الفيل محمودا، وابرهة يجمع لهدم البيت، ثم الانصراف لليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة برك فضربوه ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن في مراقه فبزغوه[2] بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا و يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، وأصيب أبرهة فخرجوا به معهم يتساقط جسده أنبلة أنبلة، فما مات حتى انصدع صدره على قلبه[3] » انتهى.

---

(١) معرة : أي ضرر ومصيبة.

(٢) المحجن : هي عصا طويلة معوجة وقد يجعل فيها حديد، المراق : هو أسفل البطن، البزغ هو : اخراج الدم ومنه قيل مشرط الحجام بزغ لأنه يسيل الدم.

(٣) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٥٠.

٢ ـ أثر الحادث في نفوس العرب :

لم يكن وقع هذا الحادث سهلاً و يسيراً على نفوس العرب، حيث كان غرض ابرهة هدم البيت الحرام الذي بلغ لديهم أعلى مكانة، وأعظم قداسة، ونشر النصرانية بعد ذلك في جزيرة العرب.

فقد هالهم إقدام أبرهة على محاولة هدم البيت، وعز عليهم أن يروا هذا النصراني يقدم لبلادهم للقضاء على بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم واسماعيل، وهم أبناء إبراهيم واسماعيل عليهم السلام، إضافة إلى ما استقر في نفوس الجميع من أنهم خدم البيت الحرام، وعلاوة على ماكانوا يرونه من أن ديانتهم ـ بالرغم مما اعتراها من وثنية ـ أفضل من نصرانية أولئك.

فتيقنوا أن قتال أبرهة، والحيلولة بينه وبين هدم البيت، واجباً عليهم، إلا أنهم لم يكن لهم طاقة بلقاء أبرهه وجيشه. فكان لهلاك أبرهه وجيشه ومنعه من تحقيق غرضه أعظم الأثر في نفوسهم، كما تيقنوا أن ما أجراه الله على أبرهة من الهلاك لم يكن إلاّ بسبب البيت وحرمته، بعد ذلك أحسوا بفضله عليهم، ودوره في حياتهم، كما عرفت العرب كافة مكانة البيت وحرمته، ومكانة مكة وأهلها.

وبالرغم مما قد يتصوره البعض من أن حادث الفيل كان أمراً عارضاً فإن الأمر بخلاف ذلك حيث كان للحادث آثار عظيمة على الحياة العامة في مكة وما جاورها.

منها ماكان من أثر مضاعف في زيادة حرمة البيت عند العرب في جميع أنحاء الجزيرة، وزيادة مكانة أهله وسدنته من قريش، مما ساعدهم على أن يسيروا في الأرض آمنين، حيثما حلوا وجدوا الكرامة والرعاية، مما شجعهم على إنشاء خطين عظيمين بتنظيم رحلتين تجاريتين إحداهما لليمن في الشتاء، والأخرى إلى الشام في الصيف، في حين كانت حالة الأمن في الجزيرة على أسوأ حال لما كان شائعاً من السلب والنهب، إلا أن حرمة

البيت قد كفلت لجيرانه الأمن والسلامة، وجعلت لقريش بصفة خاصة ميزة ظاهرة [1].

ولقد كان هذا الحادث ونتائجه من أقوى الارهاصات للنبوة القادمة، ونظراً للارتباط الوثيق بين حادث الفيل، وما جاء بعده من أحداث، خاصة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ترجح أكثر الروايات أن مولده كان عام الفيل، من هنا كان وثيق الصلة بهذه الحادثة لكون الحدثين في عام واحد.

ثم ماتبع ذلك من بعثته صلى الله عليه وسلم، وظهور نبوته، وماتدل عليه الحادثة من حكم وارهاصات، وثيقة الصلة بالدعوة الإسلامية وعوامل نجاحها ـــ التي نحن في سياق الحديث عنها ـــ حيث أن العبر المستفادة من الحادث والحكم الإلهية، وما صاحب حادث الفيل من خوارق ومعجزات إلهية، مما كان أعظم النتائج في الدعوة الإسلامية، وعوامل نجاحها بعد البعثة بعد أن جمع الحادث قلوب العرب حول البيت، وعرفت العرب لقريش مكانتها مما كان تأسيساً لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعاملاً من عوامل نجاح الدعوة.

وعرفت العرب أن الله تعالى لم يكل حماية بيته إلى المشركين، بل تولى حفظه، وأهلك عدوه، لأن هلاك أصحاب الفيل لم يكن من أجل قريش بل من أجل بيته، ليبقى قبلة المسلمين ومأوى أفئدتهم، كما لم يكن لقريش من الفضل مايستحقون به دفع أصحاب الفيل، إلا لما أراده تعالى من ظهور الإسلام تأسيساً للنبوة من قريش، وتعظيماً للكعبة، ولما عرف العرب ماحصل لأصحاب الفيل، زادت حرمته في النفوس وعظموه، ودانت لقريش بالطاعة، فما كانت تسلم قريش حتى أسلم بقية العرب .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير الطبعة الثانية جـ٣٠ تفسير سورة الفيل.

٣ ــ موعظة وذكرى :

ولما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن ذكر العرب بحادث الفيل، وما صار إليه أولئك من هلاك وتدمير، بسبب كيدهم وضلالهم، وقصدهم السيء قال تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ »(سورة الفيل).

ولم يقف القرآن الكريم عند هذا الحد، بل أتبع السورة بسورة أخرى عن أثر هذا الحادث في مكة، وما تبعه من فضل من الله تعالى عليهم، حيث أغناهم بعد فقر، وأمنهم بعد خوف، بأسلوب تذكير يستجيش الحياء في النفوس، و يثير الخجل في القلوب، و يدفعهم إلى الايمان لأن قريشاً ما كانت لتجهل قيمة البيت، وأثر حرمته عليها حيث ماكانت في ساعة الشدة والبلاء تلجأ الاّ إلى رب البيت كما حصل من عبد المطلب قال تعالى :

« لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ » (سورة قريش).

وهكذا كان حبس الفيل عن مكة المكرمة ارهاصاً وتأسيساً لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أبان الله تعالى بسببه مكانة هذا البيت وحرمته، كما كان تنويها بذكر آباء الرسول إذ كانوا عمار البيت وسكان الوادي، كما كان الحادث أيضاً من الحجج على المشركين في تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، مما كان من عوامل نجاح دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

وحادث الفيل وما نزل فيه من قرآن كريم يوحي للمرء بعدة ايحاءات

---

(١) انظر : زاد المعاد لابن القيم الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م جـ١ ص ١٧ وبلوغ الارب للالوسي الطبعة الثانية جـ١ ص ٢٠٦.

واستنتاجات قد لا تقل عما سبق ذكره في المبحث من أثر في نجاح الدعوة الإسلامية نذكر منها باختصار :

إن الله لم يكل أمر بيته والدفاع عنه للمشركين حتى لا تكون لهم يد على بيته، ولا سابقة في حمايته بحميتهم الجاهلية (1).

إن الله هزم أولئك بالطير الأبابيل، في حين إنه قادر على هلاكهم بدونها، ولكن لبيان دور الأسباب، وربطها بمسبباتها، كما أن في حماية البيت وهزيمة قريش بيان لضلالتهم وأن الله قادر على نصرة رسوله والقلة المؤمنة لأنهم على حق، وأن يهلك قريشا على قوتها لأنهم على ضلال. وفي إيراد القرآن للقصة بيان لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ومن جانب آخر فوقف عبد المطلب، وإن كان يظهر أنه انهزام أمام أبرهه فهو فيه شجاعة ومعرفة قيمة البيت، وأثر حرمته في حياتهم، فهم لم يلجأوا عند الشدة والبلاء إلاّ إلى رب البيت وحده! ولم يواجهوه بصنم أو وثن، وإنما قال له عبد المطلب : «أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه» وأبت عليه شهامته العربية، وعزة نفسه الأبية، أن يستذل أو يستجدى العطف والرحمة من ذلك النصراني المعتز بقوته.

وموقف عبد المطلب ــ وإن كان من مشرك ــ يوحي للمسلم بوجوب الاعتماد على الله وحده، والتوكل عليه دون الاتكال على غيره من الخلق، فما أحوج المسلمين اليوم، وهم يتخبطون في البحث عن أسباب النصر أن يتجهوا لله وحده، و يعرفوا حقه حتى يمنحهم النصر قال تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ » (سورة محمد ﴿٧﴾).

---

(1) انظر : في ظلال القرآن الطبعة الرابعه جـ٦ ص ٢٩٧٤.

ليستطيعوا الوقوف في وجه أعدائهم من صليبية عالمية، وصهيونية خبيثة، وشيوعية ملحدة، بعد الأخذ بأسباب النصر التي جاءت بها الدعوة الإسلامية المباركة.

وكذا ندرك أهمية حادث الفيل وأثره في حياة العرب، ودوره في إنجاح الدعوة الإسلامية بعد ذلك.



الباب الثاني

العوامل الداخلية لنجاح الدعوة



تمهيـــد :

سبق أن بينا أن العوامل قسمان :

خارجيـة تحـدثنـا عنهـا فـي البـاب الأول، وداخلية ونعني بها العوامل اللصيقة بالدعوة من حيث ذاتها (المبادىء والأحكام والأصول...)

ومن حيث حملتها الذين قاموا بها وكانوا مثلاً حياً يمشي بين الناس بهذه الدعوة. وعندما ننظر في الدعوة الإسلامية، وسرعة انتشارها، واقبال الناس عليها في كل زمان، وبخاصة عندما كانت في عهدها الأول على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأخذنا العجب الشديد، حتى ليجد الإنسان نفسه أمام سؤال عريض هو :

ما أسباب انتشار الدعوة الإسلامية بهذه السرعة والسهولة؟! خاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام، الذين وهبوا أنفسهم، وما يملكونه لنصرة هذه الدعوة والدين الإسلامي الحنيف. لاسيا إذا أخذنا في الاعتبار تلك الظروف المحيطة بالدعوة ــ في تلك الحين ــ من ظلمات حالكة، وأطماع مستبدة، وعصبيات متناحرة، وحيث أن هناك أسباباً عدة لانتشار الدعوة ونجاحها. تقدم بعضها، ونعني به ما أسميناه في الباب السابق بالعوامل الخارجية لنجاح الدعوة، وهي سابقة على الأسباب والعوامل التي سنذكرها، والتي يمكن القول بأنها أشد ارتباطاً بالدعوة من العوامل السالف ذكرها لارتباطها بالإسلام الذي هو موضوع الدعوة وحقيقتها. إذ المقصود بالدعوة إلى الله الدعوة لدينه وهو الإسلام قال تعالى :

« إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ......» (سورة آل عمران ﴿١٩﴾)

وفي هذا الباب سنتناول بالبحث العوامل الذاتية في الدعوة والدعاة التي كانت من أسباب نجاح دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي صاحبت الدعوة في سيرها ولا زالت غرة[1] في جبين الدعوة الإسلامية.

---

(١) الأصل في الغرة الأثر الظاهر ومنه غرة الفرس.

الفصل الأول
العوامل الذاتية لنجاح الدعوة

العامل الأول : ربانية الدعوة.

العامل الثاني : موافقتها للحق والفطرة.

العامل الثالث : تدرج الدعوة.

العامل الرابع : شمول الدعوة.

العامل الخامس : قيامها على الجهاد.



العامل الأول : ربانية الدعوة :

للدعوة الإسلامية خصائصها. ولها ميزاتها التي تميزها عن غيرها من الدعوات الأخرى، وتجعل لها شخصيتها المستقلة عن أى دعوة كانت، فمن أهم خصائصها التي كانت في مقدمة عوامل نجاحها، كونها دعوة ربانية من عند الله تعالى، فالقرآن الكريم الذي هو دستور الدعوة ونظامها وموجهها منزل من عند الله تعالى، قال الله تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (سورة الحجر ۝٩)

فالدين الإسلامي ومبادئه، التي هى موضوع الدعوة ومصدرها، من الله تعالى وحده، والدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، قال تعالى :

« وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (سورة آل عمران ۝٨٥).

وترتب على كون هذه الدعوة من الله تعالى عدة صفات اكتسبتها الدعوة من صفة الربانية مثل : كمالها وسموها وعدالتها.......الخ.

فكان من مظاهر كمالها بقاء الدين الإسلامي في منهجه الرباني، وتصوره الاعتقادي، انه الدين الوحيد الباقي على أصله الرباني، وحقيقته الإلهية، في حين أن العقائد والمناهج السماوية التي جاءت بها الأديان قبله، قد دخلها التحريف في صورة من الصور، وقد أضيف إلى أصول الكتب المنزلة، شروح وتصورات وزيادات، ومعلومات بشرية، أدمجت في صلبها، فبدلت طبيعتها الربانية، وبقي الإسلام محفوظ الأصول، لم يشب نبعه الصافي الأصيل، ولم يلبس فيه الحق بالباطل، وهكذا صدق وعد الله بحفظ كتابه وسلامة دينه الإسلامي[1] .

---

(١) انظر : كتاب خصائص التصور الإسلامى الطبعة الرابعه ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ص ٥١.

كما خالفت الدعوة الإسلامية، ومنهجها الإسلامي غيرها من الدعوات بخلوها من معاني النقص والجهل والهوى والظلم لسبب ظاهر لكل ذي عقل مستنير، وفطرة سليمة، وهو أن صفات الصانع وقدرته تظهر فيا يصنعه فلما كان لله الكمال المطلق، في ذاته وأفعاله وصفاته، ظهر أثر ذلك الكمال على الدين الإسلامي، ودعوته التي جاءت من عند الله، خالية من كل نقص أو تقصير، متكاملة في منهجها، كاملة في تشريعاتها، ثابتة في أحكامها، غير متناقضة ولا متضاربة، قال تعالى :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » (سورة النساء ﴿٨٢﴾).

بخلاف المذاهب والأنظمة التي يصنعها البشر لأنفسهم ــ في معزل عن هدى الله ــ فإنها تحتاج دائماً إلى التطور في أصولها، والتحور في قواعدها، والانقلاب أحياناً عليها كلها، حين تضيق عن البشرية في حجمها الممتد، وفي حاجتها المتطورة.

وإذا كانت تلك المذاهب والأنظمة التي هى من صنع البشر تتعرض لهذا أوتحتاج إليه، فذلك لأنها من صنع البشر! والبشر قصار النظر. الذين لايرون الا ماهو مكشوف لهم من الأحوال والأوضاع والحاجات، في فترة من الزمن، وفي قطاع خاص من الأرض، رؤية ــ مع هذا ــ فيها تصور الانسان، وجهل الانسان وشهواته أما الدين الإسلامي، ومنهجه الإلهي، ودعوته الربانية، فهو يخالف في أصل تكوينه وخصائصه تلك المذاهب والتصورات البشرية، ومن ثم لايحتاج إلى التغيير والتطوير، لكمال واضعه، وسعة علمه، وقدرته التي لاحدود لها ولا زمان يحصرها لاسباب منها [1] :

١ ــ شريعة كاملة ثابتة ودعوة عامة :

وترتب على كمال الشريعة، وخلوها من أى عيب، وبعدها عن كل

(١) انظر : خصائص التصور الإسلامي ص ٤٨.

نقص – لأنها من الرب تعالى – ثبات هذا الدين من أساسه، وكونه كلاً لا يتجزأ، وعدم حاجته إلى أى تبديل أو تطوير في أصوله وعدم قبوله ذلك، وأن لايتأثر بالأحداث لأن مصدره الوحي السماوي، كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وقد صور القرآن الكريم طبيعة هذا الدين، وقوة ثباته، في قوله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ » (سورة إبراهيم ﴿٢٦﴾) وهذه نقطة الفصل بين الدعوة الإسلامية، التي تتصف بالثبات والقرار، لكونها من الله تعالى، والدعوات الأخرى المتصفة بالزوال، وعدم الاستقرار لأن هذه الدعوات والمذاهب الوضعية لاجذور لها.

وهذا الوصف من جانب آخر يدل على أن الدين الإسلامي، ومنهجه في الدعوة ، يتطوران مع الزمن، كما تتطور وتنمو تلك الشجرة المباركة، الحية النامية، مع المحافظة على أصلها وجذورها حيث أن الله تعالى لم يشبه هذا الدين، بثباته بصخرة صماء، لا نمو لها، ولا مرونة ولا حركة بها ولا حياة، لأن هذه الدعوة كما وصفها الله تعالى كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها[1] .

وإذا كان الله تعالى يثبت هذه الدعوة، كما يثبت تلك الشجرة، فهو يثبت الذين آمنوا بها واستقاموا عليها بالقول الثابت في الحياة الدنيا على الحق، لثبات دعوتهم، ويهزم الباطل وأهله لبطلان دعواهم، وفشل أمرهم، كما هي حال الشجرة الخبيثة التي لا قرار لها، ولا جذور فيها ولا أصول

---

(١) انظر : كتاب الإسلام الممتحن للشيخ محمد الحسني الندوى الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م ص ٣١ وكتاب أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان الطبعة الثالثة ص ٤٧.

تقوم عليها، وإذا كانت هذه حال الدنيا، فالأمر كذلك يوم الفزع الأكبر عند الجزاء والحساب، قال تعالى :

« يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ » (سورة إبراهيم ٢٧)

٢ ـ دعوة اليسر والسهولة والوضوح :

ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة ربانية، فقد اتسمت باليسر والسهولة، في مبادئها وفي منهجها وتشريعاتها وأحكامها، وفي طريقة تبليغها ونشرها بحيث تتفق مع فطرة البشر (كما سيأتي إن شاء الله تعالى)

لأنها من عند الله تعالى، جاءت من الله الكريم، ورحمة بهم، فكانت يسرة سهلة، لاحرج فيها ولاعسر ولا إرهاق، يقول الله تعالى :

« لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ » (سورة البقرة : ٢٨٦) و يقول الحق عز إسمه في الآية الأخرى : « يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ » البقرة ١٨٥) فكان من ثمار ذلك أن كانت أحكام الشريعة وتكاليفها، وفق مقدرة المرء الجسدية والعقلية والفكرية.

يقول العلامة ابن قيم الجوزية[١]: «إن قاعدة الشريعة أن العوارض النفسية لها تأثير في القول اهداراً واعتباراً ،اعمالاً والغاء»[٢] .

والقرآن الكريم يحوي عدداً كثيراً من الأدلة على ذلك نحو قوله تعالى :

---

(١) ابن قيم الجوزية : هو : شيخ الإسلام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب امام الجوزية وابن قيمها، فيها ولد سنة ٦٩١هـ كان عالماً بارعاً في العلم لاسيا علم التفسير والحديث والأصلين توفي بدمشق سنة ٧٥١هـ. انظر : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٢٣٤.

(٢) اغاثة اللهفان في طلاق الغضبان ص ٢٧.

« لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ...»(سورة النور ﴿٦١﴾) وفيما يلي بعض الأمثلة، وايضاحها في هذا الجانب :

فمثلاً نجد أن الحكم الذي يشق أداؤه على المكلف، يسقط إلى بدل كالصيام للمريض والمسافر والمرأة في زمن الحيض، يفطرون رمضان و يصومون بدلاً منه، وكالتدرج في أحكام الكفارات، وقصر الصلاة للمسافر، ورفع الحرج عن المريض حتى يبرأ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ، والنائم حتى يستيقظ قال تعالى :

« مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ » (سورة المائدة ﴿٦﴾) وقال تعالى

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (سورة الحج : ٧٨)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلي حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر»[١] .

وقد يسقط الحكم بتاتاً إذا وجد سبب شرعي لذلك، كإسقاط صيام رمضان عن الشيخ الفاني إذا لم يجد كفارة، واسقاط الصلاة عند الحيض والنفاس، وعدم المؤاخذة بالخطأ والنسيان لحديث «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٢] .

٣ ــ دعوة العدل والمساواة :

وكان من ثمار ربانية الدعوة، أن جاءت بالعدل والمساواة بعدما افتقدتها الإنسانية، ردحاً من الزمن، أثقل خلالها البشر بالظلم والقهر والتسلط

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك جـ١ ص ٢٥٨ ورواه أحمد في المسند جـ١ ص ٢٥٨ ورواه أحمد في المسند جـ١ ص ١٥٥ ومثله عند ابن خزيمة جـ٢ ص ١٠٢.

(٢) رواه الطبراني في الكبير الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م تحقيق حمدي السلفي جـ١ ص ٤٤.

الطبقي والجور ــ كما سبق ــ فجاءت هذه الشريعة بالعدل الذي هو مطلب فطري لكل البشر، في كل الأحوال، لأن المولى ــ عز وجل ــ لم يقم هذا الكون بما فيه من قوة هائلة، إلا على أساس العدل، كما أن تلك الدعوة جاءت لتنشىء أمة، وتنظم مجتمعاً، ثم لتنشىء عالماً، فجاءت دعوة عالمية إنسانية، لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس، وانما العقيدة هي الآصرة، والرابطة والقومية.

فهي لهذا قد حوت المبادىء التي تكفل تماسك الجماعة، واطمئنان الأفراد والأمم، والصدق في التعامل، والثقة في المعاملات، والوفاء بالوعد، والالتزام بالعهود.

بعد أن أرسى الإسلام مبادئه، وأصوله الثابتة على قاعدة ثابتة للتعامل قوامها العدل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بنزعة النفس البشرية بالحب والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، ولا تستميلها مظاهر الجاه، أو يؤثر فيها الغنى والفقر، إنما تمضي في طريقها، تكيل بمكيال واحد، وتزن بميزان واحد، مع الجميع، القريب والبعيد، الولي والعدو، كل هؤلاء وأولئك، يتفيأون ظلال عدلها الوارف، الذي نطقت به النصوص القرآنية المباركة[1]. كقوله تعالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (سورة النساء ١٣٥).

وقوله تعالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ

(١) (بتصرف) ــ في ظلال القرآن جـ١ ص ٢١٩ (سورة النحل).

قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ » (سورة المائدة ﴿٨﴾)

وكان بسبب ذلك تحقيق الدعوة الإسلامية لمصالح البشر الكثيرة، واتساعها لكل ما فيه خير الإنسانية كلها، وكان أن ساوت هذه الدعوة بين الناس بسبب عدلها في الثواب والعقاب، بخلاف المذاهب والدعوات الأخرى، المبنية على هوى البشر ورغباتهم، فرتب الله الثواب على الأعمال للمطيع قال تعالى :

« فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ » (سورة طه : ﴿١٢٣﴾) ورتب العقاب والجزاء على الأعمال للعاصي، قال تعالى :

« وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ »(سورة آل عمران ﴿١١٧﴾)

فأقامت مجتمعاً مبنياً على المساواة بين المؤمنين، وهدفت إلى اسقاط جميع الفوارق بين الناس، ولم تنظر الا إلى ميزان واحد، وهو ميزان التقوى، قال تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ » (سورة الحجرات ﴿١٣﴾)

وكان من السمات البارزة لعدل هذه الشريعة لكونها ربانية من الله تعالى، أن لا تعاقب أحداً بجريرة[١] غيره مصدقاً لقوله تعالى :

« وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ » (سورة فاطر : ١٨).

فكان من ثمار ربانية الدعوة، وما حملته من خير للبشرية، أن اندفع الناس إلى قبولها وتلقيها باختيار وارتياح تامين، فدخلوا في دين الله أفواجا،

---

(١) جريرة : أي جناية.

وحلت في سويداء قلوبهم، لايرغبون في سواها، وتربعت في مكانة عالية في نفوسهم، وحظت بقدر كبير من الهيبة والاحترام من قبل كل المؤمنين بها، مهما كان وضعهم، وحالتهم الاجتماعية، ومراكزهم الدنيوية بعد أن ساوت بين الأمير والخفير، والأسود والأبيض، والعربي والأعجمي.

لأن كل أولئك يسيرون في دائرة واحدة هى دائرة الخضوع لله، بعد أن منّ الله عليهم بهذه الدعوة، هبة منه وفضلاً.

خاصه أنهم لم يصلوا إلى هذه الحالة، وهى طاعة الله والخضوع له قسرا، بل كان منهم اختياراً ينبعث من النفس التي جعل الله فيها هذه الفطرة السليمة من كل زيغ، والقلب الذي لم ترن عليه ضلالات الهوى والجهل لأن من أسس قواعد هذه الدعوة لكونها ربانية، عدم الإكراه في الدخول فيها.

قال الحق تعالى لبيان تلك القاعدة : « لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »(سورة البقرة ٢٥٦).

وفي هذا أقوى الضمانات، لحسن تطبيق الإسلام وأحكامه، وعدم الخروج عليها، أو الامتعاض منها لأى سبب، وهذا كان من عوامل نجاحها بخلاف الدعوات الوضعية، وقوانينها التي شرعها الإنسان الضعيف القاصر، فإنها لا تظفر بهذا القدر من الهيبة والاحترام، لخلوها من الميزات التي اتصفت بها الدعوة الإسلامية والتي في مقدمتها صفة الربانية، وتلك الدعوات الوضعيه مهما بذل من جهد في سبيل تحسينها أمام الناس، أو محاولات من أجل وقوفها أمام دعوة الحق فهي زبد يذهب جفاء، وأما الذي ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ولما كان الضعف والقصور والجريان وراء الهوى من صفات الإنسان المخلوق، بخلاف الخالق المتصف بصفات الكمال المطلق، فلم يكن من

الممكن أو المعقول التسوية بين ماوضعه الخالق، وما وضعه المخلوق، إضافة إلى أنه قد يكون المكلف بامتثال، وتنفيذ تلك القوانين الوضعية أفضل وأذكى من واضع ذلك التشريع من البشر، وأقدر منه، كما أنه قد يتيقن أن واضعه إنما وضعه لغرض ما، ومقابل مصلحة ما، أما الدعوة الربانية فواضعها غني عن خلقه، محب لمصلحتهم، طالب لسعادتهم، فيتعين عليهم أخذ هذه الدعوة الربانية بالقبول الحسن، والارتياح التام، والمسارعة إلى الإستجابة لأمر الله لما في هذا من سعادة وخير للبشرية، قال تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ » (سورة الأنفال ٢٤)

وهذا من أسباب الإستجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما دخل الناس في دين الله أفواجا، بعدما تبينوا حقيقتها.

العامل الثاني : موافقتها للحق والفطرة.

لقد كان الحق ولا يزال مطلب الإنسانية منذ فجر التاريخ، لما في الحق من مصالح كثيرة وخير عميم، فهي لذلك تنشده، وتلهث في طلبه، وتبحث عنه حيثما كان، فلا غرابة والحال هذه أن تكون الدعوة الإسلامية هي مطلب الناس، لأنها دعوة الحق في مبادئها، وفي وسائلها وأساليب تبليغها.

فهي دعوة الحق التي لاتحيد عنه، ولأنها الدعوة التي ارتضاها ــ تعالى ــ لتكون سبباً لهداية البشرية، ومخلصاً لها مما أصابها من ويلات ومتاعب، وأن تزيل تلك الدعوة ــ بهدى الحق ــ أدران الدعوات الضالة، لأنها تستمد من الحق وجودها وقوتها وانطلاقها، وحركتها في كل اتجاه، وبهذا لم تستطع أي دعوة أخرى، مهما كان مصدرها ان تسامي الدعوة الإسلامية، أو تدانيها، لأنها دعوة الحق في مضمونها، ودعوة الحق في جوهرها، ودعوة الحق في صفتها، وقبل ذلك دعوة الحق في مصدرها.

وتلك الصفات لم تصبها الدعوة الإسلامية اعتباطاً، أو من طريق المصادفة غير المقصودة، أو الفلته العابرة، فالحق في منهج الدعوة الإسلامية كامل بلا ريب، وهو منهج الله الأصيل، قديم فيها قدم وجودها منذ وجد الانسان من لدن آدم عليه السلام.

وهذا المنهج يستمد قوته من موجده، وهو الله تعالى الحق، الذي يقول عن نفسه (جل جلاله) « ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ » (سورة الحج : ٦٢).

وهذا الكون بل الوجود كله بما فيه من عظمة تنطق بعظمة موجده، لم يوجد الا بالحق، ولم يقم بنيانه الا على الحق، مصداق ذلك قوله تعالى :

« وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ » (سورة الحجر : ٨٥)

يقول الأستاذ سيد قطب[1] :

«فالحق هو قوام هذا الوجود فإذا حاد عنه فسد وهلك قال تعالى في ذلك : «وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ » (سورة المؤمنون ٧١).

ومن ثم فلابد للحق أن يظهر، لابد للباطل ــ الذي هو خلاف الحق وعدوه اللدود ــ أن يزهق، ومهما تكن الظواهر غير هذا، فإن مصيرها إلى تكشف صريح

قال تعالى : « بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ

---

(١) سيد قطب : هو سيد بن قطب بن إبراهيم ولد في قرية«موشا» في اسيوط بمصر سنة ١٣٢٤هـ مفكر إسلامي، انضم إلى جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٥٣م وترأس قسم الدعوة، كما تولى تحرير الجريدة الناطقة باسمهم، وسجن معهم، له عدة مؤلفات مشهورة في مقدمتها تفسير«في ظلال القرآن» أعدم شهيداً في سجنه سنة ١٣٨٧هـ أنظر الأعلام جـ٢ ص ١٤٥.

ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ » (سورة الأنبياء : ١٨) والخير والصلاح والاحسان صفات أصيلة كالحق، باقية بقاءة على الأرض قال تعالى : « أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ » (سورة الرعد ١٧)

فأى طمأنينة تنشئها تلك الدعوة ومنهجها؟! وأى سكينة تفيضها على القلوب التي تنفتح لها؟!

فإن الإنسان السليم الفطرة، الفاحص النظر يصل إلى يقين جازم وحاسم انه لاصلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله.

والرجوع إلى الله له صوره واحدة، وطريق واحد لا سواه، إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم»[1] أ، هـ

ذلك المنهج الذي أسعد الإنسانية، وأعادها إلى صراط الحق المستقيم، طريق الخير والسعادة يوم أن قيض لها أن تتلقى ذلك المنهج السامق، في عهد الدعوة الإسلامية على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فأعاد الإنسانية إلى رشدها، وانتشلها من أعماق الجهل، والانحطاط وحال بينها وبين العادات الساقطة، ورفعها من ذل الشرك والجهل، إلى عز الإيمان والعلم، ولا أدل على ذلك مما قاله عن واقع العرب ــ بل الإنسانية ــ جعفر بن أبى طالب امام النجاشي حيث يقول :

---

(١) نص : الأستاذ سيد قطب في الظلال جـ١ ص ١٦.

«كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا لله لنوحده، ونخلع ماكنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا»(١).

وهنا نزر يسير من ميزات ذلك المنهج الذي هو من عند الله، منهج الحق. والإنسانية اليوم تعيش في جاهلية أشد سوءا، واكثر مصائب مما كانت عليه في ذلك الواقع الذي واجهه صلى الله عليه وسلم بتلك الشريعة الباهرة، التي جاءت بكل مصالح البشر لقيامها على الحق، ودحضها للباطل.

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية: «إن الشريعة الإسلامية مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وان أدخلت فيها بسوء التأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وكلمته الدالة عليه، وعلى صدق رسوله أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي أبصر المبصرون، وهداه الذي اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل(٢)» إ. هـ.

ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة الحق، لأن مصدرها، ومنهجها الحق،

---

(١) رواه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن أم سلمة جـ٣ ص ١٨٠.

(٢) نص (كتاب أعلام الموقعين) الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م (دار الفكر) جـ٣ ص ١٥.

فقد جاءت متلائمة مع فطرة النفس البشرية لأن تلك الفطرة البشرية خالقها وموجدها هو الله الحق، فكلاهما من صنع الله، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته ومنهجه، والله تعالى الذي خلق القلب البشرى، هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه دون غيره، و يشفي به من العلة، و يقومه من الانحراف.

فكان من نعم الله ــ جل علاه ــ على الإنسانية كلها أن جاء الدين الإسلامي الحنيف متوافقا مع فطرة البشرية السوية، التي أوجدها المولى في هذا المخلوق الفريد في نوعه، الفريد في تفكيره، الفريد في تصرفاته، مما كان من أسباب إقبال الناس على الدخول في دين الله أفواجا، بعد أن عرفوا حقيقة هذا الدين، بواسطة تلك الفطرة بعد أن جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين الحق.

فلم تلبث البشرية أن عرفت حقيقة هذا المنهج، فارتقت به إلى أعلى الدرجات، وارتفعت بسببه بعد قبوله من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ومن ضيق الأديان إلى سعة الإسلام، بعد أن حررتهم من الخضوع لسلطان الشهوة والمادة والحكام، وأخضعتهم لصاحب السلطان الحق الديان، وهو الله تعالى، بعد أن هدتهم تلك الدعوة بتوفيق الله لطريق الحق وسخرتهم لسلطانه، ودلتهم على طريق الهدى، ووفقتهم إليه بفضل من الله ومنه.

ولما كانت الفطرة لها ذلك الدور الهام في معرفة الناس لمنهج هذا الدين الإسلامي، ولكون الدين الإسلامي في أحكامه وتشريعاته وسبيل دعوته موفقاً للفطرة السليمة، مما كان من عوامل قبول الناس للدخول في الإسلام وانتشار دعوته، فإنه من المهم تعريف الفطرة وبيان دورها في دعوة الحق، ليتضح أثر ذلك في نجاح دعوة الإسلام.

دور الفطرة في دعوة الحق :

للفطرة البشرية دورها الهام في توجيه المخلوق البشري، ولها التأثير القوي

في سلوكه، وفي نفس الوقت لها حالتها الخاصة، إذ أنها دقيقة الشعور، سريعة التأثر بما حولها من مؤثرات توجه سلوكها، لأن جميع مافي الكون من آيات وسنن وقوانين ونعم باهرة تخدم تلك الفطرة، وتشبع رغباتها، وتحقق مطالبها، بل وتجيب على تساؤلاتها.

وهذا مما امتازت به فطرة الإنسان عن غيره من فطرة الكائنات الحية، بالبحث عن الحقيقة، والتفكير في الكون والبحث عن الحق وطلبه، ومحاولة معرفة الباطل لاجتنابه، ولكن هذا الاستدلال وتلك المعرفة لا تكون إلا عندما يوجد فطرة سليمة، سوية كما خلقها الله : «فطرة الله التى فطر الناس عليها» بعيدة عن المؤثرات الخارجية، نقية من أباطيل الضلال والهوى، عند ذلك تجد الفطرة ضالتها في الدعوة الإسلامية، ودينها الحق، وتشريعاتها الالهية الباهره التي فيها الاجابة المطلوبة عن كل تساؤل، لأن الله تعالى وهو الحق مصدرها، وموجه تلك الفطرة، وفاطر كل مافي الكون من موجودات، وهي كل لا يتجزأ.

فكان إهتمام الإسلام بالفطرة البشرية، وعدم اغفالها، والتجاوب مع متطلباتها، لتتمكن من معرفة الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، فجاءت تشريعات الدين الإسلامي، واهتماماته وأحكامه موافقة للفطرة البشرية السوية. « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »(سورة الروم ٣٠).

وما دام للفطرة هذه المكانة، وذلك الدور في حياة المرء الدنيوية والأخروية، فإنه من الفائدة التعرض إلى بيان الفطرة، ومعانيها اللغوية والاصطلاحية، نظراً لعمق الصلة بين الفطرة، وأسباب نجاح الدعوة الإسلامية التي نحن نتحدث عنها في هذا الكتاب.

الفطرة لغة :

الفطرة : الأصل فيها الخليقة، سواء خلقة إنسان أو حيوان أو أى كائن

آخر والفطرة مشتقة من فطر الثلاثي من باب نصر، والأصل في فطر بمعنى: أنشأ وبدأ فالفطرة الابتداء والاختراع(١) .

والفاطر المبتدىء، والفطرة في كلام العرب البداءة، قال تعالى :

« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ » (سورة فاطر ١) ويؤيد هذا ماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما إنه قال : لم أكن أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها أى ابتدأتها(٢) .

وقد وردت لفظة فطر في القرآن الكريم بعدة معان غير معناها الأصلي، وهو الخلق والابتداء(٣) كما سبق.

الفطرة اصطلاحاً :

الأصل في الفطرة عند العلماء الخلقة، والمقصود بها عند ماترتبط بالإنسان(الخلقة المتميزة بالنفخة من روح الله تعالى، التي يترتب عليها البحث عن خالقها) وهذا لايكون الا بواسطة الدين الحق، قال تعالى :

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »(سورة الروم ٣٠) .
ويرى أكثر علماء التفسير أن الفطرة هنا هى الدين الإسلامي، مستدلين لهذا بالحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور جـ٢ والمخصص لابن سيده جـ٤ ص ٣٨(مادة فطر).
(٢) تفسير القرطبى جـ٦ ص ٥١٠٧ تفسير سورة الروم.
(٣) انظر : لسان العرب جـ٢ ص ١١٠٨ ومختار الصحاح ص ٥٠٦.

وأقرؤا إن شئتم «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»[1] الآية.

وزاد مسلم بروايات أخرى للحديث بنفس المعنى، وأكثر طرق الحديث مروية عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال القرطبي[2] : واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة، منها الإسلام : قاله أبو هريرة وابن شهاب الزهري وغيرهما، قالوا : وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل، واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة المتقدمين وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس يوماً : «ألا أحدثكم بما حدثني الله في كتابه أن الله خلق آدم وبنيه، حنفاء مسلمين، وأعطاهم المال حلالاً لا حرام فيه، فجعلوا مما أعطاهم الله حلالاً وحراماً» [3]

وعلى هذا التأويل يكون معنى الحديث : أن الطفل خلق سليماً من الكفر، على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه، وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا [4] في الجنة، أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار، وقال آخرون : الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها، أى على مافطر الله عليه خلقه، من أنهم ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاء، والى مايصير إليه عند الادراك.

قال المروزى : كان الامام أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم

---

(١) رواه البخارى في (كتاب الجنائز جـ١ ص ٢٣٥) ورواه مسلم في (كتاب القدر جـ٤ ص ٢٠٤٧).

(٢) تفسير القرطبى جـ٦ سورة الروم.

(٣) رواه مسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها ــ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة) جـ٢ ص ٢١٩٧.

(٤) الادراك اللحوق واللحاق، يقال : مشى حتى أدركه، وأدرك الغلام، أى بلغ المراد به هنا البلوغ.

تركه. ومما احتجوا به هذا ماروى عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : « فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ » (سورة الأعراف ٣٠) قال : من ابتدأ الله خلقه للضلاله صيره إلى الضلالة، ومن ابتدأ الله خلقه للهدى، وإن عمل بأعمال الضلالة، ابتدأ الله تعالى خلق ابليس على الضلالة، وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة، ثم رده الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه، قال : وكان من الكافرين[1]

وجاء معنى ذلك مرفوعاً من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة غلام من الأنصار فقلت يارسول الله، طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة! لم يعمل السوء ولم يدركه! قال : أو غير ذلك ياعائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[2]

وقال الواحدى[3] : «المراد بالفطرة في الآية الملة، وهى الإسلام والتوحيد وهو قول المفسرين في فطرة الله، والمراد بالناس الذي فطرهم على الإسلام لأن المشرك لم يفطر على الإسلام[4]

وقال أبو الهيثم : الفطرة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه قال : وقوله تعالى :

« إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ » (سورة الزخرف ٢٧) أى خلقني[5] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبى جـ٣ تفسير سورة الروم.

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر طبعة ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والافتاء جـ٤ ص ٢٠٥٠.

(٣) الواحدى : هو علي بن حسن بن أحمد النيسابورى، مفسر عالم بالادب، له مؤلفات في التفسير توفي سنة ٤٦٨هـ انظر البداية والنهاية جـ١٢ ص١١٤ الأعلام جـ٤ ص ٢٥٥.

(٤) فتح القدير جـ٤ ص ٢٢٤.

(٥) لسان العرب جـ٢ ص ١١٠٨.

والأولى حمل الآية على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم وأنهم جميعاً مفطورون على ذلك، لولا عوارض تعرض لهم، فيحيدون عن طريق الحق، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة الذي أخرجه الستة، ولفظه عند البخاري ومسلم : «مامن مولود إلا يولد على الفطرة» وفي رواية عند مسلم «الا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه»[1].

فكل فرد من الناس مفطور أى مخلوق على ملة الإسلام، لولا مايعرض له من عوارض تصرفه عن الطريق السوى.

كما ترد الفطرة بمعنى السنة المأمور بها روى مسلم ــ بسنده ــ إلى أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الفطرة خمس(أو خمس من الفطرة) الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب»[2]

قال الإمام النووي : «وأما الفطرة فقد اختلف في المراد بها هنا فقال أبو سليمان الخطابي : ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة، وكذا ذكره جماعة، فقالوا : ومعناه أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل هي الدين، ثم إن معظم هذه الخصال ليست واجبة، وفي بعضها خلاف في وجه، كالختان والمضمضة والاستنشاق»[3]

ولما كان للفطرة تلك المكانة الهامة في توجيه المرء، ولكونها دقيقة الشعور سريعة التأثر بما حولها، من مؤثرات توجه سلوكها، اهتم بها الإسلام، وأرشد إلى ضرورة المحافظة عليها، وتوجيهها الوجهة السليمة، التي تتفق مع إرادة الله من خلق الثقلين ــ الجن والانس ــ وهى عبادته وحده، قال تعالى :

---

(١) صحيح مسلم(كتاب القدر جـ٤ ص ٢٠٤٨).

(٢) رواه مسلم في (كتاب الايمان ــ باب خصال الفطرة) جـ١ ص ٢٢١.

(٣) نص النووى في شرح مسلم الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م جـ٣ ص ١٤٨.

« وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »(سورة الذاريات ﴿٥٦﴾) وتحقيق خلافة الله في أرضه وفق مراده تعالى، فالفطرة في النفس البشرية كالمشكاة التي تضيء للمستنير بها الطريق المستقيم، مادامت صالحة في جوهرها، سالمة من المؤثرات الخارجية، وإذا تعطلت في الإنسان تعطلت نفسه، وخربت جوانبه، وأظلمت حياته، وتخبط في سلوكه. كالذي فقد الضوء الهادي، فإنه ينحرف عن طريق الحق والصواب.

من هنا جاء منهج الإسلام في الدعوة، منهج العليم بأسرار النفس البشرية، الخبير بما يزكيها ويفسرها، المطلع على بواطن القوة والضعف فيها، لأنه منهج الله تعالى، العالم بكل شيء، الخالق لهذه الفطرة بهذه الصورة الفريدة.

قال تعالى : « وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ »(سورة الملك ﴿١٤﴾).

فعملت تلك الدعوة عملها في النفس البشرية، بردها إلى فطرتها السليمة، وتخليصها مما علق بها من أوضار الشرك، وخرافات العرف والتقاليد، وهكذا كان استعمال دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الفطرة في قبول منهج الإسلام، وكونها سبباً مهماً من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية[١] .

المؤثرات في الفطرة :

وما دامت هذه ميزة الفطرة ومكانتها وموقف الإسلام منها، وحفظها من المؤثرات والأسباب التي تعطلها، فلسائل أن يسأل فيقول : ماهي المؤثرات في الفطرة أو المعطلات لها؟

---

(١) انظر : كتاب منهج القرآن في التربية مؤلفه /محمد شديد ص ٦٧.

سواء ماكان من المؤثرات الايجابية التي استفادت منها الدعوة أو المؤثرات السلبية والمعطلات التي حذر منها الإسلام؟

والجواب : إن تلك المؤثرات كثيرة، أرشد إلى بعض منها (وهو أهمها) الصادق المصدوق في الحديث الصحيح (مامن مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

وهذه مجرد نماذج من المؤثرات على الفطرة، ومن أسباب انحرافها باتباع هوى الأبوين، لأنها أشد مايتأثر به المولود خصوصاً في صغره، في وقت تكوينه وبنائه، والا فالمرء يتأثر بكل ما حوله، وما في بيئته من مجتمع وعلم وجهل، وقوة وضعف، وغنى وفقر، وعقل وتفكير، ومن الممكن تلخيص المؤثرات في الفطرة فيما يلي :

الهوى المضل، والنفس الأمارة بالسوء، والشيطان المسول للبشر، والشهوة الجامحة العنيدة، والغريزة المتسلطة، والمادة المهلكة، والمركز الاجتماعي، والرئاسة في المجتمع والقبيلة.

ولما كانت الدعوة الإسلامية هى دين الحق الذي ارتضاه الله لعباده ديناً « إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ »(سورة آل عمران ١٩) وقال تعالى : « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا »(سورة المائدة ٣) لذلك كان اهتمامها بالفطرة وعدم إغفالها في أى لحظة أو حال ما.

كما كان أن أخذ الدين الإسلامي يحاول جاداً بتحرير النفس الإنسانية، وحمايتها، فكان في مقدمة اهتمام الدعوة الإسلامية بالفطرة اهتمامها بالعقل لكونه جزءا مهماً في الفطرة، ولكون كلاهما يؤثر في الآخر، وشديد الارتباط به. فالفطرة تخدم العقل في حين نجد العقل يخدم الفطرة.

وإذا كـان الإسـلام لم يهـمـل الـفـطرة، بـأن جاءت أحكامه وتشر يعاته منـسـجـمـة مع الفطرة وكان هذا من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية، وقبول الـنـاس لـديـن الإسـلام، والـدخـول فـي ديـن الله أفـواجـا، فهو كذلك اهتم بـالعقل، ولم يهمله، فلا غرو إذاً أن نجد الإسلام يوجه خطابه للعقل في كثير من آيات الـقـرآن الـكـريم، ونجد في مقدمة اهتمامات القرآن الكريم الأمر بالتفكير والتأمل، وتحكيم العقل.

وخاصة مع أولئك البشر الذين أضلهم الشيطان، وسول لهم الباطل حقاً، والمـنـكـر مـعـروفـاً، بـعـد أن سيـطـر عـلـى عـقـول أولئك القوم من المشركين والمنـافـقين، فكان أن أرشد القرآن الكريم إلى إنه لوكان لهم عقول يدركون بها، لـعـرفـوا الحـق مـن الـضـلال، ولما التبس عليهم الحق بالباطل، والهدى بـالضلالة، ولكنهم من مرضى القلوب الذين أعمى الله عقولهم و بصيرتهم عن الحق، الذين قال الله تعالى فيهم :

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ »(سورة الحج ٤٦)

وكـان من مظاهر اهتمامات الدعوة الإسلامية أن ارشد الإسلام إلى أن الايمـان لايـكـون بـمـجـرد الـقلب بل لابد من العمل، ومجاهدة النفس في أمر الايمان، لأن المـسـلـم بتلك المجاهدة للنفس يخضع كامل قواه، بما فيها العقل والـفـطـرة لمنهج الله الـقـويم، الـذي لايـغـفـل العقل والفطرة، فكان أن ربط الإسلام بين الاعـتـقـاد والـعـمـل في آيات لاتحصى من القرآن الكريم في مقدمتها فاتحة سورة البقرة حيث يقول تعالى :

« الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (سورة البقرة : ۞)

كما كان من مظاهر ربط الإيمان بالقلب والإدراك بالعقل والعمل المثمر الخالص لوجه الله تعالى، أن جعل الله صلاح الفطرة يكون في المجاهدة لإقرار منهج الله الحق عن طريق الجهد البشري، وفي حدود الطاقة البشرية(١).

ومن منطلق حرص الإسلام على حماية الفطرة وحفظها، حرص الدين الإسلامي على تحرير العقل وحفظه من المؤثرات المادية والمعنوية، وفي مقدمة ذلك التحرر الأمر بافراد الله بالعبادة، لان عبادة غير الله تعالى، أو اشراك غيره معه من الطواغيت بأى صورة من الصور ــ التي يضيق المجال للتعرض لها ــ يعتبر سيطرة على العقل، وسبباً لضياعه وعدم حفظه، واخضاعه لإرادة الغير وسيطرة الخلق عليه، وفي هذا اهدار للفطرة واهانة لكراماتها، وفي افراد الله بالعبادة كمال النضج العقلي للفرد والأمة، وحفظاً للفطرة واكراماً لها.

الإسلام وتحرير العقل وحفظة :

وما دامت هذه نظرية الإسلام للعقل، وهذا دوره في الفطرة ونظراً لكون إهتمام الإسلام بالعقل جزءا من اهتمامه بالفطرة، ولما لذلك من أثر في نجاح الدعوة الإسلامية فن المفيد الإشارة باختصار إلى بعض ما جعله الإسلام من أحكام شرعية، وقواعد ثابتة لحماية العقل وتحريره من المؤثرات.

لقد جعل الإسلام من الأحكام والقواعد الشرعية ما يكفي لحماية العقل، وتحريره من المؤثرات، وبين نتائج الانسياق وراء تلك الأشياء وعاقبة ذلك قال تعالى : «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (سورة القصص ۞٥٠).

---

(١) انظر : تفاصيل ذلك في كتاب (هذا الدين للشهيد سيد قطب ص ٤ وما بعدها.

ففي مجال المادة مثلاً نجد الدين الإسلامي يجعل الأسباب والوسائل التي تحمي من شرها المستطير، ويضع نظاماً للكسب الصحيح، والعمل المثمر، والعيش الحلال، ويوجب الزكوات، ويشرع الصدقات، ويرشد إلى طريق الانفاق المتعددة ــ التي يضيق مجال التوسع في بحثها ــ ليحصل التوازن بين المجتمع، جاعلاً ميزان كل ذلك التقوى والدين، ليحرر بذلك الفطرة والعقل من سيطرة المادة وشرورها.

ومن جانب تلبية الحاجات العقلية المعنوية والفكرية حث الإسلام على ملء الفكر والروح بالعلم النافع في الدنيا والآخرة، فكان من أفضليات ما أمر به في هذا المجال الأمر بقراءة القرآن وحفظه، وجعل الثواب الجزيل عليه، والأحاديث الصحيحة المتواترة على الحث على قراءة القرآن وحفظه والعمل به وتعليمه كثيرة، منها مارواه البخاري ــ بسنده ــ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]

ورغب الإسلام في العلم النافع الذي يحمي الفطرة والعقل، ولم يجعل العلم قاصراً على فئة معينة ــ كالقسيسين والرهبان ــ بل ان المسلمين يطلب منهم جميعاً معرفة أحكام دينهم من مصادرها الأصلية.

وهذا بخلاف الأديان الأخرى، وأمر بنشر العلم، ورغب فيه، وبين إن الناس تختلف مداركهم ومشاربهم في العلم والتعليم لاختلاف فطرهم، وإن خيرهم من علم وعلّم فاستفاد وأفاد.

جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا

---

(١) صحيح البخارى(كتاب فضائل القرآن ــ باب خيركم من تعلم القرآن) جـ٣ ص ٢٣٢.

وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[١]

ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة الخير لكل البشر، ودعوة العلم والمعرفة فكان اهتمام الدعوة بالعلم اهتماماً بالغاً عندما بدأ الوحي بالأمر بالقراءة والاشادة بالعلم والمعرفة لأن في ذلك ابانة حقيقية لوحدة الكون، ووحدة الاله المعبود، ووحدة النظم، ووحدة المنشأ والمصير، ومعرفة ذلك والايمان به أساس هذه الدعوة[٢]

وبذلك أقام الإسلام منهجه التربوى النفسي والتعليمي على أساس راسخ من الحق والعلم استجابة لفطرة الانسان ومتطلباتها، ولم يقم هذا المنهج على الخداع والمكر، واستغلال لحاجات ومتطلبات العقول في الترويج للباطل والأفكار الهدامة.

وإذا كان المسلمون ــ مع الأسف ــ قد ابتعدوا عن منهج الإسلام في ذلك! نتيجة تقليدهم كل ناعق! فما أحوجهم اليوم للعودة إلى منهج الإسلام في كل شؤونهم خاصة في مجال تربية النشيء وتعليمه بعد أن سبب للمسلمين تقليدهم الانحطاط، والهزيمة أمام الشعوب الأخرى!

وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وهم كغثاء السيل، ولم يحققوا قول الله تعالى فيهم : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »(سورة آل عمران ١١٠)

ثمار تلازم الحق والفطرة :

أود أن أشير هنا إلى إنه ليس هناك فرق بين وصف الدعوة الإسلامية

---

(١) رواه البخارى في (كتاب العلم ــ باب فضل من علم وعلّم) جـ١ ص ٢٦.

(٢) انظر : منهج القرآن في التربية محمد شديد طبعة ١٣٩٩هـ : مؤسسة الرساله بيروت.

بـدعـوة الحـق، أو دعـوة الـفـطـرة للتـلازم التام، والتوافق الكامل بين هذين المعنيين من جانب وموافقتها للدعوة من جانب آخر.

ولذا يجب أن لايفهم من وصف الدعوة الإسلامية في هذا المبحث بدعوة الحق تـارة، ودعوة الفطرة تارة أخرى أن هناك اختلافاً بين المنهجين، بل ان هـذا التوافق يعتبر من ميزات الشريعة ودعوتها الإسلامية، لأنه يبلغ بها مدارج الكمـال، ومما يزيد في توضيح محاسنها، وقبول الناس لها مما كان من عوامل سرعة انتشارها، ونجاحها.

وقـد ترتب على هذا التوافق بين الدعوة الإسلامية، وبين الحق والفطرة، اضافة إلى ماسبق ــ من كونها دعوة ربانية ــ من المصالح للعباد، والمحاسن ما يـعـجز القلم ــ مهما أوتي من قوة البيان ــ عن تسطيره، ولكن لابد من محـاولـة ايضاح بعض جوانب ذلك فيما يأتي حيث إن تلك النتائج لا تقل عما سلف بيانه في هذا المبحث من أهمية في نجاح الدعوة الإسلامية.

أ ــ دعوة ثابتة كاملة :

فـلـقـد نتج عن كون دعوة الإسلام دعوة الحق والفطرة أن جاءت الدعوة تـتـصـف بـصفات الكمال، لكونها ثابتة في أساسها القوى، وقاعدتها الصلبة، لـتـقـف شـامخـة البنيان، ثابتة الاركان. تستعصي على كل ظالم ومعتد، في حين أن ثـبـاتها هذا لايعني جمودها، وعدم تطورها، بل أن من سماتها قابليتها للحركة والتطور والا كيف يمكن أن تكون صالحة لكل زمان ومكان؟ لكن هـذه الحـركـة وذلك التطور داخل اطار ثابت، وهذا الاطار الثابت يسمح لها بـالحـركـة، بـل يـدفـعـهـا للحركة داخله من غير تجميد لحركة الفكر والحياة اللذين يتحركان وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وكـان من نـتـائج ذلـك اتصاف الدعوة الإسلامية بالايجابية. فالايجابية تـكـون مـثـلاً فـي تـأثـر المسلم بمنهج الإسلام في معرفته عن علاقة الله تعالى

بالكون والحياة، وأنه خالق هذا الكون العظيم وموجده، ومعرفة المسلم لعلاقة الانسان بالله خالقه، وعلاقة الناس بعضهم ببعض.

فالإسلام وهو دين الفطرة لم يهمل تلك النظرات والتأملات الفطرية لدى الانسان لحظة واحدة، والدعوة الإسلامية تنمي تلك المعاني والتساؤلات الفطرية، وتحاول ايصالها إلى الحقيقة، ومن ثم الاستفادة منها في مجال الدعوة الإسلامية، وهداية الخلق إلى الخير والفلاح.

والدعوة الإسلامية بذلك تخالف المذاهب الوضعية، والمناهج السلبية التي جاءت عن أرسطو أو غيره من الدهريين الذين لا يؤمنون إلاّ بالمادة، ولا يعتقدون الا فيا هو محسوس مشاهد. كما تخالف تلك المعتقدات التي تحد من النظر والفكر ولا تسمح له الا في نطاق ضيق، وفي بعض الجوانب فقط، كما تصور الفرس المجوس صفات «هرمز» اله النور والخير، واله آخر هو «أهرمان» اله الظلام والشر[1] على زعمهم.

ب ــ دعوة المثالية والواقعية :

والدعوة الإسلامية في مثاليتها تحرص على إبلاغ الإنسان الكمال المقدور له بجعل تصرفاته وأفعاله وفق منهج الله تعالى ومراده، وهذا المنهج هو الذي جاء به الإسلام عن الله تعالى، وطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بالعمل به من غير زيادة ولا نقصان، وهو منهج الحق والفطرة، وكان من ثمار المثالية أمر الإسلام بالاعتدال في كل شيء وعدم الافراط أو التفريط، واعطاء كل ذي حق حقه، فدعا الإسلام إلى الاعتدال، حتى في أمور الدنيا والحياة، بما فيها الأكل والشرب، قال تعالى :«وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ »(سورة الأعراف : ٣١)

وهذا الاعتدال مطلوب في العبادات كذلك حيث أن المرء منهي عن

---

(١) انظر : خصائص التصور الإسلامي : سيد قطب، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ، ــ ١٩٧٨م ص ١٧٢.

الغلو في دينه، أو ايذاء جسده بالعبادة، يدل على هذا ما جاء في الصحيحين. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوّها فقالوا :

وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر! فقال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذي قلتم كذا وكذا أما والله اني لأخشاكم الله، واتقاكم لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]

واذا كانت الدعوة الإسلامية على تلك الصورة، من المثالية والايجابية فهى كذلك دعوة واقعية، لأنها جاءت عن الله تعالى، وتتعامل مع الانسان من واقع فطرته وادراكه، آخذة في الاعتبار تكوين الانسان الفكرى، وطاقته الجسيمة، واستعداداته الفكرية والذهنية والعقلية مع تكريم هذا المخلوق، وتقدير مشاعره وأحاسيسه.

فهذه الدعوة لاتهدر قيمته أو تغفل عنه في صورة من الصور أو لحظة من اللحظات، في حين لا ترفعه عن منزلته باعتباره بشراً خلق لعبادة الله، واستخلافه في الأرض، وقيامه بعمارتها. ومنهج الدعوة الإسلامية في ذلك يخالف الدعوات الوضعية التي تسعى إلى مصادمة الفطرة، وصرفها عن الطريق المستقيم، بكل ما أمكن من الوسائل، وتنتهج مع الانسان وفطرته مناهج الخداع والمراوغة، بتزيين الباطل، وتشويه الحق، واختراع الأسماء الممقوتة، والأوصاف القبيحة للتنفير من الحق وأهله، مع استغلال حاجات الشعوب المادية الضرورية من كساء وطعام ودواء لجعل قضاء حاجاته تلك

(١) رواه البخارى في(كتاب النكاح) جـ٣ ص ٢٣٧ ورواه مسلم جـ٢ ص ١٠٢٠ كتاب النكاح.

وسيلة لملىء فكره وعقله قبل ملىء بطنه بتلك المذاهب وفلسفاتها الهدامة، إلى حد يصل الأمر معه إلى الارغام بالقوة على قبول مذاهبهم، عند عجز الوسائل الأخرى كما هو مشاهد الآن في أكثر بلاد الدنيا، وخاصة البلاد التي تسلطت عليها الشيوعية والالحادية.

وهذه الواقعية في منهج الدعوة الإسلامية كان من ثمارها ووضوح منهجها، إقبال الناس عليها اختياراً لا قسراً، وقبولها عن رغبة صادقة وطلب للحق ، وادراك لمحاسنها مما هو أقوى الاسباب لنجاح الدعوة، واقتناع الناس بها، حتى ان المسلم الذي تتفتح فطرته لهذه الدعوة لايخرج عن منهجها ولوقطع اربا، ودليل ذلك ما لاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم من الايذاء ممن كان من أقرب الناس اليهم، ومع ذلك ماوهنوا وما استكانوا، وحصل لهم الفوز بما وعدهم الله من النصر، والتمكين في الأرض.

جـ ـ شهادة الخصوم لها:

وقد اعترف بهذه الخصوصية أعني تحمل الأذى من قبل المسلمين في مختلف العصور حتى أعداء المسلمين لأن ذلك نتيجة طبيعية من نتائج موافقة تلك الدعوة للفطرة، كما شهد بذلك هرقل(امبراطور) الروم أمام أبى سفيان بن حرب في ملأ من الكفار من وثنيين ونصارى عندما سأله عن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته فيهم.

فكان مما سأل عنه هرقل سؤاله عن اتباع هذا النبى صلى الله عليه وسلم «أيزيدون أم ينقصون؟ قال أبو سفيان : بل يزيدون، قال هرقل : فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه قلت : لا، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال : قلت لا «وأخذ أبوسفيان يجيب على كل الأسئلة التي سألها هرقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن قال هرقل :

سألتك عن أتباعه أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الايمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب.....»[1]

وحيث لم يخرج أحد من الإسلام سخطه لدينه، فذلك لقناعة كل من دخل في هذا الدين، وآمن بما أنزل على رسوله، إنه الحق من عند الله، فهو لم يدخل فيه متأثراً باكراه، لأن عدم الاكراه قاعدة هامه وأساسية في هذا الدين، يعرفها القاصي والداني، قال تعالى :

« لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ » (سورة البقرة : ٢٥٦)

وذلك لأن العقيدة أمر داخلي، تختلج في نفس المرء لا يعرفه أحد سواه، فكان مجرد التلفظ باللسان لايكفي لايجاد العقيدة الصحيحة، بل لابد من اليقين الداخلي الذي يكون التصرف الارادى تعبيراً عنه، ودليلاً عليه، لأن الدين الإسلامي جاء ليكرم الانسان، ويهيء له مجال الاستفادة من فطرته وعقله، بطريقة سليمة، وفق مراد الله، ويميز بها بين الخير والشر، ولما جاء الإسلام ليعيد الإنسانية كلها إلى وضعها الطبيعي فلم يكن بحاجة لاستعمال الاكراه في دعوة الناس إلى الله.

د ــ نتائج ذلك وأثره في الدعوة :

والإسلام لم يقف عند هذا الحد من عدم إكراه الناس على الدخول فيه، بعد بيانه لهم، بل لايرتب على الفعل المكره حكماً شرعياً، حتى في العبادات كالمعاملات والنكاح والطلاق، لكون الأعمال مبناها وأساسها النية والقصد، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى».

وقد صدر الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ كتابه الصحيح بهذا الحديث

---

(١) رواه البخارى جـ١ ص ٨ (باب بدء الوحى).

الشريف، وجاراه في هذا المنهج عدد من المصنفين من أهل الحديث، وعقد بابا في صحيحه أسماه «كتاب الاكراه»[1] أورد فيه ما يربو على عشرة أحاديث صحيحه تبين أحكام الاكراه، في المعاملات والنكاح والعبادات وغيرها وتلك النصوص المختلفة تؤكد عدم ترتيب شيء من الأحكام على الاكراه.

ولا يخفي الأثر الناتج عن مبدأ عدم الاكراه في الدين في نجاح الدعوة الإسلامية، واقبال الناس عليها برغبة واختيار، وهذا المبدأ العظيم، وان كان في الأصل تقريراً لحرية العقيدة، فهو بعد ذلك تقريراً لحرية الدعوة، ونشرها وتبليغها للناس صافية نقية كما جاءت من الله تعالى[2] .

واضافة إلى ذلك فالدعوة الإسلامية تقف بمبدأ عدم الاكراه في الدين موقفاً انسانياً كريماً مع أهل البلاد المفتوحة، حيث توجب تركهم أحراراً في عقائدهم وشعائرهم، مع دعوتهم بالحكمة والقدرة والموعظة الحسنة، كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أهل «ايليا» بيت المقدس حيث كتب لهم.

«هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أهل ايليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم»[3]

ولم يقف الأمر بالدعوة الإسلامية عند حد تركهم ودينهم بل تقرر أن لغير المسلمين الذين يسكنون من الحقوق العامة ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من واجبات عامة.

---

(١) صحيح البخاري جـ٤ ص ٢٠٠.

(٢) لزيادة الايضاح عن هذا المبدأ يراجع تفسير في ظلال القرآن الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م جـ١ ص ٢٩٠ وما بعدها عند تفسير قوله تعالى : «لا اكراه في الدين».

(٣) تاريخ الطبرى الطبعة الثانية جـ٣ ص ٦٠٩.

والمسلمون مطالبون بحسن معاملتهم والاحسان اليهم، وكل تلك المواقف الإنسانية من الإسلام ينكرها أتباع الأديان الأخرى ـ خاصة في هذا العصر ـ حيث يتعاملون مع المسلمين الذين شاء الله تعالى أن يعيشوا بينهم في ذل وهوان وتعسف في عصر العلم والرقي والتطور والحرية ـ كما يزعمون ـ ويقابلون سماحة الإسلام بالكيد للدعوة ومحاربتها بكل وسيلة، وفتنة المسلمين عن دينهم، وأوضح مثال لذلك الحروب الصليبية القديمة، وثم ماتقوم به جيوش المبشرين والتبشير من جهود جبارة ضد الدعوة الإسلامية والمسلمين في عصرنا هذا. وما تنفقه تلك الصليبية في أوروبا وأمريكا مثلاًمن مبالغ طائلة لتحقيق تلك الجهود أغراضها، مع استمرار الغزو العسكري في خطه المرسوم له في فلسطين وقبرص والفلبين والحبشة وأريتريا وغيرها.

والشيء العجيب إنه مهما اختلف أولئك الأعداء في مذاهبهم المادية أو نظرياتهم فهم متفقون دائماً على هدف واحد هو محاربة الإسلام والقضاء على المسلمين، ولكنهم لن يصلوا إلى هدفهم ـ إن شاء الله ـ وسيكون تدبيرهم تدميراً لهم، لأن الله تعالى وعد المسلمين بالنصر، إذا هم نصروا دينه، قال تعالى :

« إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » (سورة محمد ۞ ٧)

والمسلم بعقيدته القوية، وايمانه الراسخ، يعلم أن الله قد وعده النصر والغلبة والتمكين، مهما تكاثر الأعداء، ومهما كانت قوتهم المادية لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، والمؤمن يستيقن إنه بالرغم مما يصيبه من ضعف وقهر فستكون العاقبة له، وانه سينتصر بإذن الله، كما يستيقن إنه مهما أصيب فهي فترة عارضة ثم تزول، وانه إذا كان للباطل جولة فإن للحق جولات[1] .

وهذا الشعور شيء فطرى وهبه له الله تعالى لأنه على حق بايمانه على

---

(١) انظر : كتاب معالم في الطريق سيد قطب، منشورات دار الشروق ص ١٦٣.

حق فيما يدعو إليه، وتلك الفطرة السليمة أعطته يقيناً جازماً بأن الله تعالى الذي منّ عليه بهذا الدين، وتفضل عليه بهذه الدعوة المباركة، لن يخذله لأنه يعلم أن الناس يموتون وهو يستشهد.

وهو عندما يقتتل في سبيل الله ودعوته يذهب إلى الجنة وعدوه إلى النار، وهو يعلم ما أعده الله لعباده المؤمنين من نعيم في الدنيا والآخرة، وهو يستمد جميع تلك المعانى من الله تعالى الذي أعطاه هذا الدين الحق ووهبه تلك الفطرة السليمة.

وهكذا ندرك طرفاً من حكم موافقة دعوة الإسلام للحق والفطرة، وأثر ذلك في نجاح الدعوة وقبولها من الناس، سواء من تلك المعاني ماكان يتعلق بمبادىء الدعوة، وهو الإسلام أو ماكان يتعلق بالأساليب والوسائل وهو التبليغ حسبما سبق في تعريف الدعوة.

العامل الثالث : تدرج الدعوة :

سبق أن أشرت عند التعريف اللغوى للدعوة أن ذلك المعني يفيد المحاولات القولية والفعلية، والسعى إلى تحقيق الهدف المطلوب، مما قد يحتاج معه الأمر إلى جهد والحاح.

ولقد كان هذا منهج الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم، لأن أمر الدعوة إلى الله وحده، وافراده بالعبادة ليس عملاً سهلاً، أو أمراً يسيراً، فرسل الله ابتداء من نوح عليهم السلام كانوا يلاقون أصناف الاذى وأشد الابتلاء عندما يدعون قومهم إلى توحيد الله وحده.

والقرآن الكريم ــ الذي أنزل هداية للبشر ــ قد حدد لنا كيف كان موقف الأمم السابقة من أنبيائهم، وما لاقاه أولئك الأنبياء ــ عليهم السلام ــ من الاعراض والصدود عن دعوتهم، ومعاداتهم وايذائهم ومع ذلك صبروا

واحتسبوا، ولم تلن لهم قناه، وساروا في طريق الحق والهداية، حتى جاءهم نصر الله قال تعالى :

« وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ »(سورة الأنعام ٣٤).

وورقة بن نوفل ــ الذي كان قد تنصر وقرأ الكتب في الجاهلية ــ يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءه يحكي له حادث نزول الوحي عليه بغار حراء :

«ليتني أكون حياً اذ يخرجك قومك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي؟! قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الاعودى وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا»(١)

والدعوة الإسلامية وهي دعوة الحق لاقت ــ ومازالت تلاقي ــ ألوانا من العداء والصدود ممن كتب الله عليهم الشقاوة، من أول يوم ابتدأ الرسول عليه السلام دعوته.

حيث عمل هؤلاء جاهدين للقضاء عليها، مستعملين كل أسلوب، وسالكين كل طريق، للوقوف في وجه الدعوة.

وعندما وجه دعوته للناس وجد منهم نفوراً وقسوة، وقابلوا دعوته بأصناف الأذى له، ولمن تبعه ولو لم يكن نبياً يوحى إليه، ومؤيداً من الله القوى العزيز، لما قام بالدعوة على تلك الصورة.

حيث بعث في أمة جاهلية، سيطرت على قلوب أبنائها الخرافات والضلالة، فعبدوا الأشجار وسجدوا للأحجار، ولما لم يكن من السهولة بمكان

(١) رواه البخارى جـ١ ص ٧(باب كيف بدء الوحى).

أن يسفه أحلامهم، و يقضي على دين توارثوه عن الآباء والأجداد، فكان أن جعل أساس دعوته التوحيد، ليقتلع الشرك من جذوره، ولما أتاهم بدين جديد عليهم لم يألفوه، والناس أعداء ما جهلوا (كما يقال) لم يقبلوه وإن كان فيه خيرهم وسعادتهم.

قال تعالى : « لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ »(سورة يس ٦) فلم يكن مستغربا أن يعدوا العدة ليقضوا على دعوته، و يصرفوا الناس عنها، و ينفروهم منها، فكانوا كلما أمرهم باتباع الحق، وهجر ماهم عليه من ضلال وشرك « قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ »(سورة المائدة ١٠٤) قال ابن اسحاق :

«فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمر الله لم يبعد عنه قومه، ولم يردوا عليه — فيما بلغني — حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك اعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، الا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحدب — أي عطف — على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الله مظهراً لأمره، لا يرده عنه شيء»(١)

وبهذا التلخيص المقتضب للظروف المحيطة بالدعوة، وموقف قومه منها يتبين لنا أهمية العامل الذي سنتحدث عنه في هذا المبحث من عوامل نجاح الدعوة، وهو التدرج سواء في المبادىء كالتدرج في التشريع — كما سيأتي في موضع آخر — أو التدرج في الأساليب، وترتيب الرسول صلى الله عليه وسلم لدعوته بطريقة فريدة، كانت من أسباب نجاحها وانتشارها واقبال الناس عليها.

والدارس لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمتتبع لمنهجه في الدعوة

---

(١) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٧٥.

يدرك كيف كان صلى الله عليه وسلم، يدعوهم بكل وسيلة ممكنة، برفق ولين تارة، وبالترغيب والترهيب تارة أخرى، ولم يزدهم ذلك الا نفوراً وطيشا، وحقداً على الرسالة ومن جاء بها.

وراحوا يتفننون في ايذاء المسلمين واضعين في طريق الدعوة كل عقبة سادين أمامها كل طريق.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم مايزال يزداد ثباتاً على الحق، واستمساكا بما جاءه من الهدى، وهو الحق من ربه، مستعملاً معهم كل أسلوب، يعتقد إنه ناجح في دعوتهم، مما يلهمه الله إياه، سالكاً معهم كل طريق يوصلهم إلى الفوز والسعادة في الدارين.

فجاءت أساليب الدعوة الإسلامية متنوعة ومراتبها متدرجة حسب الظروف، والاحوال وحاجة البشر، لأن في ذلك التنويع والتدرج أنجع الأدوية لما أصاب الإنسانية من أدواء، وأقوى الأسباب لقبول الدعوة في مثل هذه الأمة الجامحة، فكان ذلك من ضرورات نجاح الدعوة، بل ومن أهم عوامل نجاحها.

ولذلك فلابد من بيان بعض تلك الأساليب والمراتب التي سارت عليها الدعوة من أول يوم لأنه من نعم الله تعالى على دعاة الإسلام، ومن التيسير لهم أن الدعوة الإسلامية آخذة بكل أسلوب.

حسب مقتضيات البشر وحال المدعوين، بل ومن نعم الله تعالى على الإنسانية كلها أن الدعوة الإسلامية، تسير على تلك الأساليب التي حددها ورسمها القرآن الكريم، وطبقها صلى الله عليه وسلم ورتب دعوته على ضوئها، ولابد لاتباعه من دعاة الإسلام من تطبيق ذلك المنهج في كل عصر وهي :

أ ــ أساليب الدعوة :

قال الله تعالى : «ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ » (سورة النحل ١٢٥)

فالله تعالى في هذه الآية الكريمة يرسم لرسوله صلى الله عليه وسلم ولدعاة الإسلام من بعده القواعد الاساسية لأساليب الدعوة إلى الإسلام، والخطاب وإن كان موجهاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كل فرد مستطيع من المسلمين داخل فيه، لأن الخطاب الموجه له تدخل فيه أمته مالم يرد على التخصص[1] .

والمعنى : ادع إلى سبيل ربك وهى شريعته التي شرعها لخلقه وهى الإسلام، بالحكمة : الأصل في الحكمة جعل الشيء في موضعه، مما يقتضي تحرى أفضل السبل وأجداها في استجابة المدعوين، واختيار الأنسب من الوقت والمكان والكلام وطريقة الحوار.

وفي هذا كذلك إشارة إلى استعمال الحجج القطعية المفيدة لليقين.

والدعوة بتلك الطريقة انما تكون مع البالغين في الاستعداد للقبول درجة الكمال، بحيث يكون من المستحسن في مثل هذه الحال التركيز على الفطرة وطبيعتها الباحثة المتسائلة.

والموعظة الحسنة : النصح والتوجيه بأسلوب لطيف محبب، وبطريقة مقبولة مع ملاحظة الفارق بين النفوس المقبلة والنفوس المعرضه، والتزام الصدق والتواصي بالصبر.

---

(١) هذا هو القول الراجح في هذه المسألة. انظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ جـ٢ ص ٤٣ وكتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٦هـ مؤسسة الرساله.

وفي هذه الجزئية من الآية دلالة إلى استعمال الوسائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقومات مقبولة، وأهل هذا الاسلوب أقوام نزلت درجتهم عن درجة الطائفة الأولى، الا أنهم باقون على الفطرة الأصلية ظاهرون عن دنس الشغب، وكدارات الجدال. وهم عامة الخلق.

وجادلهم بالتي هي أحسن : ان الداعي قد يضطره خصمه الألد إلى استعمال الحجج الملزمة والمجادلة المفحمة، فكأن طريق الجدال لم يكن مسلكا مقصوداً بذاته ولكن يضطر له لكون الخصم مشاغباً، ولذا لايكون منه الابقدر الحاجة[1] .

والدعوة الإسلامية وهي : دعوة الحق وسبيل الخير، والطريق المستقيم عندما تجيز الجدال والمناظرة اضطراراً لما حملها عليه حال المدعو بسلوكه المتلوي، المجافي لفطرة الله التي فطر الناس عليها، وتقيد تلك المجادلة بالحسنى، والرفق في الجدال، واللين في الجانب، والخطاب الحسن، قال تعالى :

« وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ » (سورة العنكبوت : ٤٦).

لأن هذا الأسلوب سبب لجذب المدعو وتذكيره واتاحة الفرصة له ليعمل فكره وعقله، قال تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام :

« فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ »(سورة طه : ٤٤).

والدعوة الإسلامية بهذا الأسلوب تجافي الاكراه، وتبتعد عن الالتواء، ولا تركن إلى زيف، لأن هذا طريق دعاة الضلال والزيغ والاهواء، لكونه الطريق الأوحد لنجاح دعواتهم، أما دعوة الإسلام فهي بخلاف ذلك.

---

(١) انظر : تفسير غرائب القرآن الطبعة الثانية جـ١٤ ص ١٣٠(بهامش تفسير الطبرى).

و يلخص ابن جرير الطبرى معنى الآية بقوله :

«يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم(ادع) يامحمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته(إلى سبيل ربك) يقول إلى شريعته التي شرعها لخلقه وهو الإسلام(بالحكمة)بوحي الله الذي يوحيه اليك وكتابه الذي ينزل عليك(والموعظة الحسنة) بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه.

وذكّرهم بها في تنزيله كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ماذكر من الآيه(وجادلهم بالتي هى أحسن) وخاصمهم بالخصومة، التي هى أحسن من غيرها، أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب من تبليغهم رسالة ربك»[1] أ، هـ

أ ـــ أساليب الدعْوات متوافقه :

وهذه الطريقة السابقة ـــ في الدعوة التي أرشد إليها المولى ـــ عز وجل ـــ هى طريقة سيد الأنبياء إبراهيم عليه السلام السابق ذكره في السورة في قوله تعالى :

« إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (سورة النحل ١٢٠)

وقوله تعالى بعد أن عدد عز وجل شيئاً من صفاته عليه السلام:

« ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (سورة النحل ١٢٣).

وهذه الآية وإن كانت منطلقاً للدعوة وقاعدتها، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذ بكل الأساليب والوسائل المطلوبة للدعوة، التي أرشد اليها القرآن الكريم، من وسائل الدعوة وأساليبها، كأسلوب الترغيب والترهيب،

(١) تفسير ابن جرير الطبرى الطبعة الثانية جـ١٤ ص ١٣١.

وسياق القصص والأخبار عن الأمم السالفة، وما حل بهم نتيجة عصيانهم لأنبيائهم وايراد الأمثال والحكم البليغة المفيدة للغرض، وتحقيق الهدف.

وكان من أساليبها الأمر بالتفكر، والنظر في بدء الخلق والنشأة، ودعوة الانسان إلى التفكير في خلقه وأصل نشأته، وتكوينه الفريد الجسمي والعقلي، والتفكير في عظمة السموات والأرض وغيرها، من مخلوقات باهرة، تدل على عظمة خالقها، وسياق البراهين، والأدلة المدركة بالحس والعقل، التي تلزم المدعوين، وتكون من أقوى الأسباب لاقناعهم، ولقد كان كل ذلك من وسائل نجاح الدعوة، واقبال الناس عليها، وكشف حقيقتها.

و يطول بنا الحديث عن ايراد الوقائع العملية من الرسول صلى الله عليه وسلم في تطبيق تلك الأساليب، حسب ظروف وأحوال المدعوين، فنكتفي هنا بذكر حادث واحد من تلك النماذج الرائعة التي تكشف عما يتحلى به صلى الله عليه وسلم من تواضع جم، وأسلوب مقنع، مصدقاً لقوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم :

« وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (سورة القلم ﴿٤﴾).

ذلك ما كان بينه وبين عتبة بن ربيعة حيث روى أهل السير ــ بطرق متعددة ــ أن عتبة جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فكلمه في أشياء يريد منه الرجوع عن دعوته، واستعمل عتبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم كل وسائل الاغراء، وباسلوب ناعم، شديد الفتنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم الموحى إليه من الله، الحريص على هدايتهم، ينصت ويسمع لقوله، لم يقاطع حديثه، أو تتغير ملامح وجهه الشريف، أو يعنف هذا السيد في قومه، حتى اذا ما فرغ عتبة لم يناقشه أو يناظره أو يجادله، وانما قال : «أقد فرغت يا أبا الوليد»؟ قال : نعم.

«قال صلى الله عليه وسلم : «استمع مني» قال عتبة : أفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بسم الله الرحمن الرحيم. حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ » (سورة فصلت ﴿٥﴾)

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة انصت لها، والقى يديه خلف ظهره، معتمدا عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، ثم قال : «سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذلك» فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك؟ قال : ورائى أنى سمعت قولاً، والله ماسمعت مثله قط، والله ماهو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش : أطيعوني، واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل، وبين ماهو عليه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فلكه ملككم وعزه عزكم، وأنتم أسعد الناس به، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدالكم»(١)

وهكذا يكون أسلوب الدعوة، وهكذا يكون شأن الدعاة، ونظرهم إلى أحوال المدعوين ومفاهيمهم، ومراعاة مستوياتهم العقلية والفكرية والاجتماعية وهى سبيل الحكمة والموعظة الحسنة التي تبلغ بها الدعوة درجات الرفعة والانتصار، بعيداً عن أساليب الانفعال والحماس والمهاترات والخروج بالدعوة عن منهج الله الذي حدده تعالى لدعاة الإسلام، وطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن دعا بعده باحسان وهو مايفقده كثير من دعاة الإسلام في هذا العصر، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

---

(١) سيرة ابن هشام : جـ١ ص : ٣١٣.

ب ــ مراتب الدعوة :

إن من أسباب نجاح دعوته صلى الله عليه وسلم ما كان سلكه عليه السلام من ترتيب للدعوة، وتدرج في مراتبها، منذ أن بدأ مهام الدعوة بعد أن نزل عليه الوحي في قوله تعالى :

« ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (سورة العلق : ١ ــ ۝٥) وهي أول مانزل من القرآن الكريم كما صح عن عائشة رضي الله عنها وغيرها، وهو الصواب الذي عليه السلف والخلف (كما قال النووي[١]) .

وكان أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر النبوة الرؤيا الصالحة، فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ولما كان عمره الشريف أربعين سنة بعث بالنبوة، وهذا السن هو رأس الكمال الانساني، وفيها تبعث الرسل في الغالب[٢] .

نزل عليه جبريل بالوحي في غار حراء، وبعد ذلك نزلت سورة «يا أيها المدثر» آمرة له صراحة بالانذار، ودعوة الناس إلى الله تعالى، وظل صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام، دعوة فردية ثلاث سنين لعدم الأمر بالاظهار، إلى أن أمره الله تعالى باظهار الدين، والجهر بالدعوة. فالرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب مراحل دعوته ترتيباً حسنا، وتدرج في تبليغها تدرجاً محكماً، ينم عما كان يتحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال النبوة، وتوفيق الله تعالى، وتضحية جليله في سبيل دعوته، كما أن ذلك يدل على حرصه على سعادة أمته، ورغبته في تحقيق ما ينفعهم، وهكذا يكون الرسل والدعاة، المخلصون لما يدعون إليه، مما كفل لهذه الدعوة سرعة الانتشار، وعظمة النجاح، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا بفضل الله ونعمته.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م (باب بدء الوحي) جـ٢ ص ١٩٩.

(٢) زاد المعاد لابن قيم الطبعة الثالثه ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م جـ١ ص ١٩.

والعلامة ابن القيم(رحمة الله) قد حدد لترتيب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم خمس مراتب هي :ـ

المرتبة الأولى : النبوة.

المرتبة الثانية : انذار عشيرته الأقربين.

المرتبة الثالثة : انذار قومه.

المرتبة الرابعة : انذار قوم ما أتاهم من نذير قبله، وهم العرب قاطبة.

المرتبة الخامسة : انذار جميع من بلغته دعوته، من الجن والانس إلى آخر الدهر[1] .

وهذا التحديد لمراتب الدعوة ترتيب جيد، حيث أن دعوته صلى الله عليه وسلم من أول مابتدأ الدعوة لاتخرج عن هذه المراتب، وتدور في فلكها، وداخل محيطها.

المرتبة الأولى :

فما من شك أن النبوة كيان الدعوة وقاعدتها، وهي تبدأ من تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : «اقرأ باسم ربك الذي خلق».

وأما المرتبة الثانية :

وهي «انذار عشيرته الأقربين» والمراد بهم صفوته وخواصه، فقد كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على هدايتهم، لأن في ذلك أقوى الأسباب على نجاح دعوته، ولأنهم أقرب الناس له، وأعرفهم بصدقه وأمانته، فكان من الطبيعي أن يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته ــ أولا ــ

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م جـ١ ص ٢٠.

علـى الصق الناس به آل بيته وأصدقائه، لأن هؤلاء لم تخاجهم ريبة قط في عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم،، وجلال نفسه، وصدق خبره، فلا جرم أن يكـون أول المؤمنين بـه زوجه «خديجه» ومولاه «زيد بن حارثه» وابن عمـه «علـى بن أبى طالب» عندما كان صبياً في كفالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصديقه الحميم «أبو بكر الصديق» رضى الله عنهم وهكذا[1] .

ولاشك أنه كان لذلك ـردوده الطيب على الدعوة ونجاحها وسرعة انتشارها. وكان من شدة حرصه على هدايتهم بعد ذلك لما رآه من اعراضهم أن أخذ يسوسهم برفق، ملتمسا مواطن التأثير فيهم، متدرجاً معهم، معالجاً لما أصاب قلوبهم من الضلال والشرك، بيد الطبيب الماهر الحريص على شفاء مريضه، حتى أنه ليعمل لهم الطعام في بيته، ويدعوهم إليه ليطمئن قلوبهم، ويجذبهم إلى دعوته بلين ورفق، وفي ذات مرة حاول أن يحدثهم داعياً اياهم إلى الله، بعد أن طعموا، فقطع عمه أبو لهب حديثه، واستنفر القوم ليقوموا، ودعاهم صلى الله عليه وسلم في الغداة مرة أخرى فلما طعموا نصحهم، وكرر دعوته لهم، فأعرضوا عنه، وهموا بتركه، لكن عليا نهض وقال: «أنا يارسول الله عونك، أنا حرب على من حاربت» وكان علي يافعاً دون الحلم، وانصرف قومه مستهزئين [2].

وأما المرتبة الثالثة :

انذار قومه، والمراد بهم قريش ومن حولهم خاصة، وهذه المرتبة تلى المرتبة السابقة مباشرة، امتثالاً لقوله تعالى : « فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ »(سورة الحجر : ﴿٩٥﴾) وبعد ذلك امتثل الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فصعد الصفا فقال: يامعشر قريش، فقالت قريش: محمد على الصفا يهتف، فأقبلوا واجتمعوا فقالوا :

---

(١) انظر : فقه السيرة الطبعة السابعه ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ص٩٩.

(٢) انظر : السيرة الحلبية تأليف /علي برهان الدين الحلبى، طبعة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م (دار المعرفه بيروت) جـ١ ص ٤٦٠.

مالك يا محمد؟ قال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل، أكنتم تصدقوني؟ قالوا : نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط، قال : «فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد» يابنى عبد المطلب، يابنى عبد مناف يابنى زهره ـ حتى عدد الأفخاذ كلها ـ ان الله أمرني أن أنذر عشيرتى الأقربين، وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً، الا أن تقولوا : لا اله الا الله، فقال ابو لهب : «تبا لك سائر اليوم، أهذا جمعتنا؟! فأنزل الله تعالى «تبت يدا أبى لهب وتب»[1] السورة كلها.

والمرتبة الرابعة :

انذار قوم ما آتاهم من نذير من قبله والمراد بهم العرب قاطبة، قال تعالى : « لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ »(سورة يس ٦) ولقد كان من عامة قريش أن آذوا الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بادأهم بالدعوة، فناله منهم من الايذاء، ماتعجز عن حمله الجبال الرواسى، حتى غرروا به سفاءهم، وكثرة اساءاتهم له، وحصل منهم ما حصل، من مؤيد للرسول من صفوته خاصة وهم قليل، ومعارض له ومنكر لدعوته، وهم الكثرة من قريش، وحصل له وللمستضعفين من الايذاء الكثير ـ مايطول ذكره هنا ـ حتى ضاق ذرعا، وفكر في مخرج للدعوة، يكون متنفساً يستطيع به صلى الله عليه وسلم اخراج الدعوة مما هى فيه، من ضيق وامتحان فخرج إلى الطائف وحيداً منفرداً الا من صحبه مولاه «زيد بن حارثة» لايعلم بأمره أحد، يلتمس من ثقيف النصرة، والمنعة بهم من قومه، راجياً اسلامهم.

لكن رجع منهم بشر جواب، بعد أن أغروا به سفهاءهم يسبونه،

---

(١) رواه البخارى جـ٣ ص ٢٢٢ (كتاب التفسير ـ تبت يد أبي لهب وتب) ورواه مسلم جـ١ ص ١٩٢(كتاب الايمان ـ باب قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين) ورواه أحمد جـ٤ ص ١٨٦ في المسند تحقيق : أحمد محمد شاكر عن ابن عباس.

ويصيحون به، حتى أدموا عقبيه ففر منهم إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فاحتمى به، وجلس إلى ظل شجرة، فلما اطمأن روعه وهدأت نفسه، رفع رأسه إلى السماء ضارعاً في شكاية وألم، وتعلق بالله تعالى، قائلاً :

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلني إلى بعيد يتهجمني، أو إلى عدو ملكته أمري، ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي»[1] إلى آخر دعواته المؤثرة.

ثم رجع إلى مكة، ولما علمت قريش بخبره وسخط ثقيف عليه ازدادت له ايذاء، ولم يصرفه كل ذلك عن الدعوة إلى الله.

وجعل يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الحق، ويخبرهم إنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ولم يكتف محمد صلى الله عليه وسلم بعرض نفسه على القبائل من العرب في مواسم الحج بمكة، بل أتى كنده في منازلهم، وأتى كلبا وبنى حنيفة وغيرهم في منازلهم، ولم يسمعوا منه، بل أنكروا عليه كما فعل قومه من قريش، وبقى على هذه الحال من الثبات على الحق، يقابله نفور وعداوة من قومه، وهو يعالج كل ذلك بالحكمة والصبر.

حتى بدت له في الأفق تباشير الفوز آتية من يثرب التي يربطه بها أكثر من علاقة، في مقدمتها علاقة القربى فلم يكن لذلك مستبعداً أن تكون يثرب مأوى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنطلقاً لدعوته، بعد أن التقى بنفر من أهل يثرب قدموا للحج، فدعاهم إلى الإسلام فآمنوا به، وذهبوا إلى يثرب ودعوا قومهم للإسلام، وذكروا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى فشا فيهم الإسلام.

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٢٨ (قال الالباني في تعليقه على فقه السيرة هذا الحديث ضعيف). أنظر فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي الطبعة السابعة ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م ص ١٣٢.

ولما كان العام المقبل وافي في الموسم من الانصار اثنا عشر رجلاً لقوه بالعقبة وبايعوه بيعة العقبة الأولى، ثم تبعتها بيعة العقبة الكبرى التي كانت فتحاً في التاريخ كله.

قال ابن اسحاق : «وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد : من كرامته، والنصر لنبيه، واعزاز الإسلام وأهله واذلال الشرك وأهله»[1].

ثم كانت الهجرة النبوية الشريفة للمدينة التي كانت فتحاً عظيماً للدعوة الإسلامية وكان لها عظيم الاثر في نجاح الدعوة الإسلامية.

المرتبة الخامسة :

إنذار جميع من بلغته الدعوة من الجن والانس إلى آخر الدهر، قال تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (سورة الأنبياء ١٠٧) فرسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوث للعالمين جميعاً، عربهم وعجمهم، انسهم وجنهم، بل ان دعوته لعموم البشر.

ولقد كان بقدر ماهو حريص على هداية العرب كان حريصاً على هداية غيرهم من البشر، حيث كان يبعث الوفود، ويرسل الرسل، ويكاتب الزعماء.

ولقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم بعث سته نفر في يوم واحد إلى ملوك فارس والروم والحبشة وغيرهم من الرؤساء يدعوهم للإسلام، لأن دعوته ناسخة لكل الشرائع قبلها، وخاتمة لها[2].

---

(١) سيرة ابن هشام تحقيق ومراجعة : محمد محي الدين عبدالحميد، منشورات دار الفكر جـ٢ ص ٤٧.

(٢) انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزيه، الطبعة الثالثه ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٣م جـ١ ص ٣٠.

العامل الرابع : شمول الدعوة :

لما كانت الدعوة الإسلامية تتصف بصفات الكمال، لكونها دعوة ربانية ودعوة الحق والفطرة ــ كما سبق ــ فإن هدفها الأسمى أن تبلغ بالإنسان أعلى قدر ممكن من الكمال المقدور له، ونظراً لما خص الله تعالى به رسولنا صلى الله عليه وسلم من زيادة الفضل على من سواه من الرسل قبله، بكثير من الميزات والفضائل التي تجعل دعوته شاملة، شمولاً يستوعب المعاني الآتية:

١ ــ شمول في المبادىء والقواعد.

٢ ــ شمول المدعوين وهم الناس جميعاً.

٣ ــ شمول الزمن لأن الدعوة دائمة إلى يوم القيامة.

لهذا فدعوته صلى الله عليه وسلم شاملة لشؤون الحياة، وعامة لجميع البشر، وممتدة إلى يوم القيامة على مانبينه في الأمور التالية :ــ

١ ــ دعوته جامعة لما سبقه به الرسل : ــ

من رحمة الله تبارك وتعالى لعباده، ومن عظيم احسانه ، وكريم لطفه، أن بعث اليهم الأنبياء والمرسلين، مبشرين ومنذرين، ليضيئوا للعالم طريق الخير، ويدلوهم على مسالك الهدى والرشاد، لأن العقل البشرى مهما تطور وترقى، عاجز عن إدراك مافي الكون من أمور غيبية لايمكن للبشر معرفتها إلا عن طريق الوحي.

ولأن عقل البشر وحده قد يكون غير قادر على التفريق بين الخير الذي ينفعه، والشر الذي يضره. لذلك بعث الله تعالى الأنبياء والرسل بدعوة واحدة، هدفها واحد، هو الأمر بافراد الله بالعبادة، فكان أن اتفقت دعوتهم على الأصول العامة للدعوة كالعقائد والأخلاق، وتفاوتوا في الأمور الجزئية كصور العبادات والمعاملات.

والقرآن الكريم يدلل في عدة مواضع على أن الله بعث في كل أمة رسولا آمرا قومه بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

قال تعالى : « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ »(سورة النحل ٣٦).

وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة، و يأتيهم بما يناسبهم من الشرائع والمعجزات، ولم تكن دعواتهم كاملة التفاصيل، وانما حوت مايستطيع العقل آنذاك هضمه وفهمه، فكانت غير شاملة للبشر، ولم نجد رسولاً قبل محمد صلى الله عليه وسلم، قال عن نفسه :

إنه بعث لكل البشر، فكانت رسالاتهم محددة لقوم معينين، فلما جاءت دعوة الإسلام، كان الجنس البشرى في وضع يحتم عليه قبول رسالة كاملة شاملة، وكانت دعوة الإسلام فيها كل العناصر التي تجعلها تناسب كل زمان ومكان.

لأنها جمعت كل الفضائل التي تفرقت على ألسنة الرسل من قبل، فهى دعوة العدل والفضل، ودعوة الرحمة والحرب معا، لأنها من الله تعالى، ولأنها دعوة الحق والفطرة، ودعوة الخير الذي وهبه الله لعباده، فدعوته صلى الله عليه وسلم شاملة لكل البشر، قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »(سورة سبأ ٢٨).

قال القرطبي : «أى وما أرسلناك الا للناس كافة أي عامة»[1]

والقرآن الكريم، وهو روح الدعوة، وموجهها قد حوى جميع أصول دعوات الأنبياء من قبل إضافة إلى ما جاء به من الأمور التى لم يأت بها الرسل من

---

(١) تفسير القرطبي جـ٦ تفسير سورة سبأ الآية ٢٨.

قبل فيما يتعلق بالجزئيات كصور العبادات والمعاملات يقول الأستاذ سيد قطب:

«هذا الكتاب الذي نزل بالحق يصدق مابين يديه من الديانات التي سبقته، وامتدت إلى زمانه، يصدقها في أصولها، فهي صورة من صور الحق التي جاء بها الرسل مناسبة لزمانهم، محققة لأغراضها في ذلك الزمن، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد، يتفق في أصله ويختلف في فروعه تدرجاً مع الحاجات مع تصديق اللاحق للسابق في أصل الوحدانيه الكبير»[1] .

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بشيء في دعوته يخالف دعوة الأنبياء والمرسلين، بل ان دعوته قد جاءت جامعة لما سبقه به الرسل.

قال الله تعالى : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ »(سورة الشورى ١٣).

والدين الإسلامي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو دين الأنبياء من قبل فما كان الأنبياء جميعاً إلا على دين الإسلام، غير أنه كان هناك فرق يسير بين طرق الأنبياء في الإرشاد، وقوانينهم للحياة كل حسب حال قومه الذين بعث فيهم، وعندما أصبح البشر في وضعهم المناسب لدعوة شاملة جاءت دعوة الإسلام، تحمل كل معانى السعادة للبشر، ووسائل الفوز في الدارين الدنيا والآخرة، وكانت تلك السمات للدعوة الإسلامية في مقدمة أسباب وعوامل نجاح الدعوة الإسلامية[2] .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن جـ٣ ص ٣٦٨.

(٢) - انظر كتاب مبادىء الإسلام للمودودى ص ٥٣ ـــ الطبعة السابعة.

٢ ـ دعوة ناسخة وخاتمة :

تحدثت في الفقرة السابقة عن علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته، بالانبياء والرسل السابقين، وأن دعوته جامعة لما سبقه به الرسل، لأن دعوة الرسل تتفق في الأصول العامة، والقواعد الكلية، وتتفاوت في الأمور الجزئية، فدعوته صلى الله عليه وسلم وهى دعوة الإسلام، دعوة الأنبياء قبله، وزادت عليها ببعض الفضائل التي يحتاجها البشر في أمور الدنيا والدين و يترتب على تلك الميزات والخصائص للدعوة الإسلامية، من كونها دعوة جامعة الا يزاحمها شيء من الدعوات، وأن تنسخ ماقبلها من الدعوات بحيث تحويها وتتمها، مما يجعل الدعوة الإسلامية أكمل الدعوات، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل البشر، وأمة الإسلام خير الأمم، فالشر يعة الإسلامية ناسخة لما قبلها من الدعوات من جهة، مكملة ومتممة لها من وجه آخر، ونتج عن ذلك كمال الشر يعة، واحتوائها على حاجات البشر، وبقي دورهم فيها العمل والاتباع قال تعالى : « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا »(سورة المائدة ﴿٣﴾).

قال الإمام أبو محمد بن حزم[1] :

«نسخ عز وجل بملته صلى الله عليه وسلم كل ملة، وألزم أهل الأرض جنهم وإنسهم اتباع شر يعته التي بعث بها، ولا يقبل من أحد سواها، وإنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لانبى بعده، برهان ذلك قوله تعالى :

« مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ » (سورة الأحزاب ﴿٤٠﴾) (ثم ساق حديثاً بسنده إلى أنس بن مالك قال) :

---

(١) ابن حزم : هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (الظاهرى) ينتهي نسبه إلى سفيان بن يزيد مولى بن أبي سفيان بن حرب ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ كان مجتهداً بارعاً في العلوم الشرعية، صنف عدداً من الكتب المشهورة. توفي ٤٥٦هـ انظر : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٩١.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان النبوة والرسالة قد انقطعت فجزع الناس، فقال : قد بقيت مبشرات وهي جزء من النبوة»[1] .

وقد عقد الإمام مسلم في الصحيح بابا أسماه (باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) أورد فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وانما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[2] .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، أعطاه الله تعالى من الفضائل التي لم تعط لبشر مثله، وقد ورد من الأخبار، والآثار في فضله مايجل حصره، والقرآن الكريم قد صرح بما لايدع مجالاً للشك بأن رسول الله خاتم النبيين.

قال تعالى : « مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ » (سورة الأحزاب ﴿٤٠﴾) ورسول الله أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في المبعث، وهو أفضل الأنبياء في المنزلة والمكانة، عند الله تعالى وملائكته ورسله، وعند أهل الثقلين انسهم وجنهم، ونظراً لما له من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، وفضل عظيم عند الله تعالى، ختم به النبوة والرسالة، فكان عليه السلام ختام المسك، روى الشيخان ـــ بسنديهما ـــ عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها و يتعجبون منها

---

(١) كتاب المحلى جـ١ ص ١١ (وحديث لم يبق من المبشرات) صحيح رواه البخارى في باب المبشرات جـ٤ ص ٩ وفي مسند أحمد جـ٣ ص ٢٧٥ وفي سنن الترمذى ـــ كتاب الرؤيا ـــ باب المبشرات).

(٢) صحيح مسلم جـ١ ص ١٣٤(كتاب الايمان) ومثله عند البخارى في (كتاب فضائل) القرآن ـــ باب نزول الوحى) جـ٣ ص ٢٢٤.

ويقولون : لولا موضع اللبنة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء»[1] .

(فالله تعالى جعل رسوله صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء، وجعل كتابه مهيمنا على مابين يديه من كتب السماء، وجعل دعوته عامة للثقلين الجن والأنس، باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت به حجة العباد وبين الله به كل شيء، وأكمل له ولأمته الدين. وعلق طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومعصيته بمعصيته، وأقسم تعالى بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم، وأخبر أنه لايتحاكم إلى غير رسوله ومنهجه الا منافق، فكل من طلب تحكيم أمر غير ما جاء به وظنه حسن فهو باطل، وأعظم من ذلك زوراً وكذباً من ادعى النبوة بعده.

وهذا المدعي تظهر امارات كذبه وإن ادعى المعجزات الخارقة، والبراهين الكاذبة، لأن هذا محال، فالله تعالى لما أخبر عن رسوله صلى الله عليه وسلم إنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة، ولا يظهر الله أمارة كذبه في دعواه لأنها دعوى غي وهوى[2] .

فكان في مقدمة أسباب نجاح دعوته صلى الله عليه وسلم نسخها لما قبلها من الدعوات، وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فرسالته عامة للثقلين، لما فيها من الخير والسعادة، ولما حوته من الكمال في جميع النواحي، فكانت خير دعوة. ووجب على البشر القبول لها، والامتثال لمنهجها إلى قيام الساعة.

---

(١) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق ــ باب خاتم النبيين) جـ٢ ص ٢٧٠ ورواه مسلم (كتاب الفضائل ــ باب ذكر كونه خاتم النبيين) جـ٤ ص ١٧٩٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية الطبعة الثالثه ص ٨، ١١٤(ببعض التصرف).

٣ ـ استيعابها لكل تصرفات البشر وحاجاتهم :

إن الدين الإسلامي، ودعوته المباركة يحتويان على النظام الشامل لجميع شؤون الحياة، وسلوك المرء.

وأحكام الإسلام الثابتة شرعاً وهي: الأمر أو النهي أو التخيير لاتخرج عن متعلق أفعال البشر، حيث تدور معها ولا تنفك عنها على مدى عمر المرء المسلم، ليله ونهاره، نومه و يقظته، أكله وشربه، عبادته ومعاملته، فأحكام الإسلام لاتخرج عنها واقعة من وقائع الحياة الانسانيه.

وبهذا الشمول تخالف الدعوة الإسلامية كل دعوة غيرها و بخاصة الوضعية التي لا تتدخل في تصرفات البشر الا في أضيق صوره لانها عاجزة أن تقدم له التفسير الكامل للحياة، وقاصرة عن أن تهيء له المنهج الكامل الذي يسير عليه.

أما دعوة الإسلام فهي دعوة شاملة، منحها الله لعباده لأنه العالم بكل شيء، المالك لكل شيء، فهو تعالى ــ وله المثل الأعلى ــ يشرع للبشر، و يعطي لهم حسب مقدرتهم، وفطرهم،وعلمه بنفسياتهم، فالدعوة الإسلامية تنظم علاقة المرء بربه وخالقه وعلاقته بنفسه، بل علاقته بما في الكون من كائنات من حيوان وجماد وغيره، وعلاقته بأخيه الانسان لأن تلك العلاقة التي يرعاها الله، يترتب بموجبها للمرء حقوق، و يلزمه بسببها واجبات، فكان أن شملت الدعوة الإسلامية تلك العلاقة، فأحكمتها بأسلوب بديع شامل لايأتيه العيب، ولا يتسلل إليه العطب، وكان من نتاج هذا الشمول اتصاف الدعوة الإسلامية بميزات فريدة كالتوازن والواقعية والايجابية ــ مما يضيق المجال عن ذكره ــ في دعوة الإسلام[١] .

ثم كان أن نجحت الدعوة الإسلامية نجاحاً منقطع النظير، وانتشرت

---

(١) انظر : خصائص التصور الإسلامي ص ١٠٩ ومابعدها.

انتشاراً منعدم المثيل، لأن منهج الدعوة الاسلامية هو المنهج الوحيد الذي يعرف طريقه إلى النفس البشرية منذ اللمسة الأولى يعرف دروبها ومنحياتها، فيتدسس اليها بلطف و يعرف مداخلها ومخارجها فيسلك إليها على استقامة، و يعرف قواها ومقدراتها فلا يتجاوزها أبدا، و يعرف حاجاتها فيلبيها تماماً، و يعرف طاقاتها الأصلية البانية فيطلقها للعمل والبناء [1] .

بخلاف ما يعتقده البعض ممن انحرفوا على طريق الحق والهداية من أن هذا الشمول للحياة في منهج الإسلام لا يعدو أن يكون قيودا، فيأخذون ينادون بالحرية الشخصية ــ كما يسمونها ــ و يسعون إلى قصر الدين على العبادات فقط ، و يريدون حصر الدين في المساجد بعيداً عن التعامل والأخلاق، وهؤلاء مخطئون وواهمون، ومنشأ تصورهم هذا عدم ادراك حقيقة هذا الدين وطبيعته[2] .

والدعوة الإسلامية بشمولها الكامل للحياة والوجود والكون تخالف في عمومها الدعوات السماوية قبلها، التي نسخت بهذه الدعوة الخاتمة، لأن كل دعوة منها، وان كانت سماوية من الله تعالى في أصلها، فقد كانت خاصة لأن كل دعوة منها اهتمت بعلاج ناحية من نواحي حياة الانسان، فدعوة موسى ــ عليه السلام ــ قامت بعلاج الوثنية، وتحويل الناس إلى توحيد الله.

ثم جاءت بعدها دعوة عيسى ــ عليه السلام ــ وقد أصبح الناس ماديين لايقدسون سوى المادة، فاهتمت المسيحية بالناحية الروحية والأخلاق، وغرست في نفوس أتباعها مزيداً من التسامح والوداعة والرحمة، ثم جاءت الدعوة الإسلامية وقد استوت البشرية على حال تحتم عليها أن تسير في طريق يؤدي إلى دين متكامل الجوانب، يعالج مشكلات الحياة

---

(١) انظر : كتاب هذا الدين سيد قطب ص ٢٧.

(٢) انظر : كتاب هذا الدين ص ٢٩.

كلها، ويرسم لها الحل السماوي الذي لاحل سواه، فكانت الدعوة الإسلامية خاتمة لتلك الدعوات وشاملة لها[1] .

فالدعوة الإسلامية باستيعابها لكل تصرفات البشر وحاجاتهم تصبح هى الدعوة الشاملة الصالحة لكل زمان ومكان، وهذا مما امتازت به عن غيرها، وكان من أقوى الضمانات لنجاحها إلى أن تقوم الساعة.

٤ ــ دعوة عامة لبني البشر :

سبق أن أشرت في مقدمة هذا المبحث أن مما يستوعبه شمول الدعوة شمول الزمن بامتداد الدعوة لعموم البشر إلى يوم القيامة، وهذا العموم وان كان يدل على شمول الدعوة، فإن ما سبق بيانه من ميزات للدعوة في هذا المبحث في مقدمة الأدلة على عموم الدعوة الإسلامية، حيث إنه مما اختص الله به رسوله صلى الله عليه وسلم دون سواه من الأنبياء والمرسلين، بعثه إلى الناس عامة في كل زمان ومكان.

كما جاء في الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله ــ رضى الله عنه ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[2] .

وفي رواية عند مسلم : «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود[3] ».

---

(١) انظر : عالمية الدعوة الإسلامية للدكتور علي عبدالحليم محمود الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ جـ١ ص ٤٤٣.

(٢) رواه البخارى(كتاب التيمم) جـ١ ص ٧٠.

(٣) رواه مسلم (كتاب المساجد) جـ١ ص ٣٧١.

وفي رواية أخرى عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «فضلت على الأنبياء بست» ذكر منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»(١)

فحكم عموم دعوته، وكونه مبعوثاً إلى الناس كافة، ودعوته عامة للثقلين الجن والانس معلوم من دين الإسلام بالضرورة(٢) .

وأدلة ذلك من الكتاب والسنة مستفيضة ومتواترة بخلاف من يدعي أنه عليه السلام رسول للعرب خاصة ــ كبعض النصارى ــ لبطلان هذه الدعوى بدليل أنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبربه، وقد قال عليه السلام :

« وبعثت إلى الناس عامة» والرسول لايكذب، فلزمهم تصديقه حتما.

كما قد ثبت أنه أرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي وسائر ملوك الأطراف يدعو إلى الإسلام، بل ان بعضهم صدقه كالنجاشي، ومن خالفه لم يكن لعدم تصديقه، بل كان من الخوف على سلطانه وملكه، كما حصل من هرقل(٣) .

ولقد كانت تلك البلاد تجمع كل الديانات من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها، كما أن في ارساله عليه السلام تلك الرسل، وبعثه الكتب رد على(السير وليم ميور) وغيره من القائلين ان فكرة عالمية الدعوة الإسلامية قد جاءت فيما بعد، ولم يفكر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه طوال العهد المكي(٤) .

---

(١) صحيح مسلم جـ١ ص ٣٧١.

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٦ وتفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٥٤.

(٣) انظر صحيح البخاري جـ١ ص ٩.

(٤) انظر : كتاب الدعوة الا سلامية للسير توماس أورنولد) ترجمة حسن إبراهيم ورفقاه ص ٤٨.

وليس هناك دليل لما يزعمونه بل الأدله متواترة على أنه عليه السلام قد علمه الله من بادىء الأمر أن الدين الإسلامي دين عالمي، وأن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لجميع البشر، والأدلة على ذلك نقلية وعقلية كثيرة منها : ـ

أولا : القرآن الكريم

قال تعالى : « وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ » (سورة سبأ ﴿٢٨﴾).

قال ابن جرير : «يقول الله تعالى ـ جل ذكره ـ وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافّة للناس أجمعين العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيراً لمن أطاعك ونذيراً لمن كذبك، ولكن أكثر الناس لايعلمون أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر»[(١)]

وقال القرطبي : «وما أرسلناك الا للناس كافّة أى عامة، ففي الكلام تقديم وتأخير،

وقال الزجاج[(٢)] : وما أرسلناك الا جامعاً للناس بالابلاغ والانذار»[(٣)] .

وقال تعالى : « وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ... » (سورة الأنعام ﴿١٩﴾)

وقال مقاتل : «من بلغه القرآن من الجن والانس فهو نذير له»

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى جـ٢ ص ٦٦.

(٢) الزجاج : هو إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج عالم بالنحو واللغة له عدة مؤلفات عن القرآن الكريم خاصة. ولد ببغداد ومات فيها سنة ٣١١هـ انظر : الفهرست ص٩٠ البداية والنهاية جـ١١ ص١٤٨.

(٣) تفسير القرطبى جـ٦ سورة سبأ.

وقال القرطبي : «من بلغه القرآن فكأنما قد رأى محمدا صلى الله عليه وسلم وسمع منه»[1] .

وقال تعالى : « قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »(سورة الاعراف ١٥٨).

قال ابن كثير : «يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل للناس، وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي(إني رسول الله اليكم جميعاً) أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافّة، والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة إنه صلوات الله وسلامه عليه إلى الناس كلهم»[2] .

وقال تعالى : « تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا » (سورة الفرقان ١) والآيات في هذا الموضع كثيرة.

ثانيا : السنة النبوية

في سنة امام الدعاة صلى الله عليه وسلم من الادلة القولية والعمليه الدالة على عموم دعوته الشيء الكثير، لأن دعوته ــ كما سبق ــ لم تكن للعرب فقط، أولطائفة أو جنس أو لون من البشر، بل ان دعوته للعالمين في كل زمان ومكان، وقد جاء في سنته ــ وهو الذي لاينطق عن الهوى ــ الشيء الكثير في هذا المعنى، مما لايسمع معه البشرية جميعاً الا اتباع هذا النبي الأمي، حيث لا عاصم لهم من عذاب الله الا الايمان بالقرآن الذي أنزل عليه، واتباع سنته الشريفة التي هي العمل التطبيقي منه صلى الله

---

(١) تفسير القرطبي جـ٣ سورة الأنعام.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٥٤.

عليه وسلم لهذا القرآن، وسأكتفي بايراد بعض الأحاديث الدالة على عموم دعوته صلى الله عليه وسلم، مكتفياً بالصحيح منها لأن فيه الغنى، وبيان الحقيقة للباحث عنها.

أ ــ روى الشيخان في صحيحها عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فيصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[1]

ب ــ روى مسلم في الصحيح : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذي نفس محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[2]

فالحديث هنا خص أهل الكتاب بالذكر مع أن لهم أنبياء سابقين، وكتب سابقة ويدخل غيرهم ــ ممن ليس لهم ذلك ــ بالطريق الأولى

وفي رواية أخرى عند مسلم «كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود» [3] .

وهذا واضح في العموم لأهل الكتاب وغيرهم.

ثالثا : أدلة أخرى

ماسبق كاف في الدلالة القاطعة على عموم دعوة الإسلام للناس جميعاً ولكننا نزيد الأمر ايضاحاً بذكر أدلة أخرى منها :

---

(١) رواه البخارى في كتاب التيمم جـ١ ص ٧٠ ورواه مسلم في كتاب المساجد جـ١ ص ٣٧١.

(٢) صحيح مسلم جـ١ ص ١٣٤ (كتاب الايمان ــ باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم).

(٣) صحيح مسلم جـ١ ص ٣٧١ (كتاب المساجد).

١ ــ دعوة الحق التي بشر بها النبيون

لقد أراد الله تعالى لهذا الدين أن يكون آخر الأديان وأكملها، وأن يكون رسوله خير الرسل وأفضلهم ومسك الختام في حلقات الرسل والنبيين، وأن تكون أمته خير الأمم، فأوجب على أمة الإسلام عموما ابتداء من امام الدعاة صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس كافّة لهذا الدين، وأخبر المولى سبحانه أنه أكمل للبشرية دينهم، وأتم عليهم النعمة، ورضي الإسلام لخلقه دينا، ولن يقبل من أحد سواه « وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ »(سورة آل عمران ﴿٨٥﴾).

ومقتضى عدله تعالى ورحمته بعباده أن لا يطالبهم إلا بالحق والعدل المتمشيين مع الفطرة التي فطر الناس عليها، ومن هذا المنطلق ــ ولورود الأدلة الكثيرة ــ فإن الله تعالى أوجب على أنبيائه السابقين بوحيه تعالى إليهم، أن يبلغوا قومهم إتباع هذا الرسول، ولكن لسبب ما كالضلالة أو الحسد، ومخالفة لرسلهم يعرض هؤلاء الأتباع عن اتباع ما جاءهم من الحق من عند أنفسهم، وكتماناً للحق، وانكاراً للحقيقة، قال تعالى في شأنهم : « ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (سورة البقرة ﴿١٤٦﴾).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ــ عند مسلم ــ « والذي نفس محمد بيده لايسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[١] .

قال ابن كثير : «فالذي يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله، ومن حيث المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بشرت به الأنبياء قبل وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه. قال تعالى:

(١) رواه مسلم جـ١ ص ١٣٤.

«ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (سورة الأعراف ١٥٧).

وقال تعالى: «وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ» (سورة الأنعام ١١٤).

وفي صحيح مسلم « بعثت إلى كل أحمر وأسود»(١).

قيل إلى العرب والعجم، وقيل : إلى الانس والجن، والمقصود أن البشارات به صلى الله عليه وسلم موجودة من الكتب الموروثة عن الأنبياء عليهم السلام قبل.

حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني اسرائيل، وهو عيسى بن مريم وقد قام بهذه البشارة في بني اسرائيل وقص الله خبره في ذلك فقال تعالى :

« وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ » (سورة الصف ٦).

فإخبار محمد صلى الله عليه وسلم بأن ذكره موجود في الكتب المتقدمة، فيما جاء به من القرآن، وفيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق يدل على صدقه في ذلك قطعاً، لأنه لو لم يكن واثقاً بما أخبر به من ذلك، لكان ذلك من أشد المنفرات منه، ولايقدم على ذلك عاقل.

---

(١) رواه مسلم جـ١ ص ١٣٤ (كتاب الايمان ــ باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم).

ثم أنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب، وعمت دولة أمته في أقطار الآفاق عموماً لم يحصل لأمة من الأمم قبلها، فلو لم يكن صلى الله عليه وسلم نبياً لكل البشر لكان ضرره أعظم من كل أحد، ولو كان كذلك لحذر منه الأنبياء أشد التحذير، ولنفروا أممهم منه أشد التنفير، فانهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة في كتبهم، ونهوا أممهم عن اتباعهم والاقتداء بهم ونصوا على المسيح الدجال، الأعور الكذاب، حتى قد أنذر نوح ــ وهو أول الرسل ــ قومه، ومعلوم أنه لم ينص نبى على التحذير من محمد، ولا التنفير منه، ولا الاخبار عنه خلاف مدحه والثناء عليه، والبشارة بوجوده، والأمر باتباعه،والنهي عن مخالفته، والخروج عن طاعته»[1] .

وفيما تقدم وغيره من الأدلة والبراهين سواء كان من آيات القرآن، والأحاديث النبوية، وأقوال علماء السلف على عموم الدعوة الإسلامية ما لا يدع مجالاً للشك في ذلك.

ونتجاوز عن كل هذا إلى أقوال بعض الكتاب المعاصرين، عندما قالوا الحقيقة، وعبروا عن الواقع، ونكتفي برأى مستشرق واحد مشهور، إنه المستشرق الانجليزى (سير توماس. و.أرنولد) حيث عقد فصلاً في كتابه المشهور(الدعوة إلى الإسلام) تحت عنوان«الإسلام دين عالمي» قال فيه :

«وفي القرآن الكريم آيات كثيرة توجه الأنظار إلى منشأ هذا الشعور القومي، وتحث أهل بلاد العرب على إدراك ما منحوه من فضل بنزول الوحي الإلهي بلغتهم، وعلى لسان واحد منهم كقوله تعالى :

« إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (سورة الزخرف ٣).

ولم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب بل للعالم أجمع نصيباً منها، ولما لم يكن هناك غير اله واحد، كذلك لم يكن هناك غير دين واحد،

(١) البداية والنهاية جـ٦ ص ١٧٧ (وقد أوردت هذا النص بطوله لما فيه من البراهين والأدله الواضحة لما نحن بصدده).

يدعي إليه الناس كافّة، ولكي تكون هذه الدعوة عامة، وتحدث أثرها المنشود في جميع الشعوب في كل زمان ومكان، نراها تتخذ صورة عملية في الكتب التي ثبت أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعثها في السنة السادسة من الهجرة إلى عظماء ملوك ذلك العصر امتثالاً لأمر الله في قول الحق ــ عز اسمه ــ :

« إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ »(سورة ص : ٨٧،٨٨)
وقوله تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »
(سورة سبأ ﴿٢٨﴾).

وغير ذلك من الآيات المنزلة من عند الله ــ تعالى ــ التي تنطق بمطالبة البشرية كلها أن ترتضي الإسلام دينا، وتتبع ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون من بعده، وتثبت به الحجة على من يخالف هذه الدعوة في قول النبى صلى الله عليه وسلم مبشراً ان بلالاً «أول ثمار الحبشة» وأن صهيباً «أول ثمار الروم» أما سلمان وهو أول من أسلم من الفرس فقد كان عبدا نصرانيا بالمدينة اعتنق الإسلام في السنة الأولى من الهجرة النبوية للمدينة.

وهكذا صرح الرسول ــ عليه السلام ــ بكل وضوح وجلاء، أن الإسلام ليس مقصوراً على النوع العربي قبل أن يدور بخلد العرب أى شيء يتعلق بحياة الفتح الإسلامي والجهاد، ومما يؤكد عموم الدعوة الإسلامية لجميع البشر، والحق في المطالبة بأن يستجيب لها جميع الناس، بعد أن بشّر بها النبيون السابقون أن الدين الإسلامي كان الدين السماوى الذي اختاره الله للبشر كافّة، ثم أوحي به إليهم من جديد على لسان محمد صلى الله عليه

وسلم، وخاتم النبيين، كما أوحي به من قبل على لسان غيره من الرسل[1] ».

٢ ـ الرسول عام وغيره خاص :

إن من أدلة عموم الدعوة الإسلامية كون الرسول صلى الله عليه وسلم عام بخلاف غيره من الأنبياء والمرسلين فهم خواص لقوم معينين من الناس فقط، كما تقرر ذلك حتى الشرائع السابقة، بعد أن بشّر أنبياؤهم به رسولاً للبشرية جمعاء، في حين لم نجد رسولاً قبله قال عن نفسه إنه رسول للناس كافّة، وطالب غير قومه باتباعه.

حيث أن القرآن الكريم يورد لنا تصريح كل منهم لاخوانه من أبناء قومه أنه إنما بعث لبني قومه، قال تعالى عن نوح عليه السلام :

« إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »(سورة نوح ١)

وكذلك هود عليه السلام، قال تعالى عنه : « وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ »(سورة الأعراف ٦٥).

وكذلك قوم صالح وشعيب أرسل الله إلى كل منهم نبيا إلى قومه خاصة، قال تعالى :

« وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ » (سورة الأعراف ٧٣) وفي حق شعيب عليه السلام قال تعالى :

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ـ بتصرف ـ ص ٤٨ وما بعدها (وحديث «انا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش» رواه الحاكم في المستدرك جـ٣ ص ٤٠٢ وقال السيوطي : حديث حسن).

« وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ». (سورة الأعراف : ﴿٨٥﴾) وعيسى عليه السلام مرسل لبنى اسرائيل، قال تعالى :

« وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ » (سورة آل عمران ﴿٤٩﴾).

أما محمد صلى الله عليه وسلم فليس في القرآن الكريم مايدل على أنه رسول للعرب أو غيرهم فقط، بل الدليل قائم على أنه رسول الله لقومه وغيرهم، كما أنه أكثر مايرد نعته في القرآن الكريم بصيغة العموم كرسول الله، وعبده، والبشير النذير إلى آخر الأسماء والنعوت الدالة على عظيم مكانته، وعلو منزلته، وكبير فضله على البشرية جميعاً، قال تعالى :

« وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (سورة سبأ ﴿٢٨﴾).

اختصاص الإسلام بالتسمية :

عندما ننظر في مختلف الديانات السابقة، ونستقرىء تسميتها، ونسبتها نجدها لاتخرج في تسميتها ونعتها عن : اما نسبتها إلى اسم رجل خاص، واما إلى أمة معينة، فالمسيحية مثلاً أخذت اسمها من السيد المسيح عليه السلام، وقبلها اليهوديه كانت ظهرت بين ظهراني قبيلة تعرف بيهوذا، وتسمت البوذية على اسم بانيها بوذا واشتهرت الزردشتية بمؤسسها وحامل لوائها(زرادشت) وهلم جرا..الا الإسلام، ودعوته فإنها لاينتسبان إلى رجل خاص، ولا إلى أمة بعينها، وانما يدل اسمه على صفة خاصة يتضمنها معنى كلمة الإسلام.

وعندما نرجع إلى معاجم اللغة، وأقوال المحققين نجد أن كلمة الإسلام هى «الانقياد والإمتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض» وهو الله تعالى، المستحق أن يفرد بالطاعة دون سواه.

ويظهر لنا من هذه التسمية، وهذه الميزة التي انفرد بها الإسلام،أنه ماعنى بإيجاد هذا الدين، وتأسيسه رجل من البشر، وليس خاصاً بأمة دون سائر الأمم، وانما غايته أن يتحلى جميع أهل الأرض بصفة الإسلام، فكل متصف بها فهو مسلم في أى زمان ومكان وهذا في مقدمة الدلالات على عموم الدعوة الإسلامية، وفي مقدمة أسباب نجاحها(١) .

٤ ــ كمال الدعوة :

إن المرء أينما نظر في الدين الإسلامي ودعوته، وحيثما أدار فكره على أحكام الإسلام ومبادئه، وميزات الدعوة الإسلامية وشمولها، يجد صفات الكمال في هذه الدعوة، وذلك باتمام نعمة المولى عز وجل على عباده بهذا الدين الذي ارتضاه للبشرية، بعد أن جاء به على لسان خاتم رسله، وأفضلهم، ونسخ به الشرائع والملل ــ كما سبق ــ ليستدل بذلك على عموم الدعوة الإسلامية من تلك المعاني الكثيرة، لأن الدعوة بتلك الميزات والسمات تحقق ماتسعى إليه البشرية دائماً من طلبها حياة سعيدة، تحصل بواسطتها مصالح البشر، بعد أن تفي بحاجاتهم المادية والمعنوية، ولا تضيق بها، وتجذب لها العدالة والمساواة، وبحيث تقضي على أى جور أو ظلم، وتعطي صاحب الحق حقه، ليقطف الخلق ثمار هذه النعم يوم القيامة بالجنة ونعيمها، التي يجب أن يقصدها كل من له أدنى عقل وفكر، لما فيها من نعيم مقيم، والحذر من النار وعذابها السرمدى، بعد أن أرسل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للبشرية كلها، مصدقاً لقوله تعالى : تعالى : «وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ»(سورة الأنبياء ١٠٧).

٥ ــ العموم من الضرورات للبشر :

من المعلوم أن الله تعالى قد تكفل بمصالح البشر، وأن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه في التبليغ عنه، وقد ختموا بمحمد صلى الله عليه

---

(١) انظر كتاب : مبادىء الإسلام للمودودى، الطبعة السابعه ص ٣.

وسلم، ولا نبي بعده، فمن الضروري أن تكون هذه الدعوة الوافية بمصالح البشر الشاملة لجميع حاجاتهم، المحققة لمطالبهم، أن تكون مؤهلة للعموم، صالحة للبقاء، وهذا هو الثابت بكل حال، فيصبح عموم الدعوة لكل البشر ضرورة من ضروريات الحياة البشرية، ولازم من لوازمها.

٦ ـ بقاء الدعوة ببقاء المعجزة :

عندما ننظر في معجزات الرسل عليهم السلام ـ نجد أن الله تعالى قد أعطى كل رسول معجزة، تكون دليلاً على صدق رسالته، وتلك المعجزات تكون حسية أو عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية، لشدة تمردهم وعتوهم، والرسول صلى الله عليه وسلم أعطاه معجزات حسية وعقلية، ولكن عماد معجزاته هو القرآن الكريم، وهو معجزة تخاطب الفكر والعقل لطاعة أمته.

ولقد كان كل رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم، تذهب معجزته الحسية بذهابه، إلا أن الدعوة الإسلامية لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بزيادة المعجزة العقلية الباقية، ليراها ذوو البصائر بخلاف معجزات الأنبياء الآخرين التي انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها الا من حضرها، وأبصرها ببصره، بخلاف معجزة القرآن التي تشاهد بالبصيرة، وتدرك بعين العقل.

قال تعالى : « وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(سورة العنكبوت ﴿٥١﴾).

حيث أخبر تعالى أن القرآن الكريم آية من آياته كاف في الدلالة على صدق دعوته، وقائم مقام المعجزات الأخرى عند الأنبياء الآخرين، وتبقي

حجة تلك المعجزة على البشر عموماً مابقي هذا القرآن الكريم إلى أبد الدهر، مما لايسع البشرية إلا القبول والطاعة[1] .

ومجال الكتاب يضيق بإيراد المزيد من الأدلة على عموم الدعوة الإسلامية، وبيان احتوائها على جميع مصالح البشر وحاجاتهم، مما تكون بموجبه دعوة شاملة صالحة في كل زمان ومكان، ويكون واجب البشر عموماً التسليم لهذا المنهج، وقبوله واتباعه والعمل به في جميع نواحي الحياة، لتحصل للإنسانية السعادة بعد أن وضح الطريق، وبان السبيل بهذا القرآن الكريم الذي خاطب الله تعالى به البشر جميعاً إلى آخر الدهر[2] .

وتصبح الإنسانية في كل عصر ملزمة بقبول هذا المنهج، والانصياع لهذه الدعوة، والاعراض عما سواها من الدعوات، مع اليقين الجازم بأن قبول هذا المنهج جميعه وتطبيقه في جميع شؤون الحياة ليس نافلة، ولا تطوعاً ولا موضع اختيار وانما هو الايمان، كل الايمان، وإنه لا ايمان بدون ذلك.

وكذلك يكون اتباع محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من اتباع الأنبياء الآخرين عليهم السلام، لامتداد معجزته آمادا متطاولة بعده صلى الله عليه وسلم، ولأنها تخاطب الفكر والعقل الانساني في كل العصور منذ البعثة والى يوم القيامة، كما قال صلى الله عليه وسلم : «ما من الأنبياء نبي الا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وانما الذي أوتيت وحيا أوحى الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[3] .

العامل الخامس : دعوة تقوم على الجهاد :

لابد عند الحديث عن أسباب نجاح الدعوة الإسلامية من ذكر الجهاد في سبيل الله، وأثره في الدعوة، لأنه في مقدمة الأسباب والعوامل التي

---

(١) انظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م جـ٢ ص ١٤٨.

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه ص ٢٦.

(٣) رواه البخارى جـ٣ ص ٢٢٤ ورواه مسلم جـ١ ص ١٣.

ساعدت في نشر الدعوة الإسلامية، ونجاحها حتى بلغت آفاقا، ووصلت إلى شعوب وأمم لم تستطع أن تصلها أى دعوة أخرى.

ولذلك سيكون حديثنا عن تعريف الجهاد وذكر مراتبه، وبيان أثر ذلك في نجاح دعوة الإسلام، مع تخليص الأهداف السامية، والأغراض النبيلة التي يقوم عليها الجهاد في الإسلام، وكيف كانت تلك الأهداف والأغراض عاملاً مهماً في انتصار المسلمين، ومن ثم كانت عاملاً لنجاح الدعوة.

وسنتحدث عن هذه الأمور بالترتيب إن شاء الله.

١ ــ تعريف الجهاد ومراتبه :

أ ــ تعريفه :

الجهاد لغة : من الجهد، والجهد الطاقة والمشقة، وقيل : بالفتح المشقة، وبالضم الوسع، والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة [١].

قال ابن فارس في كتاب مقاييس اللغة : الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل على مايقاربه يقال جَهدت واجهدت والجهدُ الطاقة [٢].

قال تعالى في كتابه المجيد : «وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ» (سورة التوبة ﴿٧٩﴾).

أما اصطلاحا : فقد اختلفت عبارات السلف في تعريفه :[٣]

فقال ابن عباس رضى الله عنه : هو استفراغ الطاقة فيه وأن لايخاف في الله لومة لائم.

---

(١) انظر : مفردات الراغب منشورات دار المعرفه بيروت ص ١٠١.

(٢) مقاييس اللغة جـ١ ص٤٨٦

وقال مقاتل[1] : اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته.

وقال عبد الله المبارك[2] : هو مجاهدة النفس والهوى.

ب ــ مراتبه :

سبق الحديث عن صراع الحق والباطل، وحاجة الدعوة إلى رجال يذودون عنها، وينشرونها بين الناس ورسول الله منذ بدأ دعوته وهو يجاهد في سبيلها بكل مايستطيع من أنواع الجهاد، والتي تختلف باختلاف الأحوال والظروف من :

جهاد النفس وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار والفساق.

ولقد حدد ابن قيم الجوزية للجهاد أربع مراتب هي: جهاد النفس، جهاد الشيطان، جهاد الكفار، وجهاد المنافقين[3] .

وزاد ابن حجر ــ رحمه الله ــ وجهاد الظالمين والفاسقين[4] .

٢ ــ تقرير مبدأ الجهاد :

لبيان أثر الجهاد في الدعوة ونجاحها فمن المفيد التعرض ــ ولو بإيجاز ــ إلى تقرير مبدأ الجهاد.

لأن الجهاد وشرعيته من حيث الابتداء في الدعوة الإسلامية، لم يكن من باب الصدفة، ولا من باب المعجزة، الخارقة للعادة، لقد كان تقرير مبدأ

---

(١) : مقاتل : هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء من أعلام المفسرين، توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ. انظر الأعلام ــ جـ٧ ص ٨١.

(٢) : هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن مبارك بن واضح الحنظلي، الحافظ المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات. توفي سنة ١٨١هـ.
انظر : البداية والنهاية جـ١٠ ص ١٧٨.

(٣) : زاد المعاد جـ٢ ص ٣٩.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر جـ٦ ص ٠٢. الناشر : شركة الحلبي القاهرة.

الجهاد وضعاً طبيعياً تحتمه ظروف الحياة بين البشر، وسنة الله في استمرار الصراع بين دعوة الحق، ودعوات الباطل، وبين دعاة الخير، ودعاة الضلال، لاسعاد البشر، ونشر الدعوة وانتشارها بين الناس.

كما أنه لابد في بيان كيفية تقرير مبدأ الجهاد من تلخيص الجو العام، والوضع الذي كان فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لنستبين كيف كان تشريع الجهاد، استجابة حتمية لوضع كان فيه المسلمون يواجهون عداوة شرسة من المشركين، تهدد عقيدتهم، وأنفسهم وأموالهم لابد لهم بسببها من الدفاع عن العقيدة والنفس والمال، وهذا ماتقرره جميع الأديان، وحتى القوانين الوضعية المليئة بالجور والظلم لم تهمل هذا الجانب من مشروعية الدفاع عن هذه الضرورات.

فعندما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر دعوته قابلته قريش بالعداوة والخصومة له ولمن تبعه من المؤمنين بدعوته، واعتبروهم عصاة ثائرين، واستباحوا دماءهم وأموالهم في الحرم الآمن ــ رغم ما كان للحرم لديهم من حرمة ــ وأذاقوهم ألوانا لا تطاق من الابتلاء والامتحان، خاصة المستضعفين من المسلمين الذين لم يكن لهم شوكة تحميهم، واستعملوا كل وسيلة للقضاء على هذا الدين، ابتداء بالسخرية والاستهزاء، ومرورا بالتعذيب بالنار، والكي بالرمضاء المحرقة، حتى الجأوهم إلى مغادرة الوطن فرارا بعقيدتهم، إلى بلاد بعيدة ليعيشوا فيها غرباء،وكل ذلك لم يثنهم عن عقيدتهم، ولم تقف تلك الاجراءات الرهيبة في وجه الدعوة، أو تقضي عليها كما يخططون.

فانتقلوا إلى أسلوب أشد ايلاما وقسوة، وقد يكون هذا الأسلوب هو الأول من نوعه في زمانهم، وهو محاصرتهم في الشعب، ومنعهم الغذاء والكساء، أو التعامل معهم أو حتى تزويجهم أو الزواج منهم.

٣ ــ مراحل تقرير الجهاد :

وبالرغم من ذلك لم يؤمروا بالجهاد المطلق وهو القتال، حيث لم يكن للمسلمين شوكة تحميهم، كما كانوا يقيمون مع المشركين، وبين أظهرهم، فكان من الحكمة عدم فرض القتال، ولو فرض لقاتل الرجل أخاه وأباه، وقامت في كل بيت معركة ولسفك دم كل أسرة، وليس ذلك من مصلحة الدعوة.

يقول ابن قيم: «لـذلك أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح، ثم أذن له في القتال، ثم أمر أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمر بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله»[1].

فكان القرآن الكريم، في فترة نزوله بمكة، ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرشدا له إلى الصفح عن أذاهم، قال تعالى : « فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » (سورة الزخرف ٨٩).

آمراً له بالعفو والاعراض عن الجاهلين، قال تعالى : « خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ » (سورة الأعراف ١٩٩).

فكان القتال محظوراً في تلك المرحلة من مراحل سير الدعوة على المسلمين، قال تعالى : « فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ »(سورة النحل : ٨٢).

ولم يكن الأمر بالجهاد الا الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ »(سورة العنكبوت: ٦٩). قال القرطبي في تفسير هذه الآية :

---

(١) زاد المعاد جـ٢ ص ٨١.

«ليس الجهاد في الآية قتال الكفار بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، ومنه مجاهدة النفس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر»[1].

كما كان الأمر بالجهاد بالحجة، والدعوة بالحكمة، والمجاهده بالقرآن، قال تعالى: « فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا »(سورة الفرقان: ٥٢). فلم يكن الأمر المراد في الآيتين بالجهاد القتال لأن هاتين الآيتين الكريمتين مكيتان، والقتال شرع بالمدينة[2].

وبعد أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وأيده الله بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم، نعمة منه وفضلاً، بعد العداوة والاحن[3] التي كانت بينهم، فنعة أنصار الله، وكتيبة الإسلام من الأحمر والأسود، وبذلوا نفوسهم دونه، عند ذلك رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله يأمر بالصبر والصفح، حتى قويت شوكة المسلمين، واشتد جناحهم، فأذن لهم حينئذ في القتال، ولم يفرض عليهم، قال تعالى: « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ »(سورة الحج ٣٩).

ثم فرض عليهم القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، فقال تعالى: « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » (سورة البقرة ١٩٠).

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرماً ثم مأذونا به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورا به لجميع المشركين، إما فرض عين أو

---

(١) تفسير القرطبي جـ٦ تفسير آخر العنكبوت.

(٢) انظر: زاد المعاد جـ٢ ص٥٨.

(٣) مفردها (احنه) وهي الحقد.

كفاية وهو المشهور، وهذا بالنسبة للقتال، أما جنس الجهاد ففرض عين كل بحسبه[1].

وهكذا ندرك كيف كان تقرير الجهاد ومراحل تقريره وكيف كان الجهاد في سبيل الله مرافقاً للدعوة، وضرورة لازمة لها، وأنه وجد معها منذ أن وجدت، لأن هذه الدعوة لاتقوم إلا بالجهاد والتضحية والبذل، حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، جاهدوا في سبيل هذه الدعوة، وبذلوا أرواحهم وأموالهم وكل مايملكون، بعد أن علمتهم تلك العقيدة الراسخة والايمان القوى، أن هذه الدعوة، وهى دعوة الحق، وهذا الدين الحنيف الذي ارتضاه تعالى لعباده، لابد لها من البذل والعطاء، لأن الحق لابد أن ينطلق في طريقه، ولابد أن يقف له الباطل في الطريق بالمرصاد، بل لابد أن يأخذ عليه الطريق، ولابد لهذه الدعوة من الجهاد المتواصل، بكل أنواع الجهاد ومراتبه، ليمكن نشر دين الله في الأرض، ولتحقق العبودية لله وحده دون سواه، وحتى تقف في وجه الطواغيت، لانه لابد للحق أن يمضي في طريقه، بعزيمة قوية، وشجاعة وبطولة، حتى لايزحمه الباطل، ودعاة الضلال.

ولذلك نعلم كيف كان تشريع الجهاد في سبيل الله نعمة تقربها أعين المؤمنين، وتساءها نفوس أعدائهم من المشركين واليهود والمنافقين، بل وجميع أعداء الدعوة، وأعداء الخير من الطواغيت والمتجبرين في كل عصر

فكان الجهاد في سبيل الله من أهم أسباب نجاح الدعوة الإسلامية ان لم يكن أهمها، وكان تقريره ابتدأ في الدعوة،ضرورة لها، لتسير في الخط المرسوم لها من الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير جـ١ ص ٥٢٥ وزاد المعاد جـ٢ ص ٥٨.

٤ ـ حكمة تشريع الجهاد :

منذ أقدم العصور، والرسالات الالهيه، والدعوات الاصلاحية، والعقلاء من البشر، وحتى دعاة الضلال يتفقون على أن هناك ضرورات بشرية يجب حفظها، ويسلمون بحريتها، وفي مقدمة تلك الضرورات حرية الاعتقاد.

ولما كانت الدعوة الإسلامية، دعوة الحق والفطرة، ودعوة الخير والسعادة. فلم يكن مستغربا أن في مقدمة اهتماماتها حرية الاعتقاد، ومن حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، لذلك فالله تبارك وتعالى يوضح طريق المؤمنين، ويرشد دعاة الإسلام، وهم يحملون هذا التصور، ويقومون بهمة الدعوة، وينهضون بواجب القيادة للبشرية، الضالة الضائعة بقوله : «لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ »(سورة البقرة : ٢٥٦).

ولما كان الدين الإسلامي، هو الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، لأنه دين الفطرة التي فطر الله عباده عليها، لذلك أخذ على عاتقه، دعوة الناس إلى حرية العقيدة، وتحرير المعتقد، بالتحرر من طاعة الطواغيت، وعدم الجري وراء الشياطين، ليحصل للبشر الأمن والاستقرار، والرجوع إلى المعتقد الأصلي، والطريق السليم، والمسلك الصحيح، ليعيشوا عيشة حرة، تتسم بالطمأنينة والأمن.

فكان أن ندب الله تعالى هذه الأمة، التي هي خير الأمم، لهذا الأمر العظيم، والمسؤولية الجسيمة، وهي: اعلاء دين الله، وتبليغ وحيه، وايصال هداه ونوره إلى أمم الأرض جميعا.

فإذا وقف أحد في طريق هذه الدعوة، أو حاول صدها عن المضي في طريقها وجب دحره، وتطهير الأرض من شره، جزاءً وفاقا، لتصل هداية الله إلى النفوس وتعلو كلمة الحق، ويأمن الناس على حريتهم التي في مقدمتها حرية الايمان والاعتقاد.

فشرع الجهاد في سبيل الله لدفع عدوان الظالمين، ولتحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة، وتمنع إيصالها للناس في حرية واطمئنان.

تحقيقا لقوله تعالى: « وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ » (سورة البقرة ١٩٣). وتأكيدا لتلك الحكمة الجليلة من تشريع الجهاد، نجد كلمة جهاد أو قتال تقترن بلفظ (سبيل الله) في القران الكريم غالبا، للدلالة على أن تشريع الجهاد لغاية نبيلة، ومصدر سام؛ اعلاء لكلمة الله، ونشر دينه، وأن الجهاد والقتال لم يشرع للسيطرة أو طلبا للمغنم، أو اظهار الشجاعة أو الاستعلاء في الأرض، أو استغلال الشعوب وسلب خيراتها[1] .

اضافة إلى ذلك فرسول الله صلى الله عليه وسلم، يجلي الهدف، من تشريع الجهاد في الإسلام، ويبين أن غايته نشر دين الإسلام، وإعلاء كلمة الله، ولايكون ذلك إلا بنجاح الدعوة، ونشرها لأن هدف الدعوة الإسلامية إعلاء كلمة الله، روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

«جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله: ماالقتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا، ويقاتل حمية، فرفع رأسه فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل»[2] .

كذلك فإن الهجرة، وترك الأوطان، لاتكون هجرة بالمعنى الصحيح، إلا إذا كانت في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، فرارا بالعقيدة، وطلبا للحق والثبات، وهروبا من الباطل وخذلانا له، وكذلك نشرا لدعوة الإسلام ونصرا لها قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟

(١) انظر: تفسير آيات الاحكام للصابوني الطبعة ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م جـ١ ص ٢٢٦.
(٢) صحيح البخاري جـ١ ص ٢٦ (كتاب العلم — باب من سأل وهو قائم عالما جالسا).

وَنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » (سورة الأنفال ﴿٧٤﴾). فقرن تعالى الايمان بالهجرة والجهاد ونصرة دينه ودعوته وعباده المؤمنين.

والمراد بسبيل الله، طريقه المستقيم، وهو طريق الدعوة الإسلامية، الذي هدفه إعلاء كلمة الله، ونشر الدعوة وظفرها لأن في ذلك الخير والسعادة لبني البشر.

٥ ـ الجهاد ضرورة فطرية اجتماعية شرعية :

وكان من الحكمة أن يتمتع جميع الخلق بثمار هذا الخير، وأن لايحرموا من فضل الله الجزيل عليهم، الذي امتن به تعالى عليهم، وليتفيأوا ظلاله الوارف، لكونهم فطروا على ذلك وجبلوا عليه. إلا أن بعض العباد قد ضلوا عن الحق، وزاغوا بشقاوتهم عن طريق الهدى والخير، وزين لهم الشيطان المنكر معروفاً، والمعزوف منكرا، قال تعالى: « وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ » (سورة الانفال ﴿٤٨﴾) . ومن هذا عمله ، وهذا دليله وطريقه؟ كيف يسمح له بالوقوف في طريق الخير، ومنعه من الوصول إلى الخلق كافة. فكان هذا النوع من الناس بعملهم هذا، وتصرفاتهم تلك، بغاة ظالمين، يجب ردعهم، وايقافهم عند حدهم، جزاء لهم وحتى لا تنتقل عدواهم إلى غيرهم، فكان من الخير بل من الواجب منع مثل هذا الباغ المعاند، وابعاده عن طريق الدعوة، حتى لايقف في وجهها ويمنعها من النجاح والانتشار لتحقق تلك الأهداف لجميع البشر.

وإذا كان الدين الإسلامي، هو دين الله الذي ارتضاه لعباده، بعد أن أتمه لهم، وأكمل لهم به النعمة، ولن يقبل منهم سواه. وإذا كان هذا الدين هو الفطرة « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا » (سورة الروم ﴿٣٠﴾).

فكيف يحال بينهم وبين الدين الذي اختاره لهم خالقهم، وموجدهم العالم بأحوالهم ومصالحهم؟ ولماذا يحال بينهم وبين فطرتهم ظلما وعدوانا؟ من أجل ذلك شرع الجهاد، لاقامة العدل، وإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وإعادة البشر إلى فطرتهم التي خلقهم الله تعالى عليها، واجتالتهم عنها الشيطان، وإذا تحققت تلك الحكمة من مشروعية الجهاد نجحت الدعوة.

فالجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة إلى الله، فهو ضرورة مصاحبة لركب الدعوة، لذلك استغرق أمر الجهاد آياتا كثيرة من صلب كتاب الله، كما استغرق أحاديثاً كثيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان هو وأصحابه رضوان الله عليهم كل حياتهم كفاح وجهاد، من أجل هذه الدعوة، ومن أجل نجاحها، ونشرها بين الناس، بعد أن ندبهم المولى إلى الجهاد والاستشهاد في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وورد في فضل الجهاد في سبيل الله، وثواب المجاهد من الآيات والأحاديث مايجل عن الحصر، ومالا يسع مجال الرسالة ايراده، مما هو معروف البيان لدى الجميع ومعلوم من دين الاسلام بالضرورة.

لقد تسابق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تطبيق تلك الحكم تطبيقا عمليا لايمكن وصفه، وقد أفردت جزءا في ختام هذه الرسالة عن تضحيات الصحابة وجهادهم مع رسولهم، وما كان لذلك من آثار عملية على الدعوة، ونجاحها حتى أصبح الجهاد في سبيل الله أهم عامل من عوامل نجاح الدعوة، وهو ماتفتقده الدعوة اليوم، ولابد لنا من السير على ذلك النهج في التضحية والجهاد إذا ما أردنا للدعوة الإسلامية النجاح، وللمسلمين العزة والغلبة والانتصار.

٤ ــ أهداف الجهاد وأغراضه :

تحدثنا فيما سبق عن تقرير مبدأ الجهاد، وحكمة مشروعيته، وأن تقرير مبدأه ومشروعيته كانت ضرورة حتمية لظروف الحياة البشرية، وسنة الله

في استمرار الصراع بين الحق والباطل، وأن الجهاد لايكون جهادا صحيحا إلا إذا كان في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، ولإنجاح دعوة الإسلام ونشرها.

ومن تلك المنطلقات ممكن أن ندرك كيف كانت مبادىء الجهاد في الإسلام مبادىء ثابتة، وأسسا قوية، وضرورة ملحة، عملت على نجاح الدعوة، وتثبيتها، لأن الجهاد في سبيل الله هو وسيلة نشر هذا الدين، والدفاع عنه، ونشر دعوته وانتصارها.

ونزيد الموضوع إيضاحا بتلخيص أهداف الجهاد وأغراضه، وأثر تلك الأهداف في إنجاح الدعوة الإسلامية.

وقبل الخوض في ذكر أهداف الجهاد في الإسلام وأغراضه، أتعرض — ولو بإيجاز — إلى بعض آداب الجهاد وأغراضه الدالة على شرف المقصد، ونبل الغرض للجهاد في الإسلام، حيث أننا عندما نعرف تلك الآداب نستدل على شرف الغرض، وسلامة المقصد، وسمو الهدف في أهداف الجهاد في الإسلام، ونستبين طرفا من أثر ذلك في نجاح دعوة الإسلام.

فالإسلام عندما شرع الجهاد في سبيل الله لم يكن هدفه البغي أو العدوان أو الرغبة في السيطرة والتسلط، إنما كان يهدف لحفظ الدين، ونشر الدعوة، وحماية المسلمين، فكانت آدابه غاية النبل، وغاية في حسن القصد، ولما كان الدين الإسلامي دين الرحمة، والدعوة الإسلامية دعوة الخير والفلاح لذلك لم يحد عن هذه المبادىء، ولو في ميدان القتال، والدفاع عن النفس، وآداب الإسلام وأخلاقياته في هذا المجال موضوع واسع، لايمكن شرحها وبيانها في هذه الجزئية المختصرة من الرسالة وإنما الذي لايدرك جله لايترك بعضه خاصة إذا علم أن تلك الآداب والأخلاق تفقدها جميع الأنظمة البشرية، والدعوات الضالة الوضعية التي لاتهدف من حروبها سوى السيطرة والدمار والافساد في الأرض، والسيطرة على مقدرات الشعوب، وبالذات

ماكان من تلك الحروب والعدوان موجه ضد المسلمين، من أعدائهم الذين لايرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجمل أخلاقيات الإسلام، وآدابه وأهدافه العالية وأغراضه النبيلة في وصاياه للقواد، وأمراء الجند.

كما جاء في صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: أغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجوبك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار الهجرة[1].

ومن آداب الجهاد في الإسلام، وأخلاقياته التي لها أعظم الآثار في تحقيق الجهاد في سبيل الله لأهدافه، بانجاح الدعوة الإسلامية ونشرها، تحريم قتل الصبيان والنساء، وكذلك الرهبان والشيوخ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على تلك الأخلاق من الناحية العلمية، زيادة على الناحية النظرية.

فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

«أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان»[2].

ومن آداب الإسلام وأخلاقياته الجهادية في ذلك النهي عن إيذاء الأسير

---

(١) رواه مسلم جـ٣ ص ١٣٥٧(كتاب الجهاد ــ باب تأمير الأمراء على البعوث).

(٢) رواه مسلم جـ٣ ص ١٣٦٤ (كتاب الجهاد ــ باب تحريم قتل النساء والصبيان) ورواه البخاري جـ٢ ص ١٧٢ (كتاب الجهاد ــ باب قتل النساء في الحرب) وأخرجه بهذا اللفظ أبو داود والترمذي.

والتمثيل به، فعن قتادة[١] قال: «بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث على الصدقة، و ينهى عن المثلة»[٢] .

ولقد استطاعت الدعوة الإسلامية بسبب تلك الآداب والأخلاق في جهاد المسلمين، في سبيل الله تحقيق أعظم الانتصارات، وأن تنجح نجاحا باهرا لم تحققه أية دعوة أخرى، وهذا النجاح الذي حققته الدعوة ليس نجاحا جزئيا، وليس نجاحا وانتصارا في معركة بدر أو أحد أو فتح مكة إنه النجاح والانتصار بمعناهما الواسع عندما استطاعت هذه الدعوة تغيير مجرى الحياة، والقضاء على طواغيت الأرض، ليعبد الله وحده، النجاح الذي فتحت بسببه القلوب للإسلام قبل البلاد، النجاح الذي هدم معاقل المجوسية في فارس، وزعزع أوكار النصرانية المحرفة في القسطنطينية، بعد أن قضى على الوثنية في كل بلاد العرب.

ولذلك فمن الممكن تلخيص أهداف الجهاد وأغراضه في الإسلام في الآتي:

١ ــ أن يكون الجهاد في سبيل الله :

لأن الغاية من الجهاد في الإسلام، نشر الدعوة الإسلامية، وإنجاحها إعلاء لكلمة الله، دون أى هدف آخر، فكان كل جهاد في غير سبيل الله لايسمى جهادا بالمعنى الصحيح، وعندما ننظر لكلمة (جهاد) نجدها مقترنة بلفظ في (سبيل الله) فندرك أهمية هدف الإسلام من الجهاد في سبيل الله، حيث أن هذه الجملة المركبة (جهاد في سبيل الله) تجلي وتبين هدف الجهاد

---

(١) قتادة : هو أبو الخطاب قتادة بن دعامه السدوس البصرى، أحد علماء التابعين، وحفاظهم العالمين، توفي بواسط سنة ١١٨هـ بمرض الطاعون وعمره ٥٦ سنة.
انظر : البداية والنهاية جـ٩ ص ٣١٣. والأعلام جـ٥ ص ١٨٩.

(٢) رواه البخارى جـ٣ ص ٤٧ (كتاب المغازى ــ قصة عكل وعرينة) والمثلة : تشويه الميت بعد موته بتقطيعه أو احراقه أو تشويهه بأى صورة.

في الإسلام، وأثره في نجاح الدعوة، لما فيه من بذل الجهد المستطاع للوصول إلى هذه الغاية العظيمة، إعلاء كلمة الله.

وأدلة اشتراط كون الجهاد في سبيل الله من القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة متواترة.

٢ ــ أن يكون الجهاد للدفاع عن الدين والنفس والأهل والعرض والمال :

وهي الضرورات التي أجمعت عليها الرسالات الآلهية، والعقلاء من الناس في كل أمة، ولذلك بين الإسلام أن من قتل دون هذه الضرورات أو أحدها فهو شهيد.

روى الإمام أحمد عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[1] . وفي هذا نجاح للدعوة حيث أن الانسان إذا علم أن الدعوة تحمي ضروراته، في حياته ومماته لذلك أقبل على الدعوة، ودخل في دين الله، وترك المذاهب التي تهين كرامته، وتسلبه حريته، وتدوس حرمته، ولا تحفظ نفسه وماله ولا أهله وعرضه.

٣ ــ من أهداف الجهاد حماية الدعوة الإسلامية :

حتى لايقف في طريقها معترض، يمنع وصولها للناس أو يعتدي عليها ظالم، وكذلك لحماية الأمة المسلمة، ودفع الأذى والفتنة عن المؤمنين، لأن الفتنة في العقيدة والايذاء فيها من أشد أنواع الاعتداء والعدوان الذي يجب الجهاد والقتال في سبيل رفعه عن كاهل المؤمنين عندما يفتنون في دينهم[2] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند جـ١٠ ص ٦٠ (وقال السيوطي حديث حسن ــ الجامع الصغير ٢ : ١٧٨).

(٢) انظر : في ظلال القرآن جـ١ ص ٢٩٤.

والقرآن الكريم يرشد إلى تلك الأهداف النبيلة، والغايات السامية، والأغراض الجليلة للجهاد في سبيل الله وضرورته لنجاح الدعوة، ونشرها في مواضع كثيرة، وبعدة صور تدل على لفت نظر المسلمين لهذا الجانب الهام من أهداف الجهاد وأغراضه، مثل قوله تعالى: « وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » الأنفال: ٣٩). وقال تعالى: « يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ »). (سورة البقرة: ٢١٧) ولاشك أن الفتنة أشد من القتل وأكبر،والفتنة التي عبر عنها القرآن الكريم هي مايسمى الغزو الفكري الآن، فهو أكبر مصيبة من القتل، لأن القتل شهادة، وانتصار وعزة أما الفتنة والغزو الفكري والتقليد الأعمى فخزي وعار وذل وهوان، وشر مستطير.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، قد أدركوا أهمية تلك الأهداف للجهاد في انجاح الدعوة، فطبقوا تلك المبادىء تطبيقا عمليا رائعا، بعد أن عرفوا وأدركوا مراميها نظريا ، عندما كان القرآن الكريم يتنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم مبينا لهم كل ذلك.

وسوف يجد القارىء الكريم في الموضع المخصص من هذا الكتاب نماذجا فريدة وصورا حية لجهادهم الفريد، عندما حملوا لواء الدعوة، يمينا وشمالا وشرقا وغربا، يحملون أرواحهم على رؤوس رماحهم، فنجحت بهم الدعوة، وانتصرت بهم، وانتصروا بها كذلك.

٤ ــ من أهداف الجهاد وأغراضه حماية المستضعفين من المؤمنين :

وحفظ أرضهم وأموالهم قال تعالى: « وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا » (سورة النساء ٧٥).

ولهذا كان الجهاد ضرورة لنصرة هذا الصنف من المسلمين، ورفع الظلم عنهم، ولأن هذا من ضرورات الدعوة، ومن وسائل نجاحها في كل عصر لاستمرار الصراع بين الحق والباطل، كما أن أعداء الدعوة مهما حل بهم من هزيمة من جانب الدعوة والدعاة، ومهما حققت من انتصارات لن تخمد نار فتنتهم للمؤمنين، ولن يكفوا عن آذاهم، مالم يفتنوا المسلمين مصداقا لقوله تعالى: « وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ » (سورة البقرة ﴿١٢٠﴾).

وإذا كان المسلمون اليوم يواجهون حربا ضروسا، وعدوانا شرسا ليفتنوا في دينهم في أكثر من موقع في الأرض، خاصة من شاء الله لهم أن يعيشوا تحت سيطرة مشركي هذا الزمن من: شيوعيين ويهود ونصارى ممن يقفون تجاه الإسلام والمسلمين، والدعوة الإسلامية في خندق واحد منذ قامت هذه الدعوة مصداقا لقوله تعالى :« لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ..» (سورة المائدة ﴿٨٢﴾) وقال تعالي قبل هذه الآية في سورة البقرة : ﴿٢١٧﴾) « وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ».

فيكون واجب المسلمين الجهاد والسعي لرفع الظلم والعدوان عن اخوانهم المسلمين، ممن فتنوا في دينهم وآذوا في عقيدتهم من اخوانهم المسلمين من أهل لاإله إلا الله.

٥ ـ تأديب الخارجين على المؤمنين، المتمردين عن الحق، الناكثين لايمانهم :

قال تعالى: « وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ » (سورة التوبة ﴿١٢﴾).

وهذا المعنى يتقرر حتى لو كان الباغي مسلما، قال تعالى: « وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ

تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ » (سورة الحجرات ⁽⁹⁾).

وبعد هذا هو الجهاد في سبيل الله، وهذه حكمه وأهدافه وأغراضه وآثاره الكبيرة في نجاح دعوة الإسلام، عرفها أصحاب رسول الله رضي الله عنهم، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين فكانت كالشرر في نفوسهم توقدها للجهاد والاستشهاد، وكان اهتمام القرآن الكريم، والسنة النبوية بالجهاد وأحكامه وآثاره، وبيان ماأعده الله تعالى لعباده المجاهدين من مكانة عالية، وأجر كبير عند الله تعالى، لكون الجهاد في سبيل الله أهم عامل لنجاح دعوة الإسلام في كل زمان ومكان.



الفصل الثاني

القرآن الكريم المعجزة الكبرى للدعوة

العامل الأول : القرآن معجزة التحدي .

العامل الثاني : التدرج في الخطاب والتربية .

العامل الثالث : المبادىء والأصول القرآنية .



تمهيـــد :

لقد كان من رحمة الله بعباده، ومن مجريات سنته تعالى، أن يبعث لهم رسلاً مبشرين ومنذرين، ليدلوهم إلى الحق، ويرشدوهم إلى الطريق المستقيم وتقوم بهم الحجة على الناس، قال تعالى: « رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » (سورة النساء ﴿١٦٥﴾) إلا أن الناس لكثرة أهوائهم وشهواتهم ، ولوجود مصالح مادية ومعنوية لهم، ولاستكبارهم عن الخضوع لبشر مثلهم، لم يكن بالأمر اليسير، أو المطلب السهل تصديقهم لأولئك الرسل، وهو بشر مثلهم، قال تعالى عن المشركين: « وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا » (سورة الإسراء ﴿٩٤﴾).

« وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ .... » (سورة الزخرف ﴿٣١﴾).

فكان نزول الوحي من الله تعالى إلى رسله ليكون حجة على العباد، وفضلاً على المرسلين وأتباعهم من بني جنسهم من البشر، ليستنيروا بنور الوحي الوهاج، وليستضيئوا بمصابيح النبوة الساطعة، وليتبعوا ما جاءهم من الهدى وهو الحق من ربهم، والله تعالى العالم بخفايا النفس البشرية، علم أنه قد يكون في عباده أناس معاندون، يصعب قيادهم ويتعذر إقناعهم إلا بما يبهر عقولهم، ويخالف عاداتهم، حيث أن هذا الوحي الذي ينزله تعالى على من اصطفاهم من عباده، قد يكون في نفوسهم تعثر عند عرضه عليها، فاقتضى الله بحكمته أن يؤيد أولئك الرسل، بخوارق العادات التي لا يسع البشر إلا إعلان عجزهم أمامها، لتقوم بها عليهم الحجة، وتثبت عليهم البينة، بما يشاهدونه ويحسونه من أدلة ظاهرة يدركها البشر بمجرد المشاهدة، فكان من عموم فضله، وجزيل نعمه، أن أعطى أولئك الأنبياء ـ عليهم السلام ـ

من الأمور الخارقة لعادات البشر، المخالف لما عهده إدراكهم البشري ــ القاصر على كل حال ــ ماكان من أدلة صدقهم، وقيام الحجة بهم على العباد.

ولما كان أولئك الرسل مرسلين لقومهم خاصة ــ كما سبق ــ جاءت خوارق العادات، ومعجزاتهم الدالة على صدقهم، متناسبة مع أوضاع قومهم متفقة مع أطوار حياتهم، حيث جاءت تلك الخوارق والمعجزات حسية، مشاهدة في آيات كونية تبهر الأبصار وتأخذ الألباب، لاسبيل إلى معارضتها، كمعجزة اليد والعصا لموسى، وإبراء الأكمه وإحياء الوتى بإذن الله لعيسى عليه السلام.

وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في زمان أصبح فيه العقل البشري قابلاً لدين واحد، وأصبح في عصر مشرف على العلم بعد ذلك، لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، وأفضلهم، وأعطاه من اصطفاه من المعجزات الحسية الكثير، كحال غيره من الرسل، وزاد عنهم بمعجزة عقلية تتحدى العقل البشري إلى الأبد، وتقيم على الإنسانية الحجة إلى آخر الدهر.

قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة العنكبوت ۝٥١).

روى البخاري في صحيحه بسنده ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1] .

---

(١) رواه البخاري جـ٣ ص ٢٢٤ (باب فضائل القرآن).

فكان القرآن وما يزال هو المعجزة الكبرى للدعوة الإسلامية والسبب المهم في نجاحها، من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها. لما حواه هذا الكتاب الكريم « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه». من الاعجاز كما سيأتي في الفقرات التالية إن شاء الله.

العامل الأول : القرآن معجزة التحدي :

قبل الحديث عن القرآن الكريم من حيث هو معجزة لهذه الدعوة نرى التعرض بإيجاز إلى تعريف القرآن وتحديد معناه، وعلاقة تلك التسمية بتعريفات القرآن وأهمية تلك التسمية وعلاقتها بالمعجزة التي نحن بصدد الحديث عنها في هذا المبحث وبيان أثر ذلك في نجاح الدعوة.

تحديد معنى القرآن :

المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ قرأ: يعني ضم وجمع، فالقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، ولا يقال ذلك لكل جمع حيث لا يقال قرأت القوم أي جمعتهم، بدليل أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة، وبهذا التعريف اللغوي نحس بالعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للقرآن الكريم.

القرآن في الأصل كالقراءة مصدر شكران ورجحان، قال الله تعالى : « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ » (سورة القيامة ﴿١٨﴾).

وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فصار له كالعلم، كما أن التوراة تقال لما أنزل على موسى، والإنجيل لما أنزل على عيسى ــ عليهما السلام ــ وهذه التسمية اللفظية للقرآن الكريم تطلق على مجموع القرآن الكريم وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية صح

القول أنه يقرأ القرآن قال تعالى: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا» (سورة الأعراف: ٢٠٤) ومن العلماء من علل تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً ثمرة جميع العلوم[1]، وليس هناك ما يمنع من أن المعنيين مجتمعة للقرآن الكريم.

وعندما نمعن النظر، ونتدبر حكمة تغليب هذين الاسمين على كتاب الله تعالى المنزل على رسوله عليه السلام، وعندما ننظر فيما جعله العلماء تعريفاً منضبطاً للقرآن كما سيأتي ــ نلحظ أهمية تلك التسمية، وندرك طرفاً من حكمتها، ونحس بما للقرآن الكريم من دور في حياة المسلم بحيث يداوم على تلاوته وحفظه، وتدبر معانيه، والالتزام بمنهجه في جميع شؤون الحياة بعد كتابه في السطور، وحفظه في الصدور بحيث ينال من المسلمين كل تقدير واهتمام، وعاملاً مهماً في تكوين الدعوة الإسلامية ونجاحها، وسبباً رئيسياً من أسباب إنتشار الإسلام وانتصار المسلمين في كل زمان.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز[2] ــ رحمه الله : «روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع، وفي تسميته بهذين الإسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً بأن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة

---

(١) انظر: مفردات الراغب ص ٤٠٢.

(٢) الدكتور الدراز : هو محمد بن عبدالله دراز أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصر جمع حظا وافرا من علوم الإسلام، كما نهل من علوم أوروبا مما مكنه من الرد على أباطيل الملحدين، له عدة كتب وبحوث، كان ميلاده في أحدى قرى محافظة كفر الشيخ بمصر عام ١٣١٢هـ ١٨٩٤م، كان له مشاركات عدة في التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي وخارجه. توفي رحمه الله سنة ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٨م في مدينة(لاهور) بباكستان في أثناء حضوره مؤتمراً اسلامياً.
انظر : النبأ العظيم (المقدمة الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م ص ٦.

ولا ثقة لنا بكتاب كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالاسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية إقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز، إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (سورة الحجر ﴿٩﴾) ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى : « وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ » (سورة المائدة﴿٤٤﴾) أي بما طلب إليهم حفظه، والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته، وكان مسددها ولم يكن شيء منها ليسد مسده فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة وإذا قضى الله أمراً يسر له أسبابه، وهو الحكيم العليم[١] » إ. هـ.

وقد وضع العلماء للقرآن الكريم تعريفاً يميز به عن غيره فقالوا: **القرآن هو كلام الله تعالى، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته»**[٢] .

وهناك تعريفات أخرى للقرآن الكريم[٣] .

وقد أصبح هذا التعريف هو المشتهر الغالب على غيره من التعريفات.

الدعوة ومعجزتها القرآن :

من حين ابتدأ تنزيل القرآن الكريم على رسولنا صلى الله عليه وسلم

(١) نص : كتاب النبأ العظيم ص (١٢)

(٢) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان الطبعة الرابعة ١٣٩٦هـ ـــ ١٩٧٦م ص ٢١

(٣) انظر : مناهل العرفان للزرقاني جـ١ ص ٨.

إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والقرآن الكريم المعجزة الكبرى للدعوة الإسلامية والسبب الرئيسي في نجاحها لما حواه هذا القرآن العظيم من خير وبركة، ولما تضمنه منهجه الفريد من مقومات السعادة، وما اختص به من أسباب الفوز. والهداية للبشرية كلها، عندما تدرك الإنسانية تلك المعاني وتقبل ذلك المنهج الكريم.

لذلك كانت معجزة القرآن مما بنيت عليه دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان قد أيد بمعجزات كثيرة، إلا أن تلك المعجزات كانت حسية قامت في أوقات وأحوال خاصة، وكانت لأقوام خاصة، كغيرها من معجزات الرسل السابقين، حيث كانت معجزاتهم وقتية ــ كما سلف ــ إنتهت بإنتهاء وقتها، وزالت مع زوال أهلها، بخلاف المعجزة القائمة على مخاطبة العقل، والتي خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والباقية إلى الأبد على صحائف الدهر ما تعاقب الليل والنهار، وهي معجزة القرآن الكريم، ويكفي للدلالة على صحة تلك المعجزة وأثرها في نجاح الدعوة ــ علاوة على نقلها إلينا نقلاً متواتراً ــ ما أحدثته في العرب منذ اللحظة الأولى، وهم من عرفوا بفصاحة اللغة، وقوة البيان، عندما عجزوا عن الوقوف أمام معجزة القرآن، وهو بلغتهم التي يعرفونها، وتأثير القرآن في نفوسهم سواء منهم من شرح الله صدره للإسلام، أو من جعل الله على بصره غشاوة.

وإذا تجاوزنا عن النفر الذين كانت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وحدها هي داعيتهم إلى الإيمان في أول الأمر بحكم علاقتهم بالرسول، كزوجه «خديجة» وصديقه الحميم «أبي بكر» وابن عمه «علي» الذي كان يقيم في بيت الرسول عليه السلام ومولاه وخادمه «زيد» وأمثالهم ممن لمسوا الصدق والوفاء وحسن الخلق في الرسول صلى الله عليه وسلم فآمنوا به، فإننا نجد القرآن الكريم بمعجزته الباهرة، وتأثيره القوي كان العامل الحاسم في إيمان من آمنوا في أوائل الدعوة، يوم لم يكن لمحمد عليه السلام ودعوته

حول ولا طول، وهو العامل الحاسم في إنجاح الدعوة يوم لم يكن للإسلام قوة ولا منعة

وهذا من أقوى أدلة الرد على من يدعون انتشار الاسلام بالسيف مما هو معلوم البطلان ديناً وتاريخاً.

ونكتفي في هذا المقام بذكر نموذجين فقط من قصص كثيرة للإيمان والطاعة، والتولي والاعراض وهاتان الحادثتان تكشفان عن تأثير القرآن منذ اللحظة الأولى للدعوة، وتبينان مدى تأثير تلك المعجزة في الناس، وهاتان الحادثتان هما قصة إيمان عمر بن الخطاب، وقصة تولي الوليد بن المغيرة كما روتها كتب السيرة.

قصة إسلام عمر رضي الله عنه وردت بعدة روايات منها :

قال ابن إسحاق : «كان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما عن عمر، وكان نعيم بن عبد الله الفحام قد أسلم ويخفي إسلامه فرقا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحا بسيفه، يريد رسول الله ورهطاً من أصحابه.

فلقيه نعيم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر؟ فقال أريد محمداً هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد المناف تاركيك تمشى على الأرض، وقد قتلت محمداً، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ فقال: وأي أهل بيتي؟ قال ختنك[2] وابن عمك

(١) انظر كتاب : التصوير الفني في القرآن للاستاذ /سيد قطب منشورات دار الشروق ٩.

(٢) ختنه هو : كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ.

سعيد بن زيد، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما، قال:

فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طٰه) يقرئهما إياها. فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه. و بطش فيهما، فلما فعل ذلك قالت أخته وختنه:

نعم أسلمنا وآمنا بالله، فاصنع ما بدا لك وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن آنفاً، أنظر ما الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبا، فأعطته الصحيفة وفيها طٰه فقرأها، فلما قرأ منها سطراً قال :

ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعت رسول الله أمس وهو يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب»[1] .

وكل الروايات تجمع على أن عمر بن الخطاب سمع، أو قرأ شيئاً من القرآن، الذي كان داعية إلى الإسلام ، ومهما كان من عوامل إسلام أمثال عمر رضي الله عنه، فإنه كان للقرآن الكريم، وتأثيره الحاسم أثراً في سرعة إسلامهم.

أما حادثة تولي الوليد بن المغيرة، فهي مشهورة، وفيها روايات كثيرة ملخصها:

أن الوليد بن المغيرة سمع شيئاً من القرآن الكريم فكأنما رق له فقالت قريش: صبأ والله الوليد، ولتصبئون قريش كلهم، فأوفدوا إليه أبا جهل يثير كبرياءه واعتزازه بنسبه وماله، و يطلب إليه أن يقول في القرآن قولاً يعلم

(١) سيرة بن هشام جـ١ ص ٣٦٥.

به قومه أنه كاره، وليجعلوا لهم رأياً واحد ضد محمد، خاصة أن موسم الحج قادم ولابد أن يجمعوا فيه رأياً، ولا يختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً فقالت قريش: فأنت يا أبا عبد شمس أقم لنا رأياً نقل به، قال بل أنتم قولوا أسمع، قالوا: نقول: كاهن، قال لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن، ولا سجعه، قالوا: فنقول مجنون قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله زجره وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا فما نقول: يا أبا عبد شمس؟؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وأن أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته[1] .

فجاء القرآن الكريم يرد عليه مقولته، وبين عاقبة أمره، يقول الله تعالى: « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ » (سورة المدثر (٢٦)).

وهكذا اعترف هذا المشرك بأثر هذا القرآن على النفوس، وهو وان وصف القرآن الكريم بالسحر الذي يؤثر، فيفرق بين المرء ومن حوله، فقد كان غروره واعتزازه بنفسه وماله وولده الذي أعمى بصيرته سبباً لشقاوته، ومن هنا تلتقي قصة الكفر بقصة الإيمان في الإقرار بمعجزة القرآن الكريم.

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٨٣.

والقرآن الكريم مليء بالآيات الدالة على قوة تأثير القرآن وإعجازه، لأنه يلمس الوجدان، ويحرك المشاعر، و يرقق القلوب، فتهدأ به النفوس، وتفيض منه الدموع، قال تعالى: « ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ » (سورة الزمر ٢٣).

وهو في الجانب الآخر نرى المستكبرين يجهدون أنفسهم في القدح في هذا القرآن، وتنفير الناس منه، بحيث يصفونه بالسحر تارة، و بالكهانة تارة أخرى، والتشكك في مصدره وجمعه وعلومه وغير ذلك إلى آخر النعوت التي تمليها عليهم شياطينهم، وهي نعوت تحمل معنى الإقرار بأنه شيء خطير، خارج عن مألوفهم، خارق لعاداتهم وبذلك يقرون بإعجازه القاهر، وسلطانه القوي، وهم لا يشعرون قال تعالى عنهم: « وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ » (سورة سبأ ٤٣) « وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (سورة يونس ١٥).

إعجاز القــرآن :

الإعجاز الأصل فيه : إثبات العجز، وهو القصور عن فعل الشيء، وعدم المقدرة عليه. بحيث إذا ثبت الإعجاز ظهرت المعجزة. والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب، ومن بعدهم عن معارضته في معجزته الخالدة وهي (القرآن[١] الكريم) وقبل الشروع في بيان سر الإعجاز ومصدره يجدر بنا تعريف المعجزة.

(١) انظر : مباحث في علوم القرآن (للشيخ القطان) ص ٢٥٨.

المعجزة : عرفها العلماء بتعريفات منها:ـ

(أ) المعجزة : «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي موافق للدعوى سالم عن المعارضة» وهذا تعريف السيوطي[1] وأكثر العلماء.

(ب) قال القرطبي المعجزة : «سميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها»[2] . وتعريف السيوطي[3] هو الراجح لشموله وسلامته من المعارض وكونه تعريفاً جامعاً مانعاً، لذا نجده هو الغالب والمشهور عند العلماء.

والمعجزات الدالة على صدق الأنبياء نوعان : ـ

١ ـ **معجزة حسية** : وهي معجزات أكثر الأنبياء السابقين بحيث تأتي لكل نبي، موافقة للأغلب من أحوال قومه، والشائع المنتشر في ناس دهره، فمثلاً موسى عندما بعث في عصر السحرة، خص بفلق البحر يبسا، وقلب العصا حية، مما بهر كل ساحر، وأذل كل كافر، وبعث عيسى ـ عليه السلام ـ في عصر الطب فخص بإبراء الزمني، وإحياء الموتى بما أدهش كل طبيب، وعارف من قومه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من خصه الله بالفضائل العظيمة، وجعله خاتم أنبيائه قد أعطاه من المعجزات الحسية الشيء الكثير تكريماً له وتعظيماً[4] .

٢ ـ **معجزة عقلية** : وهي ما خص الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم، بأن أعطاه تلك المعجزة الخالدة، التي لا تنقرض كبقية المعجزات،

---

(١) كتاب الاتقان جـ٢ ص ١٤٨.

(٢) تفسير القرطبي جـ١ ص ١٤.

(٣) السيوطي : هو عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، امام حافظ، نشأ في القاهرة يتيما، لما بلغ الأربعين سنة اعتزل وخلا بنفسه للتأليف حتى بلغت مؤلفاته ٦٠٠ مصنف. توفى سنة ٩٠٠هـ.
انظر : الأعلام جـ٣ ص ٣٠١.

(٤) انظر : أعلام النبوة للماوردى الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ص ٥٧ وكتاب الشفا للقاضى عياض جـ١ ص ٢٥٣.

حيث أن رسول الله ـ عليه السلام ـ مبعوثاً لكل البشر في كل الأزمنة، لذلك خصه الله بمعجزته العقلية الكبرى وهي ـ القرآن ـ الذي كان أول معجزة دعا بها عليه الصلاة والسلام إلى نبوته فصدع فيه برسالته، وخص باعجازه من جميع رسله، وهذا القرآن هو كلام الله تعالى الذي جاء بلغة العرب، وفق ما عرفوه من أساليب البيان، وفصاحة العبارة، ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم في عصر الفصاحة والبلاغة والبيان خص بالقرآن في ايجازه وإعجازه حتى عجز عن مثله الفصحاء، واذعن له البلغاء، وتقاصر عن رتبته الشعراء، ليكون العجز عنه أقهر والتقصير فيه أظهر، فحصلت المعجزة، ووقع الإعجاز بالوجه المطلوب، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1]

مراحل التحدي :

عندما واجه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه بهذه المعجزة الكبرى وحصل منهم ما حصل بين مسلم وكافر، وأصاب من عارضه الذعر، والاضطراب النفسي، سول لهم الشيطان معارضة القرآن، وهم عاجزون قالوا: في لجاجة واستكبار «قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (سورة الأنفال ٣١).

وقالوا عنه وهم في قمة الغرور والتخبط والارتباك ما حكى القرآن عنهم « بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ » (سورة الأنبياء ٥).

فجاء التحدي من القرآن الكريم، ليرد على هذه العقول الزائفة، والأنفس التي عشش عليها الجهل، واستولى عليها الشيطان جاء التحدي

(١) رواه البخارى جـ٣ ص ٢٢٤.

متدرجاً على سبيل التنزل، من الكل إلى الجزء ومن الأصعب إلى الأسهل ليكون أنكى في الحجة، وأبلغ في الإعجاز، فجاء التحدي متدرجاً معهم.

وأنه لمن عجيب القرآن، وأمر هؤلاء العرب، أنه طاولهم في المعارضة، وتنزل معهم في التحدي بالقرآن كله، إلى التحدي ولو بسورة واحدة، وهم على رغم هذه المطاولة ينتقلون من عجز إلى عجز، ومن هزيمة إلى هزيمة، والقرآن الكريم ينتقل من فوز إلى فوز، والدعوة الإسلامية التي دستورها هذا القرآن تخرج من نصر إلى نصر ومن فوز إلى فوز بفضل الله.

وتتلخص مراحل تحدي القرآن كالآتي :ـ

(أ) تحداهم في بادئ الأمر أن يأتوا بمثله قال تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ » (سورة الطور ﴿٣٤﴾).

(ب) فلما عجزوا وانقطعت بهم الحيلة، مدّ لهم في الحبل، ولكنهم برغم ذلك عجزوا هذه المرة كما عجزوا في المرة السابقة حيث تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، والله تعالى قضى أن تقوم عليهم الحجة، وتثبت عليهم البينة، هم وغيرهم ممن عاصرهم، أو من يأتي بعدهم من البشر، قال تعالى « أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ » (سورة هود).

(جـ) ولما عجزوا أن يأتوا بهذا القدر، وهو عشر سور مثله، على كثرة البلغاء والخطباء فيهم تحداهم أخيراً أن يأتوا ولو بسورة منه، قال تعالى: « وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ » (سورة البقرة ﴿٢٤﴾).

فكان عجزهم بعد ذلك أشنع وأبشع، وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر فلم يفعلوا ولن يفعلوا، فدحضت حجتهم، وافتضح أمرهم، وظهر أمر الله، وهم كارهون.

وما من شك أن التحدي بالسورة الذي نطق به القرآن ينطق على أي سورة، وإن كانت أقصر سور القرآن كسوزة الكوثر ثلاث آيات، وان مقدارها من آية أو آيات من سورة طويلة له حكم السورة ونجد القرآن بعد عجزهم هذا ينادي عليهم بإظهار عجزهم القاطع، بعد قيام الحجة، وثبوت العجز بصورة لا تقبل الشك، أو تثير الجدل (١).

قال تعالى مسجلاً عجزهم الأبدي هم والجن جميعاً: « قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا » (سورة الإسراء ٨٨).

وجوه الإعجاز :

بعد الحديث عن تحديد معنى القرآن وأثره في الدعوة، وعن تعريف المعجزة ومراحل التحدي التي تحدى القرآن بها المشركين فإنه من المفيد تلخيص وجوه الإعجاز في القرآن.

لقد اهتم علماء المسلمين قديماً وحديثاً بإعجاز القرآن الكريم، وخاضوا في بيان وجوه الإعجاز، منشأ ذلك اهتمامهم بالقرآن وعلومه، لما لهذاالقرآن من مكانة في نفس كل مسلم: لكونه كلام الله المتعبد بتلاوته، ولكونه المعجزة الكبرى على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولأنه ـــ ولا يزال ـــ الآية الكبرى لنجاح الدعوة الإسلامية.

فالقرآن الكريم لهذا الدين الحنيف ولهذه الدعوة المباركة، بمثابة القلب في جسم الانسان، فكما أن القلب يمد الجسم بالحركة والحياة فكذلك القرآن

---

(١) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن جـ٢ ص ٢٢٩

يعطي للدين الإسلامي ودعوته، الحركة والحياة والنجاح، لهذا لم يكن من المستغرب أن تلقى علوم القرآن، وفي مقدماتها الإعجاز القرآني تلك العناية من العلماء حيث أفرد التصنيف في اعجاز القرآن خلائق : كالخطابي والرماني والزملكاني والامام الرازي[1] ، وابن سراقة والقاضى الباقلاني[2] وغيرهم، وبذلوا جهداً عظيماً في ذلك يشكرون عليه، حيث جلوا وأبانوا ماتضمنه هذا القرآن من عظيم اعجاز، وجليل بيان وما تضمنه هذا الكتاب العزيز من حكم كثيرة، وخير عميم للبشرية كلها،[3] وفضل عظيم على الدعوة الإسلامية لأنه محورها الرئيسي، الذي تدور عليه في كل زمان ومكان فأغنوا بهذا الجهد العظيم المكتبة الإسلامية بذلك القدر الهائل من البحوث والمعارف المتعلقة بهذا الموضوع من علوم القرآن وهو الاعجاز، حتى لقد عد بعضهم للقرآن عشرين وجها في الإعجاز[4] كالعلامة الماوردي[5] ، وقد أرجع القرطبي وجوه الاعجاز إلى أكثر من عشرة أوجه نلخصها في الآتى :ـ

١ ـ النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها.

لأن نظمه ليس نظم الشعر قال تعالى :« وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ »(سورة يس : ٦٩).

٢ ـ الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

---

(١) الرازي : هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي ـ التيمي الإمام المفسر أصله من (طبرستان) ومولده بالري سنة ٥٤٣هـ وتوفي في هداه ٦٠٦هـ.
انظر : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٥٥ وانظر الأعلام جـ٦ ص ٣١٦.

(٢) الباقلاني : هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني رأس المتكلمين، وأكثرهم تصنيفاً في الكلام، ولد في البصرة كان قاضيا جيد الاستنباط سريع الجواب. توفي في بغداد سنة ٤٠٣هـ.
انظر : البداية والنهاية : جـ١ ص ٣٥٠.

(٣) انظر : الاتقان جـ٢ ص ١٤٨.

(٤) انظر : أعلام النبوة ص ٥٨.

(٥) الماردي : هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، نسبته بيع ماء الورد، ولد بالبصرة، أحد العلماء الباحثين، صاحب تصانيف كثيرة، كان أقضى قضاة زمانه.
توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ.
انظر : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٨٠ ـ والأعلام جـ٤ ص ٣٢٧.

٣ ـ الجزالة التي لا تصلح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك مثلا في سورة «قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ»(سورة ق : ١ - ٢)إلى آخر السورة، قال ابن الحصار[1] : وهذه الثلاث من النظم والأسلوب، والجزالة لازمة لكل سورة، بل لازمة لكل آية».

٤ ـ التصرف في لسان العرب على وجه لايستقل به عربى، حتى يقع منهم الإتفاق جميعهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه.

٥ ـ الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى نزوله على أمي ماكان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه.

٦ ـ الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه.

٧ ـ الأخبار عن المغيبات في المستقبل التي لايطلع عليه إلا بالوحي.

٨ ـ ماتضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام.

٩ ـ الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي.

١٠ ـ التناسب في جميع ماتضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف[2] . قال تعالى : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » (سورة النساء ٨٢). واذا كانت هذه حال القرآن الكريم، وهذه بعض وجوه اعجازه على كثرتها .

فلابد أن ذلك قد لفت الأنظار لهذا القرآن، ومن ثم ساعد على قبول منهاجه وقبول الدعوة ونجاحها فيهم.

---

(١) ابن الحصار : هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزرجي الحصار فقيه من أشبيليا نشأ بفاس ثم انتقل إلى مصر وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٦١١هـ.
انظر : الأعلام جـ٤ ص ٢٣٠.

(٢) انظر : تفسير القرطبي (المقدمة) جـ١ ص ٦٣ وما بعدها.

وقال القاضي عياض : إن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبطها أنواع لخصها في أربعة وجوه لاتخرج عما ذكره القرطبي[1]

ونحن في هذه الفقرة من المبحث ــ كما هو معلوم ــ ليس مطلبنا البحث في القرآن الكريم أو في اعجازه لأن ذلك يحتاج إلى أسفار، وانما مطلبنا الإشارة إلى دور القرآن وأثر اعجازه في الدعوة الإسلامية، ودوره في نجاحها وسرعة انتشار الإسلام بالصورة المعروفة، وأود أن أشير هنا إلى أن تعداد أوجه الإعجاز لا يمكن حصرها في أوجه معينة من تعدادنا نحن البشر القاصرين. حيث أن القرآن الكريم معجز بكل ماتحمله هذه اللفظة من معنى، فهو معجز في لفظه وأسلوبه، ومعجز في نظمه وبيانه ومعجز في علومه ومعارفه، ومعجز في تشريعاته الباهرة التي تتفق مع نواميس الكون، ومعجزة الله في الحياة، ومعجز كذلك بتلك التشريعات والأنظمة التي تتفق مع فطرة هذا المخلوق، الفريد في تكوينه، الفريد في تكليفه ومهمته، والقرآن الكريم كذلك احتوى على الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والقرآن الكريم يكفيه إعجاز أنه كلام الله المحكم الذي « لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (سورة فصلت ﴿٤٢﴾) من أية ناحية أتيته تجد فيه أنواراً منبلجة، وأدلة ساطعة، وحقائق ثابتة، كلها تثبت أنه كلام الله المعجز بحيث لا تجد فيه نكتة من كذب، ولا وصمة من زور، ولا لطمة من جهل، لجميع هذه المعاني المتقدمة جاء القرآن الكريم مستوفياً لجميع حاجات البشرية، فصنع فيهم جميع التحول العجيب، لكونه كتاب هداية وإرشاد وتبليغ، لذلك فالقرآن معجز لكل هذه الأسباب وغيرها، مما كان له عظيم الأثر على الدعوة الإسلامية[2] .

(١) انظر : كتاب الشفا جـ١ ص ٢٥٨.

(٢) انظر : في وجوه الاعجاز(بتوسع) كتاب الاتقان في علوم القرآن جـ٢ ص ١٤٨ واعجاز القرآن (للباقلاني) جـ١ ص ٥٨ بهامش الاتقان، واعجاز القرآن للرافعي، وبيان اعجاز القرآن للخطابي والبرهان في علوم القرآن للزركشي والتصوير الفني في القرآن سيد قطب، ومن روائع القرآن للسيوطي

قال الخطابي(١) : «فخرج من هذا القرآن إنما كان معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظم التأليف، مضمناً أصح المعاني، من توحيد الله وتنزيهه في صفاته، ودعا إلى طاعته، وبيان لمنهاج عبادته في تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه، مودعا أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلات الله بمن عصى، وعاند منهم، منبهاً عن الكوائن المستقلة في الاعصار الماضية من الزمان جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، وليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه وإنباء عن وجوب أمر به ونهي عنه.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله» (٢) إ. هـ.

العامل الثاني : التدرج في الخطاب والتربية :

لقد كان إنزال القرآن بصورته المعروفة حدثاً جللا، وخيراً عميماً للإنسانية كلها، دلل على مكانته لدى ملائكة السماء، كما كان تشريفاً لمن أنزل عليهم، مما كان له عظيم الأثر فيما أحدثه في الحياة من تغيير للواقع البشري السيء، الذي كان سائداً عندما نزل القرآن الكريم على خير البشر، وقد نتج عن كل هذا تحول عجيب في حياتهم، ورفع الله به هذه الأمة إلى أعلى الدرجات، وخصها بسببه بعظيم الكرامات، بأن جعلها خير أمة

---

(١) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، ولد سنة ٣١٩هـ وكان أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين، له عدة مؤلفات. توفي بمدينة «بست» سنة ٣٨٨هـ.
انظر : البداية والنهاية جـ١١ ص ٣٢٤.

(٢) هذا النص في كتابه(بيان اعجاز القرآن) طبع ضمن ثلاث رسائل بتحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ص ٢٧ الطبعة الثانية.

اخرجت للناس، وبعد أن قرن الله تعالى بنزوله، من الأسباب والعوامل مايكون كفيلاً بقبوله لدى الناس، والاستجابة لمنهجه، بصورة فريدة لم يشهد لها البشر مثيلاً في تاريخه الطويل.

فالقرآن الكريم عندما قدم منهجه للإنسانية، وهبه لها على هيئته جرعات، ورشفات مناسبة، في أوقات ملائمة، بصورة متدرجة، منسجمة مع فطرة البشر « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا » (سورة الروم ﴿٣٠﴾).

ومتفقة مع سنن الكون، ونواميس الحياة، مما يضمن به لهذا المنهج أفضل النتائج لعموم البشر، حسب منهاج الله الذي رسمه للحياة كلها، ذلك المنهج المتفق مع واقع البشرية الفطري الأصلي ـ قبل أن يعتري ذلك الواقع الزيغ والضلال بسبب ماجنته يد البشرية من ظلم وانحراف ـ هادفاً القرآن من منهجه هذا إغناء البشرية، بمنهجه الكامل عن أي منهج آخر.

لذلك كان من الأسباب والوسائل التي إقترن بها نزول القرآن لتحقيق الهدف السامي، بقبول الناس له، تدرج القرآن في مخاطبة البشر، والسير مع قدرة البشر الجسمية، والعقلية، والفكرية، وفقاً لمجريات الأمور، وواقع الأحداث، واستجابة لمتطلبات الحياة ومستلزماتها، حسبما تتحمله القدرات البشرية، ومجاراة لتطورات العقل البشري في رحلة انتقاله، وحالة صعوده من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن مسالك الضلال إلى طريق الهدى والرشاد، قال الله تعالى :

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا » (سورة الفرقان ﴿٣٢﴾). وأخبرنا تعالى بطرف من حكم ندرج القرآن في الخطاب، في كونه نزل مفرقاً، في قوله تعالى: « وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ) (سورة الإسراء ﴿١٠٦﴾).

والقراءة لم تكن المقصودة بذاتها، وإنما المراد مايتبعها من تعلم وعمل

وانقياد، فإذا كانت القراءة وهي الوسيلة تكون على مكث وتؤدة فإن نتائجها تكون مضمونة ومحققة، مما ينتج عنه القبول والامتثال.

ولقد كان من ثمار أسلوب القرآن الفريد في الخطاب والتربية، أن كانت الفطرة البشرية، أشد ماتكون تفاعلاً وانسجاماً مع القرآن الكريم عندما أخذ يلمسها من يد الطبيب الماهر، العالم بعلة مريضه، يتحسس موضع الداء ليقدم الدواء، آخذا في الحسبان سرعة النتائج، واستمرار الثقة بما قدمه من علاج.

ولعلي بهذه الصورة أكون قد قربت واقع البشرية عند نزول القرآن وحاجتها إلى منهجه، فهي كمريض مدنف، وجد الطبيب الحاذق، الخبير بعلته، القادر على منحه بلسم الشفاء بإذن الله، مما أحدث تلك الاستجابة الهائلة لدى الخلق، لمنهاج القرآن وقبوله، وإحداث ذلك النجاح المنقطع النظير لدعوة الإسلام.

ولما كان هذا القرآن الكريم، من عند الله تعالى، العالم بخفايا النفس البشرية، فلم يكن مستغرباً أن يتميز منهج القرآن في الدعوة بميزات وأساليب فريدة، لم يسبقها إليه منهج آخر لأنه من الله تعالى، الذي يقول: « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » (سورة النساء ﴿٨٢﴾)، والأساليب والوسائل التي جاء بها القرآن في هذا الموضع كثيرة يصعب الإلمام بها، ومن أهمها التدرج في الخطاب والتربية، وسأتناول ذلك بشيء من التفصيل كما سبقت الإشارة إليه:

أولاً : التدرج في الخطاب :

لا يختلف إثنان في أن المتحدث كلما أخذ في حسبانه حالة من يخاطبه، وراعى مقدرته الفكرية والعقلية كان ذلك أقوى في التأثير على المخاطب، وأدعى لسرعة استجابته، وامتثاله لما يلقى إليه، وتأثره به، وهذا الواقع ينطبق على القرآن الكريم وأسلوبه في مخاطبته البشر، لذلك كان من

وسائل القرآن في مراعاة تلك الحال نزوله مفرقاً ليسهل عليهم حفظه، وفهم معانيه وتطبيق أحكامه، وفق مراد الله، بطريقة مناسبة، تكون بعد الاقتناع والامتثال، بخلاف ما لو جاءهم دفعة، فصعب عليهم حفظه، وشقت عليهم أحكامه، ونلحظ ذلك بالصورة العملية من الصحابة، رضوان الله عليهم، فقد روى البخاري في الصحيح ــ بسنده ــ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: «والله الذي لا اله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[1]».

وكان من ثمار ذلك اشتهار عدد من الصحابة بمعرفة أحكام الإسلام، كابن عباس وابن مسعود وأُبي بن كعب وغيرهم كثير كانوا عبارة عن مدارس كاملة لتعليم الإسلام وأحكامه للناس، بعد أن كان صلى الله عليه وسلم يحثهم على ذلك، و يرشدهم إلى العلم والتعليم، لما ذلك من الآثار في نجاح الدعوة وانتشارها.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهم قوله: «أن رسول الله عليه السلام وضع يده على كتفي، أو على منكبي ثم قال: «اللهم **فقهه في الدين** وعلمه التأويل[2]».

ونستطيع أن نستدل على تدرج القرآن الكريم في الخطاب والأحكام ودور التدرج في نجاح الدعوة في الآتي:

أ ــ إنزال القرآن منجما :

لقد ثبت أن للقرآن تنزلين، **الأول:** نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، تعظيماً لشأنه عند ملائكته الله، وهو المراد في قوله تعالى :

---

(١) : رواه البخاري جـ٣ ص ٢٢٨(كتاب فضائل القرآن).

(٢) : رواه الإمام أحمد في المسند جـ٤ ص ١٢٧.

« شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ » (سورة البقرة ﴿١٨٤﴾) وقوله تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ » (سورة الدخان ﴿٣﴾) وهو قول ابن عباس والجمهور[1] .

الثاني : نزوله منجماً حسب الأحوال والوقائع، ودواعي التشريع على رسولنا صلى الله عليه وسلم وفق سير الدعوة وحظ نجاحها من حين بعث إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى لمدة ثلاث وعشرين سنة إلا قليلاً، منها ثلاث عشرة سنة بمكة وعشر بالمدينة تقريباً بعد الهجرة.

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشر سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين[2] ».

وإنزال القرآن الكريم منجماً فيه حكم ومصالح كثيرة تتعلق بموضوع هذه الرسالة حيث لفت هذا الموضوع أنظار الناس إليه، بمخالفة الكتب السابقة بنزوله مفرقاً على رسولنا صلى الله وسلم، بعد أن نزل جملة واحدة إلى بيت العزة، فجمع الله لهذا القرآن الكريم بين الميزتين نزوله جملة إلى السماء الدنيا كغيره من الكتب، وامتاز عنها بنزوله مفرقاً حسب الوقائع والأحداث، مما يلفت إليه نظر المشركين، و يوحي إليهم بعظيم أمره، وصحة خبره، وصدق مصدره، بعد ذلك نجد موقفهم موقف المتعجب المهتم من أمر هذا القرآن، ولا شك أن ذلك من أسباب الاهتمام به، ومن ثم قبوله والانصياع له ولدعوته.

قال تعالى : « وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » (سورة الفرقان : ﴿٣٣﴾) كما أن إنزاله مفرقاً أدعى لقبوله

---

(١) : انظر : الاتقان جـ١ ص ٥٣.

(٢) : صحيح البخارى جـ٢ ص ٣٣٠ (باب الهجرة).

بـنـزولـه عـلـى الـتـدريج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض والنواهي[1].

وهـذه الحكمـة من الممكن أن نستجليها في واقع حياتنا العملية، فلو قلت لابنك ذاكر دروسك، واستقبل الضيوف، ولا تخرج إلى الشارع، إلى آخره، فما موقف الابن؟ لاشك أنه سوف ينفر منك، و يتضايق لكثرة هذه الطلبات، ولكن إذا طلبتها منه بالتسلسل، كل طلب بعد انجاز الآخر الذي قبله، أصبح الأمر يسيراً وسهلاً، وتحقق المقصود من الطلب، وقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها هذه الحكمة الجليلة، وأثرها في قبول الإسلام وأحكامه، ونجاح الدعوة بسبب ذلك عندما قالت :

«إنما أنزل منه سورة المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لاندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً[2].

ومن ثمار التدرج في مخاطبة الأمة، بانزال القرآن منجماً تيسير قراءته وحفظه إذا علمنا أن أولئك كانوا أميين، وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لدى من كانوا يكتبون منهم على ندرتهم، وكانوا مشغولين بمطالب المعاش، والدفاع عن دينهم الجديد، بالحديد والدم، فلو نزل جملة وهم على هذه الأحوال، لعجزوا عن حفظه ومعرفة أحكامه، ولكان ذلك عائقاً للدعوة، ولمّا نزل القرآن منجما، وسهل قراءته وحفظه وتعليمه ومعرفة أحكامه، كان ذلك عاملاً مهماً من عوامل قبوله والامتثال له، والاستجابة السريعة لهذه الدعوة، وانتشارها ونجاحها بين البشر بعد أن اقتضى الله بحكمته الإلهية إنزاله مفرقاً، قال تعالى: « وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا » (سورة الإسراء ١٠٦).

---

(١) : انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ١ ص ٥٧.

(٢) : رواه البخاري جـ٣ ص ٢٢٧ (باب تأليف القرآن).

كما كان في إنزاله منجما مسايرة للحوادث والطوارىء في تجددها، وإجابة لكل سؤال يجول في خواطرهم، أو موضوع يشكل عليهم الأمر فيه، وهذا مما يساعد على فهم القرآن، والاهتمام به، ومن ثم قبول الإسلام، ونجاح دعوته، وأمثلة ذلك كثيرة (١).

وفي القرآن الكريم من تنزيلات الوحي متجاوبا مع المؤمنين على الرسول صلى الله عليه وسلم صور متنوعة، وألوان متعددة، تلتقي عند غاية واحدة: هي رعاية حال المخاطبين، وتلبية حاجاتهم في مجتمعهم الجديد والمساعدة في تحقيق مرامهم بنشر هذا الدين، والدعوة إليه واستجابة الناس لمناهجه بعد أن يعرفوا حقيقته، و يستبينوا طريقه (٢).

ودليل ذلك ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات، وأكثر وأقل، فقد ورد نزول العشر آيات في قصة الافك جملة، كما ورد نزول قوله تعالى: «غير أولي الضرر» وحدها وهي بعض آية (٣).

ب ـــ أساليب القرآن :

عندما امتن المولى على عباده بهذا الدين الحنيف، وأنزل القرآن بأحكامه ومبادئه الثابتة، وشرائعه المتكاملة، ابتداءً من العقائد العليا، ومروراً بضروب الأخلاق والعبادات، وانتهاءاً بالمعاملات، لم يرسل تعالى اللطيف بعباده، الخبير بقدراتهم ونفسياتهم القول في هذه الشرائع إرسال الأوامر المجردة ، أو الالزامات الصارمة، ثم ينهي القصة بإنذار المخالفين، ورفع سوط العقوبة في وجوههم، كما تفعل القوانين الوضعية ونظم البشر، وشرائعهم الجافة!!

---

(١) : انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص ٤٦.

(٢) : انظر : مباحث في علوم القرآن ـــ صبحي الصالح. ص ٥٦.

(٣) : انظر : الاتقان في علوم القرآن جـ١ ص ٥٧.

وإنما كان من عظيم فضل الله ورحمته، وكريم لطفه بعباده أن مزج أوامره وتكاليفه بما يحرك قلوب العباد، و يشوق أرواحهم، و يعطف نفوسهم و يلطف الاستجابة في صدورهم، و يوقظ فطرتهم، و يرفع عنها ما ران عليها من غبش الذنوب والأهواء، ويستجيشها بما يتوفق معها من بواعث الرعب والرهب، حدباً منه سبحانه وتعالى، وتلمساً لهدايتهم، واستمالتهم إلى دينهم الحق.

فكان أن استعمل القرآن العظيم لتدعيم مبادئه، وشرائعه جملة وافرة من الوسائل التدعيمية، وما من مبدأ أو تكليف إلا وقد سبق معه مايثبته و يؤكده، و يلطف منه إن كان خيراً، و ينفر منه إن كان غير ذلك[1] .

وإذا كانت وسائل القرآن التدعيمية كثيرة نوعاً، متعددة طرقاً، فإن في مقدمتها أساليب القرآن لما لها من آثار في بيان أحكام القرآن، وإقبال الناس عليه، و بيان حقيقته.

وإن كانت وسائل القرآن كثيرة، فإن أساليب القرآن التي تعتبر جزء من وسائل القرآن كثيرة أيضاً.

ولذلك فنحن في هذا المقام لن نتحدث عن كل أساليب القرآن بل نكتفي بإيراد بعض منها كأمثلة من تلك الأساليب، وأثرها في نجاح الدعوة.

فلقد جاء القرآن الكريم بأساليب كثيرة تدل على تدرجه في الخطاب، وتلك الأساليب منها:

١ ــ نزول القرآن على سبعة أحرف :

إن من أقوى الأدلة على تدرج القرآن في مخاطبة العرب، حسب اختلاف لهجاتهم وأفهامهم نزوله على سبعة أحرف، حيث قد يتفاوت فهمهم

---

(١) : انظر : مجلة كلية أصول الدين بالرياض ــ العدد الثاني ٩٩ /١٤٠٠هـ ــ (مقال للدكتور عبدالستار سعيد) بعنوان : نظرات في الاستدلال القرآني. ص ١١.

للفظ الواحد حسب اختلاف لهجاتهم، وهذا من أوجه إعجاز القرآن الكريم، مما يسر عليهم قراءته وحفظه وفهم معانيه مما دفع بهم إلى الاستجابة إلى هذه الدعوة واحتمال الأذى في سبيلها بل والجهاد عنها بعد ذلك.

ولما كان لقريش من الخصائص والميزات على غيرها من العرب ما تستحق به استلام القيادة، وزمام الريادة، نزل القرآن الكريم بلغتهم، ثم توسع فيه إلى سبعة أحرف، بلغات العرب الآخرين، كما تواترت الأدلة بذلك، روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف[1]».

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة، وخلافهم ليس هذا مكان إيراده، وإنما الذي يهمنا أن هذا التنويع في نزول القرآن على سبعة أحرف له عظيم الأثر، وكبير الفائدة في حفظهم القرآن، وفهم معانيه لأكبر عدد منهم مع كثرة لهجاتهم، وتعدد قبائلهم، فكان في ذلك تسهيل لقبولهم الإسلام وإقبالهم عليه، وأخذهم به، ومن ثم انتشار الدعوة الإسلامية، ونجاحها نجاحاً منقطع النظير في التاريخ، بخلاف مالو نزل بلهجة واحدة.

٢ ـ الاستدلال :

وهذا كذلك نوع آخر من أساليب القرآن، في التوصل إلى معرفة الأشياء وحقيقتها بأدلتها، كدلالة الألفاظ على المعاني، والقرآن الكريم لم يكتف بما يحمله مع مبادئه من دلائل صدقها وصحتها المبالغة، بل تعدى ذلك وجعل طلب الدليل وتحصيله تكليفاً شرعياً، وندب الجميع إليه في كل حال، وهذا شيء تفرد به هذا المنهاج الإلهي، والحديث عنه أوسع من أن يستقصى. قال السيوطي: «قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من

(١) : رواه البخارى جـ٣ ص ٢٢٦ ــ كتاب فضائل القرآن ــ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، ولكن أورده على عادات العرب دون دقائق المتكلمين لأمرين:

أحدهما : بسبب ما قاله، في قوله تعالى: « وَمَآأَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » (سورة إبراهيم ﴿٤﴾).

ثانياً : أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالقليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزا، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة، ليفهم الخواص من أبنائها ما يربي على إدراكه فهم الخطباء(١) .

فالقرآن الكريم باستدلاله الواسع، وأسلوبه الفريد، يقدم الدليل واضحاً وجلياً عن كل استفسار، أو خاطرة تدور في خلد المرء، وهو بذلك يقدم التفسير الشامل للحياة، ودقائقها، وهذا مما يساعد على فهم أحكامه، وقبوله لدى الناس، ومن ثم نجاح الدعوة بعد إدراك حقيقتها، وسبر غورها.

وسائل أخرى :

لقد سلك القرآن من الوسائل والأساليب في بيان أحكامه ومبادئه سوى ما سبق الشيء الكثير، يظهر ذلك جلياً فيما سلكه القرآن من أساليب البلاغة والبيان، حيث أنه وإن جاء بلغة العرب، ولم يخرج عن سنن كلامهم، في ألفاظه وحروفه وتركيبه وأسلوبه على العموم، فقد بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر، بما تضمنه من اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضى الحال في ألوان البيان، وما تضمنه من معاني البلاغة كالنفي والإثبات، والحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير.. وهلم جرا (٢).

---

(١) : الاتفاق في علوم القرآن جـ٢ ص ١٧٢.

(٢) : انظر : النبأ العظيم ص ٩٠ ومباحث في علوم القرآن للقطان ص ٢٦٦.

«ومن ناحية التأليف والنظم، فالقرآن بديع التأليف، عظيم الوصف، كل كلمة في الآية تامة، وكل لفظ بديع واقع، وكل كلمة منه لو وقعت مع كلام غيره لتميزت، ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل منهج يسلكه، لايتفاوت، كما وصفه الله تعالى: « وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » (سورة النساء ـ ٨٢) بخلاف غيره من الكلام الذي يأتي كثير التلون، دائم التغير، يقف بك على بديع مستحسن، ويعقبه قبح مستهجن، وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم[١]».

إضافة إلى ما احتواه القرآن الكريم من أساليب أخرى: كإيراد القصة والحوار، والقسم، وضرب الأمثال واستعمال التكرار والتأكيد والجدل، والإيجاز والإطناب، وتلوين الخطاب، وغير ذلك من فنون القول الحكيم، البالغ حد الإعجاز في كل حال، وكل هذا من فضل الله ومنّه قد بلغ بالدعوة أعلى المراتب وكان له أكبر الأثر في لفت أنظار العرب وأسماعهم وقلوبهم إلى هذه الدعوة الجديدة مما كان سبباً في إقبالهم عليها، ونجاحها في أوساطهم نجاحاً منقطع النظير.

مبنياً على أسس وطيدة من العقل والوجدان، والفكر والقلب، بعد أن جاء هذا التنويع والتعدد لتلبية حاجة الإنسانية جميعاً على اختلاف منازعهم ومشاربهم.

ثانياً : التدرج في التربية والتشريع :

سبق الحديث عن تدرج القرآن الكريم في مخاطبة الأمة، ووسائله في ذلك . وفي هذه الفقرة سنتحدث عن تدرج القرآن في التربية، الذي يعتبر من ثمار التدرج في الخطاب، نظراً لأن التدرج في التربية والتشريع الذي سلكه القرآن يعتبر من وسائل فهم منهج الإسلام، و يسر وسهولة أحكامه، ثم

(١) : اعجاز القرآن للباقلاني ـ بتصرف ـ جـ٢ ص ٩٩.

قبول الناس له، وبالتالي نجاح الدعوة، لكون هذا من اهم أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في كل عصر، وفي أي مصر، وبخاصة عند تكوين اللبنة الأولى للمجتمع الإسلامي الأول.

ونحن في هذا المقام عندما نتحدث عن التدرج في التربية، فليس مقصودنا التعرض إلى أهداف الإسلام أو منهجه في التربية عامة، فهذا له موضع آخر، وإنما نكتفي بالتعرض إلى ما هو لب موضوعنا الذي يهمنا، وهو كيف كان عمل القرآن في التدرج في التربية؟ وما هي وسائله في التدرج؟ لأن حديثنا في هذا الفصل عن القرآن الكريم معجزة الدعوى الكبرى، والذي كان الدعامة العظمى لنجاح الدعوة، بعد أن استطاع بمنهجه الفريد بالتدرج في التشريع والتربية تحقيق مايمكن أن نعتبره معجزة، وهو نقل المجتمع المسلم من مجتمع جاهلي منحط، مفكك الأواصر، إلى مجتمع إسلامي مثالي سامق، مترابط البنيان، كالجسد الواحد.

وكان من أهم وسائل القرآن (إضافة إلى وسائل التدرج في الخطاب) ما يأتي:

أ ــ أهداف المكي والمدني :

لم يكن من اليسير أن يستطيع هذا القرآن الكريم أن ينقل الناس مما هم فيه من جهل وضلال، إلى نور الإسلام وهديه، دفعة واحدة، كما لم يكن من اليسير أن يسلموا قيادهم طفرة لهذا الدين الجديد، لولا أن عالجهم القرآن الكريم بحكمته، وأعطاهم من دوائه الناجع جرعات يستطبون بها من الفساد والرذيلة.

لذلك كان هدف القرآن من أول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، ان يسوس أولئك برفق وتؤدة، فأخذ يسير معهم حسب الحوادث والنوازل، فكان أن جاء القرآن المكي تأصيلاً، والمدني تفصيلاً، لاختلاف أحوال المسلمين وظروفهم بين مجتمعهم في مكة، ومجتمعهم في المدينة، حيث

راعى القرآن الكريم هذا الجانب في أهدافه في تربية الأمة في مكة والمدينة، ومن الممكن أن نستبين الفرق بين تربية المكي والمدني، ومراعاة حال الأمة فيما حواه كل من القرآن المكي والمدني من الخصائص والأساليب:

١ ـ الخصائص :

لم يكن إنزال القرآن بصورته المعروفة، حدثاً سهلاً، أو أمراً يسيراً. لقد أنزله تعالى ليهدي به البشرية، وينقلها مما ران عليها من زيغ وجهل وضلال، ونظراً لعظمة هذا الأمر وأهميته، قرن الله تعالى بالقرآن من الخصائص مايكون معيناً على قبوله، والامتثال لمناهجه، ومن ثم انتشاره بين الناس ونجاح دعوته، والوسائل التي رافقت نزول القرآن في ذلك كثيرة سبق الحديث عن بعضها، ومنها ماتضمنه القرآن المكي والمدني من الخصائص. حيث كان القوم في مكة في جاهلية تعمي وتصم، يعبدون الأوثان و يسجدون للأحجار، ويشركون بالله، ويكذّبون بيوم الدين، فكان أن بدأ القرآن الكريم بتناول أصول الإيمان بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإثبات البعث والجزاء والحساب وما فيه من جنة أو نار، مستعيناً في ذلك بأساليب التقرير، والمجادلة بالآيات الكونية، والبراهين العقلية في أنفسهم، وفي الكون كله، قال تعالى: « وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ » (سورة الذاريات ﴿٢١﴾).

واضعاً الأسس الراسخة، والقواعد الثابتة للتشريع والتربية، مع التنفير مما هم عليه من ضلال وشرك، حتى إذا ما انحلت عقدة الشرك، لأنها المصيبة العظمى، والطامة الكبرى، وتأسست هيبة الأخلاق العليا،بدأ الإسلام في تشريع الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات، حسب أحوال المجتمع، ومتطلبات الأمة مع دينها الجديد.

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي : «ولم يزل الرسول صلى الله عليه

وسلم يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم، ويذكي جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم تزيدهم رسوخاً في الدين، وعزوفاً عن الشهوات، وتفانياً في سبيل المرضاة، وحنيناً إلى الجنة، فما زال القرآن يأخذهم بهذا الأسلوب والرسول عليه السلام يربيهم تلك التربية الفريدة، حتى انحلت العقدة الكبرى ــ عقدة الشرك والكفر ــ فانحلت العقد كلها، وجاهدهم الرسول صلى الله عليه وسلم جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر أو نهي.

وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى، فكان النصر حليفه في كل معركة، وقد دخلوا في السلم كافّة، بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافّة، لايشاقون الرسول من بعدما تبين لهم الهدى، ولا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضي، ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر ونهي، حدثوا الرسول صلى الله عليه وسلم عما اختانوا أنفسهم، وعرضوا أجسادهم للعذاب الشديد إذا فرط منهم زلة استوجبت الحد، نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفقة على راحاتهم فحال أمر الله بينها وبين الشفاه المتلمظة، والأكباد المتقدة وكسرت دنان الخمر، فسالت سكك المدينة [1] ».

وكان من خصائص القرآن المكي بيان أصول الأخلاق، وحقوق الاجتماع بياناً عجيباً كره إليهم الكفر والفسوق، وما يحدثه من جهل وقذارة وفوضى، وحبب إليهم الإيمان والطاعة وما يثمره من المحبة والرحمة والإخلاص والبر وطهارة القلب وغير ذلك.

كما نجد القرآن المكي يكثر من قصّ أنباء الرسل، وأممهم السابقة ونتيجة عصيان أولئك وتكذيبهم أنبيائهم، وفي هذا أبلغ المواعظ، وأنفع العبر، وأنجح السبل لدخول الإيمان في قلوبهم، والامتثال لما سيكلفون به من أحكام وتشريعات فيما بعد ومن ثم الدخول في دين الله أفواجاً ونجاح الدعوة [2] .

(١) : نص : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٩٨.

(٢) : انظر : مناهل العرفان جـ١ ص ١٩٦.

والقرآن المكي كان ينزل بأصول العبادات والمعاملات، مراعاة لحال المخاطبين فلم يكن ممكناً أن يقبلوا أحكام الإسلام، ودقائق تشريعاته مرة واحدة، ولكن إذا قبلوا الأصول والأساسيات الكلية هانت الجزئيات بعد ذلك، ففي مكة شرعت الصلاة، وشرع الأصل للزكاة مقارناً بالربا « فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ » (سورة الروم ﴿٣٩﴾) ونزلت سورة الأنعام، وهي مكية تبين أصول الإيمان، وأدلة التوحيد وتندد بالشرك والمشركين، وتوضح مايحل وما يحرم من المطاعم ، داعية إلى صيانة حرمات الأموال والأعراض والدماء.

ثم استمر القرآن الكريم، يسير في خطه المرسوم، الذي يهدف إلى التدرج في تربية الأمة، والتسهيل عليهم، مما يرغبهم في هذا الدين، و يشرح به صدورهم لما جاءهم من الهدى والحق من ربهم، و يكون مهيأ لقبول بقية التشريعات والأحكام، و ييسر عمل الدعوة و يساعد في نجاحها في أوساط الناس، بطريقة فريدة، لم يشهد لها تاريخ البشر مثيلاً، عندما قام القرآن بتفصيل أحكامه التي أصلها عند بداية نزول القرآن فأصول المعاملات المدنية نزلت بمكة، وكذلك أسس العلاقات الأسرية، وأصل تحريم الزنا، وحرمة الدماء، كل أصول تلك الأحكام نزلت بمكة، أما تفاصيل أحكامها وحدودها ومقدار عقوباتها فنزلت بالمدينة. وان أوضح مثال للتدرج في التشريع والتربية هو تدرج القرآن في تحريم الخمر[1].

وهكذا كان من أهداف القرآن المكي التمهيد لتخليهم عن عقائدهم الباطلة، وعباداتهم الفاسدة، وعاداتهم المرذولة، ليمهد لكمال تحليهم بالعقائد الحقة، والعبادات الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، بعد أن يتخلوا عما هم عليه من شرك وجهل وضلال شيئاً فشيئاً، بسبب أسلوب القرآن التربوي الناجح

---

(١) : انظر: مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان — ص ١٢.

هذا، بنزوله عليهم بتلك الصورة، وكلما نجح معهم في هدم باطل، انتقل بهم إلى هدم آخر، وهكذا بدأ بالأهم ثم المهم، حتى انتهى بهم آخر الأمر عن تلك الأرجاس كلها فطهرهم منها وهم لايشعرون، بلا عنت ولا مشقة، وفطمهم عنها دون أن يرتكسوا في سابق فتنة أو عادة، وكانت تلك سياسة رشيدة، لابد منها في تربية هذه الأمة المجيدة[1].

وفي المدينة المنورة حيث تغيرت الحال عنها في مكة، وأصبح للمسلمين أمة ودولة، وكونوا مجتمعاً متميزاً مناسباً لتشريعات الإسلام بعد أن كان المسلمون في مكة لا يملكون من السلطان على أنفسهم، وعلى مجتمعهم مايستفرغون فيه تلك الأحكام، بعد ذلك نزلت تفصيلات الأحكام، وجزئيات الشرائع، فشرعت صلاة الجمعة بعد الهجرة[2].

وفي المدينة نزل تفاصيل أحكام المعاملات، كآية المداينة وآيات تحريم الربا، كما نزل بالمدينة تفاصيل آيات العلاقات الأسرية كحقوق الزوجين، وواجبات الزوجية، وآيات العشرة والطلاق والمواريث كما جاءت الآيات تفضح المنافقين، وتجادل أهل الكتاب كل تلك الجزئيات نزلت بالمدينة لتكتمل بها تربية الأمة، وتسمو بنفوسها إلى ماهو مطلوب من الإيمان والاخلاص وليكون ذلك عاملا مهماً من عوامل قبول الإسلام، والامتثال له وقبول منهجه، ونجاح الدعوة نجاحاً باهراً، على يدي أولئك القوم الأكارم، الذين رباهم القرآن بتلك الصورة، مما لايزال البشر يتفيأون ضلاله إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

---

(١) : انظر : مناهل العرفان جـ١ ص ٤٩.

(٢) : انظر : في ظلال القرآن جـ٢ مقدمة تفسير (سورة الأنعام) ومعالم في الطريق ص٢٠ (أكثر الروايات على أن المسلمين صلوا الجمعة بالمدينة قبل الهجرة النبوية حيث صلى بهم أسعد بن زرارة أو مصعب بن عمير كما في الرواية الأخرى).
انظر : تفسير القرطبي جـ٨ عند تفسير قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة.. الآية».

٢ ـ الأساليب :

إذا كانت هذه خصائص القرآن المكي والمدني، وهذه أهدافها في التربية، وهذا أثرها في نجاح الدعوة، فإن أساليب القرآن المكي والمدني التي هدف القرآن بها تربية الأمة، لا تقل عن تلك الخصائص في الأهمية نظراً لما كان لها من آثار، حيث اختلاف الأسلوب بين القرآن المكي والمدني يعتبر من الفوارق المهمة، بين القرآن المكي والمدني، ورغبة في اكتمال هذه الفقرة عن أهداف القرآن المكي والمدني خصصت هذه الجزئية لبيان بعض أساليب المكي والمدني وأثر ذلك في نجاح الدعوة.

في مكة عندما نزل القرآن الكريم، كان المشركون قد انغمسوا في الوثنية والشرك إلى حد يصعب نقلهم منه بسهولة، وكانوا مشهورين بالفصاحة والبيان، وكانت لغتهم وسيلتهم في التعبير، والخصومة وإبداء الرأي، والمدح والذم ـ شعراً ونثراً ـ فكان أن واجههم القرآن الكريم بسلاحهم الذي عهدوه، عندما وصل بهم الشرك إلى القول : « مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ » (سورة الجاثية ـ ٢٤) . فنزل المكي قوارع زاجرة لهم، وشهباً منذرة، وحججاً قاطعة، يحطم وثنيتهم، و يسفه أحلامهم، و يقيم الدلائل على النبوة، و يضرب الأمثلة للحياة الآخرة، وما فيها من جنة ونار، و يتحداهم على فصاحتهم أن يأتوا بمثله، و يسوق إليهم قصص الغابرين عبرة وذكرى[١] .

كما سلك القرآن المكي مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه، فجاءت السور المكية قصيرة الآيات، قصيرة السور، لأنهم أهل فصاحة ولسن، صناعتهم الكلام، وهمتهم البيان، فيناسبهم الإيجاز والإقلال، دون الاسهاب والاطناب، وفي ذلك تسهيلاً لحفظه وسرعة امتثاله، وانتشاره بينهم، مما يكون سبباً لقبوله، وعاملاً لنجاح الدعوة فيهم[٢] .

---

(١) : انظر : مباحث في علوم القرآن للقطان ص ٥٢.

(٢) : انظر : مناهل العرفان جـ١ ص ١٩٦.

ومن ناحية الألفاظ فإننا نجد في مكي القرآن ألفاظاً شديدة القرع على المسامع، تقذف حروفها شرر الوعيد، وألسنة العذاب، فكلا الرادعة الزاجرة، والصاخة والقارعة، والغاشية والواقعة، وألفاظ الهجاء في فواتح السور، وآيات التحدي في ثناياها[1].

وفي المدينة حين تكونت الجماعة المؤمنة، وامتحنت في عقيدتها، فصبرت وهاجرت، فراراً بالدين، وإيثاراً لما عند الله على متع الحياة، نرى الآيات المدنية طويلة المقاطع، ولطيفة الأسلوب، تتناول أحكام الإسلام وحدوده، تدعو إلى الجهاد والاستشهاد والعطف والانفاق والتأليف بين أفراد الأمة الواحدة.

وهكذا كان القرآن في تنزلاته في مكة والمدينة، مراعياً لحال المدعوين، وظروف استجابتهم، وفي هذا درس للدعاة بتذوق أساليب القرآن، والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله، ولكل مقام مقال، علاوة على أن مراعاة مقتضى حال المدعوين من أخص معاني البلاغة، وخصائص القرآن المكي والمدني وأساليبه تعطي الأمة منهجاً عملياً لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم حال المخاطبين، ويمتلك عليهم ألبابهم ومشاعرهم، ويعالج دخيلتهم بالحكمة البالغة، لأن لكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليبها، لاختلاف الخطاب باختلاف الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، ويبدو ذلك جلياً في أساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المشركين والمؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب، وهذا من أهم عوامل نجاح الدعوة إلى أبد الدهر.

ب ــ النسخ ودوره في قبول أحكام الإسلام :

كان الإنسان أكثر شيء جدلاً، وأصعب شيء مراسا، ولذلك يحتاج تغييره إلى جهد ووقت، ومن هنا: فلم يكن أمر نقل الأمة المسلمة من ذلك

---

(١) : انظر : مباحث في علوم القرآن للقطان ص ٥٣.

المجتمع الجاهلي، أمراً هيناً يمكن تحقيقه في أيام أو شهور، لذلك جعل الإسلام في منهجه، والقرآن الكريم في أسلوب تربيته، وطريقة دعوته مايحقق الهدف بالتدريج، وعلى المدى الطويل، فكان مجيء الناسخ والمنسوخ في القرآن شيئاً مهماً للتدرج بالأمة في التربية والمساعدة في تسهيل أحكام الإسلام وقبولها، ونجاح الدعوة عندما كان أمر نقلها من البؤرة الفاسدة أمراً شاقاً لما فيه من ترك عقائد موروثة، وعادات محبوبة، خاصة وقد عرف عند العرب التحمس والحمية لما يألفون، فاقتضت حاجة التربية، وحكمة إنجاح الدعوة في انطلاقتها التمشي بمهل في التشريع، وفقاً لمقتضيات عصبيتهم، وواقع حالهم.

فأخذ القرآن يتلطف معهم، ويسير بهم، حسبما ينفعهم، ويقرب من تباعدهم، ويكف من جموحهم، متنقلاً بهم بين السهل والصعب، حتى تم الأمر ونجح القرآن نجاحاً باهراً لم يحدث في البشرية مثله، في سرعة انتشار الإسلام، وامتزاج النفوس به. ولو أن الإسلام أخذهم في تربيته بهذا الدين مرة واحدة، لأدى ذلك إلى نقيض المقصود، ومات الإسلام في مهده، ولم يجد أنصاراً يعتقدونه، ويدافعون عنه، لأن الطفرة من نوع المستحيل الذي لايطيقه الإنسان، فكان أن جاءتهم هذه الدعوة تمشي على مهل، متألفة لهم، متلطفة معهم، متدرجة بهم إلى الكمال رويداً رويداً، حتى قبولها، ونجحت فيهم، وانتصروا بها عندما قبلوها، ثم نشروها ودافعوا عنها.

والنسخ الذي له هذا الدور في تربية الأمة، وقع بالشريعة الإسلامية ووقع فيها، على معنى أن الله تعالى اقتضى الله بحكمته أن ينسخ بالإسلام كل دين سبقه، كما اقتضى الله بحكمته نسخ بعض أحكام هذا الدين ببعض حسبما تقتضيه ضرورة التربية والتشريع، كما سبق آنفاً.

وبيان ذلك أن اقتضى الله بحكمته أن ينسخ به الأديان كلها، لأن تشريعه تعالى أكمل تشريع يفي بحاجات الإنسانية في مرحلتها التي انتهت إليها، بعد أن بلغت أشدها واستوت، وبعد أن مرَّ النوع الإنساني في حياته

بأطوار مختلفة، تقلب فيها كتقلب الطفل، لكل طور مايناسبه من الشرائع، حتى مابلغ العالم أوان نضجه واستوائه، جاء هذا الدين الحنيف خاتماً للأديان، متمماً للشرائع، جامعاً لعناصر الحيوية، ومصالح الإنسانية، محققاً لمطالبها فنسخ الأديان قبله.

وأما حكمة الله في نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض، فترجع إلى سياسة الإسلام الراشدة في تربية الأمة، وتعهدها بما يرقيها ويمحصها.

تتجلى حكمة ذلك فيما إذا كان الحكم الناسخ أصعب من المنسوخ، كموقف الإسلام، في سموه ونبله، وتربيته في تحريم الخمر، بعد أن كانت مشكلة معقدة كل التعقيد، عندما كانوا يحتسونها بصورة تكاد إجتماعية ولا يأتونها على أنها عادة مجردة، بل على أنها أمارة القوة، ومظهر الفتوة، وعنوان الشهامة!

هل كان معقولاً أن ينجح الإسلام في فطامهم عنها لو لم يتألفهم ويتطلف بهم؟ إلى درجة أن يمتن بها عليهم في أول الأمر، كأنه يشاركهم في شعورهم، وإلى حد أنه أبى أن يحرمها عليهم في وقت استعدت فيه بعض الأفكار لتسمع كلمة تحريمه، حين سألوه صلى الله عيله وسلم: « يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ» (سورة البقرة ــ ٢١٩).

أما الحكمة من نسخ الحكم الأصعب بما هو أسهل منه فالتخفيف على الناس ترغيباً لهم، وتيسيراً عليهم، وإظهاراً لفضله عليهم ورحمته بهم، مما يدفع إلى الدخول في هذا الدين، والاستجابة له، ومن ثم نشره والدفاع عنه والجهاد دونه، وهذا مما يساعد في نجاح الدعوة وقبولها [١].

وهكذا يظهر جلياً أثر تدرج القرآن في الخطاب والتربية في نجاح الدعوة بإقبال الناس عليها في بادىء الأمر، وبالثبات عليها بعد الدخول فيها.

---

(١) : انظر: مناهل العرفان جـ٢ ص ٩٠ وما بعدها.

العامل الثالث : المبادىء والأصول القرآنية :

لما كان القرآن الكريم، كتاب الدعوة، ومحور معجزتها، وأساس انتصارها ونجاحها، فقد جاء يحمل للناس مبادىء عامة، وأصولاً ثابتة لشؤون حياتهم جميعاً، لأنه جاء لهداية النوع البشري أجمعه في كل زمان ومكان، وحيث سبق أن ذكرت في تعريف الدعوة **«أنها الإسلام من حيث المبادىء، والقيام بنشره وجذب الناس إليه بالوسيلة المناسبة»**.

ولذلك تتبين علاقة تلك المبادىء والأصول التي جاء بها القرآن بالدعوة، وبوسائل نشرها وبأساليب نجاحها، حيث أن ثبات تلك المبادىء، تبعه ثبات الدعوة، ورسوخ مبادئها مما أتاح لها فرصة النجاح، مصداقاً لقول الحق تعالى: « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ » (سورة إبراهيم ﴿٢٦﴾).

والدعوة الإسلامية بذلك تخالف المذاهب الوضعية، التي تشبه الكلمة الخبيثة، التي لا تمكث أن تتكشف أمام الناس بزيفها، ويسقط عنها القناع، وتنهزم أمام الحق، وجحافل الهداية لأنه لا أصل لها ولا ثبات فيها، ولأنها أقيمت على الزيف والضلال والمكر والخداع أما الحقائق فهي الثابتة دوماً « كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ». (سورة الرعد ﴿١٧﴾).

والقرآن الكريم بتلك المبادىء الثابتة التي ساعدت في نجاح الدعوة، قد راعى أحوال الناس، وتباين طباعهم، واختلاف اجتماعهم، حيث أن مايصلح لزمن قد لايصلح لغيره، كما أن ما يصلح لمجتمع قد لايصلح لمجتمع آخر، فجاء تركيز القرآن في أحكامه وتشريعاته على المبادىء العامة،

والأصول الكلية، قال الأستاذ (المودودي[1]) رحمه الله: «القرآن الكريم ليس هو كتاب جزئيات بل هو كتاب المبادىء والقواعد الكلية، ومهمته الحقيقية أن يعرض الأسس الفكريه والخلقية للنظام الإسلامي بوضوح، ثم يثبتها تثبيتاً قوياً بكلا الطريقتين: التدليل العقلي، والتحريض العاطفي.

أما ما يتعلق بالصورة العملية للحياة الإسلامية فإنه لايرشد الإنسان إليها بوضع قوانين وأنظمة تفصيلية عن كل ناحية من نواحي الحياة، بل إنه حدد الحدود الأساسية لكل شعبة من شعب الحياة، ونصب معالم جلية في بعض النواحي تشير إلى خطوط عريضة يجب أن تؤسس عليها هذه وهي مرضاة الله [2]» أهـ.

ونستطيع أن نجمل تلك المبادىء التي كان لها عظيم الأثر في نجاح دعوة الإسلام في الآتي:

١ ــ في العقائد :

إنما كان أمر العقيدة أول اهتمامات القرآن الكريم، حيث ظل القرآن المكي ثلاثة عشر عاماً يتنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، يكثر من الحديث عن هذه القضية، وإن اختلفت طريقة عرضها، لأن العقيدة هي قضيه الإنسان لا تتغير، لكونها قضية وجوده، وقضية مصيره، ونظراً لقوة هذه العلاقة بين الإنسان والعقيدة، جعل منه القرآن الكريم وسيلة لتقرير العقيدة وتصحيحها، بواسطة تفسير سر خلق الإنسان وأصله، وسر وجوده،

---

(١) : المودودى : أبو الأعلى بن أحمد بن حسن المودودى. ولد سنة ١٣٢١هـ بولاية(حيدر أباد) سليل أسرة عريقة، نشأ في بيت علم وفضل مما مكنه من أن يكون في مقدمة مفكرى القرن المنصرم. له مؤلفات كثيرة، كما له جهود مشكورة في الذود عن الإسلام ومبادئه خاصة في القارة الهندية. توفى في أواخر سنة ١٣٩٩هـ. انظر، كتاب أبو الأعلى المودودى صفحات من حياته وجهاده ــ أحمد ادريس ــ الطبعة الأولى ص ١٩٠.

(٢) : النص : في كتاب مبادىء أساسية لفهم القرآن ص ٦٣. ترجمة خليل الحامدى الطبعة الثالثة ــ ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م.

ووجود الكون من حوله، بطريقة فريدة، مستحسنة، ترغبه في الحق، وتجتذبه إلى الهدى، بواسطة ذلك: فن هو؟ ومن أين جاء؟ وإلى أين يذهب في نهاية المطاف؟ من الذي جاء به من العدم وأعطاه من النعم؟ ومن الذي يذهب به، وما مصيره هناك؟ ومن الذي أنشأ هذا الوجود المليء بالأسرار؟ من الذي يدبره؟ إلى نهاية الاستفسارات التي تثير التساؤل والبحث، حتى يصل إلى الحقيقة والجواب الصحيح، عن كل هذا، إنه الله المستحق أن يعبد وحده[1] .

وأدلة ذلك من القرآن الكريم أكثر من أن تحصر، وهذا المنهج للدعوة الذي جاء به القرآن الكريم، قد حقق لها أسباب النجاح، حيث كشفت تلك الحقائق للناس عن طرف من أسرار الوجود وعظمته، وجلال موجده المستحق أن يشكر بالعبادة وحده دون سواه.

ولذلك فدعاة الإسلام في كل مكان مطالبون بتطبيق ذلك الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في دعوته ومبادئها.

فكان إصلاح القرآن للعقيدة بتقرير مبدأ الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر خيره وشره، وتقرير مبدأ ما اختص الله تعالى نفسه من صفات الكمال. مصداقاً لقوله تعالى: « لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ » (سورة الشورى ﴿١١﴾).

وتقرير حقيقة الإسلام، وقواعده وأركانه وهي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإيقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام[2] .

وكذلك إيراد الدلائل القطعية على البعث بعد الموت والجزاء والحساب

---

(١) : انظر في ظلال القرآن جـ٢ ص ١٠٠٤.

(٢) : انظر كتاب الايمان لابن تمية ص ٣ ــ منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.

والجنة والنار، وإقامة الحجج والبراهين الواضحة الثابتة على ذلك لاستئصال العقائد الوثنية، واستبدال عقيدة الإيمان والإسلام بها[1].

فكانت قواعد الدعوة تلك قوية ثابتة ، بعد أن جاء القرآن الكريم بهذا التقرير لينشيء أساساً هاماً من أسس الدعوة، وعاملاً مهماً من عوامل نجاحها بعد تقرير الهدف من خلق الثقلين، وهو عبادته تعالى، فكان أن أخذت الدعوة في مبادئها (المتمثلة في القرآن الكريم) بالأهم فالمهم وهو واقع الدعوة خاصة في مكة.

٢ ـ في الأخلاق :

القرآن الكريم كتاب تشريع وتربية، فلم يكن مستغرباً اهتمامه بالأخلاق والحث على محاسنها بعد اهتمامه بالعقيدة وإصلاحها، لأن في ذلك صلاح الفرد والمجتمع، فكان للجانب الأخلاقي في مباديء القرآن أهمية فائقة، واعتنى به عناية بالغة.

والقرآن الكريم وإن وافق غيره من الكتب السماوية في الاهتمام بالعقيدة والأخلاق وإصلاحها، فقد زاد على الكتب السابقة حيث أنه آخر الكتب المنزلة ورسولنا صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه القرآن آخر الأنبياء، فلم يكتف بالحث على الأخلاق، والأمر بالتحلي بأسماها، بل جاء بالقواعد الثابتة والمباديء السامية، التي تدل على أهمية العنصر الأخلاقي في الدعوة الاسلامية، لتواتر الأدلة على الأمر بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، وأثر ذلك في ميزان الله تعالى.

يقول الأستاذ سيد قطب: «والناظر في هذه العقيدة يجد العنصر الأخلاقي بارزاً أصيلاً فيها، تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء، الدعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطهارة والنظافة

---

(١) : انظر مباحث في علوم القرآن للقطان ـ ص١١.

وألامانة والصدق والعدل والرحمة إلى آخر التشريعات في هذه العقيدة التي جاءت لحماية هذه الأسس، وصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور والسلوك، وفي أعماق الأعماق الضمير، وفي واقع المجتمع، وفي العلاقات الفردية والجماعية والدولية على السواء [1].

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يلخص رسالته في هذا الهدف النبيل عندما قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[2] ». وفي رواية «صالح الأخلاق».

وإضافة ما ورد من الأحاديث الكثيرة التي تحض على كل خلق كريم، ففي سيرته الشخصية وتصرفاته العملية، مثالاً حياً وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق شهادة المولى له في كتابه الكريم « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (سورة القلم ــ ٤) ولا يخفى الأثر الكبير لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وما وهبه الله تعالى من خلق عظيم في إنجاح الدعوة الإسلامية.

قال الإمام الغزالي : «فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين، وثمرة مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين[3] ».

وكذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعون لهم بإحسان ممن كانوا يتخلقون بأخلاق القرآن العالية، مثالاً للسلم الحق، الذي يجاهد في سبيل نشر هذه الدعوة، بسلاح الأخلاق الكريمة والآداب النبيلة، فكان خلقهم هذا من الأسباب البارزة في نجاح الدعوة.

---

(١) : نص في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٦٥٧.

(٢) : رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه جـ ١٠ ص ٦٠ ــ رواه البيهقي في الشعب ــ والحاكم في المستدرك (وقال صحيح على شرط مسلم).
كما رواه البخارى في الأدب المفرد عن أبي هريرة.

(٣) : احياء علوم الدين جـ٣ ص ٤٩.

كما كان من أصول القرآن السامية، ومبادئه العامة، ومقاصده النبيلة إصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلى فضائلها، وتنفيرهم من رذائلها، فأمر بمحاسن الأخلاق التي تزكو بها النفس، و يستقيم عوجها، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ليقتلع جدور الفساد والشر، مبيناً في ذلك قواعد الحلال والحرام، ليتحقق بذلك المجتمع المسلم، المستنير بنور الله، المهتدي بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، المتخلق بأخلاق القرآن، المجاهد في سبيل دينه، الناشر لدعوته[1] .

وهكذا عمل منهج القرآن الفريد عمله، عندما نقل المجتمع من جاهلية منحطة في سلوكها وأخلاقها، إلى أمة مثالية يقتدى بها، وتقتفي خطاها، فكان أن أقبل الناس على الإسلام، ونجحت الدعوة الإسلامية نجاحاً باهراً.

٣ ــ في العبادات :

قلنا فيما سبق أن القرآن الكريم كان أول إهتماماته تثبيت العقيدة وقواعدها لأنها القاعدة لكل الأعمال الأخرى، فالقرآن الكريم بعد تثبت العقيدة وضع القواعد الأساسية للعبادات، لكون العقيدة بمنزلة الأساس والقاعدة في البناء، والعبادة بمنزلة البناء فوقه، فلابد لصلاح البناء وسلامته من سلامة القاعدة وصلاحها، لهذا كانت العبادة عمارة الكون والحياة، وهي الصلة بين البشر وخالقهم، فكلما اضطربت العبادة اختلت الصلة بين العباد ومن يعبدونه[2] .

والعبادة هي الغاية من خلق الثقلين، قال تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (سورة الذاريات ــ ٥٦). وإذا كانت العبادة بتلك المنزلة، فليس مستغرباً أن يهتم بها القرآن الكريم و يسعى إلى مايثبت

---

(١) : انظر : مناهل العرفان للزرقاني جـ٢ ص ٢٤٧.
وكتاب (دراسات إسلامية) لسيد قطب ــ الطبعة الثالثة ص ٤٧ وما بعدها.

(٢) : انظر : كتاب (مفاهيم إسلامية) للمودودى ص ١٢.

قواعدها، ليستقيم بنيانها، وتكون عبادة صحيحة، سالمة من أي اضطراب، يخل بأي جانب من جوانبها، فكان لسلامة قواعد ومباديء العبادة أعظم الآثار في ثبات الدعوة، وترويض الدعاة على نشر هذه الدعوة والدفاع عنها، ونجاحها في أوساط الناس.

ولابد من الإشارة البسيطة إلى الطريقة التي سلكها القرآن في تثبيت بعض العبادات، كأمثلة على حرص القرآن على إصلاح أصول العبادات لما في ذلك من قبول للدعوة الإسلامية، وانقياد لمنهجها، فلقد جاء القرآن الكريم بقواعد عامة، وأصول ثابتة لإصلاح العبادات، عن طريق إرشاد الخلق إلى مايزكي النفس، ويغذي الروح، ويقوّم الإرادة، ويفيد المجموع، حيث بدأ بفريضة الصلاة لأنها عمود الدين، ففرضها في أول العهد المكي، ثم زادها إلى خمس صلوات قبل الهجرة بسنوات قليلة، وثنى بالزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة، وختم بالحج بعدما أن ألفت النفوس جميل شرائعه، واطمأنت إلى سلامة أحكامه، فأقبلت عليه، وانقادت لدعوته طائعة مختارة، وكان أن ثبتت عليه عندما ابتليت فيه، وجاهدت دونه وفي سبيله عندما استقامت عليه، فنجحت الدعوة نجاحاً لم تشهده دعوة أخرى.

ومسلك القرآن في العبادات المحضة، هو مسلكه فيما يدخل في العبادات من العادات حيث زجرهم عن الكبائر، وشدد على التنكير فيها، فابتدأ في تحريم ماكان متأصلاً في النفوس من الموبقات والمفاسد الضارة، كالخمر والميسر والزنى وغيرها[1] .

فاستطاع القرآن الكريم بهذا الأسلوب تهيئة الأجواء اللآزمة لانجاح الدعوة بعد ذلك.

---

(١) : انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص ٤٩، جـ٢ ص ٢٤٧.

٤ ــ في المعاملات :

لقد أنزل الله تعالى، هذا القرآن الكريم، لينشيء به أمة ولينظم به مجتمعاً، ولينشر به الدعوة، وليحدد به الروابط بين المجتمع، لذلك نجد القرآن الكريم يرسي قواعد ثابتة، وأسساً قوية لهذا الهدف، ليتمكن المسلم بواسطتها من ضبط حياته، وتصرفه في تعامله مع غيره من الأهل الأقربين، والعشيرة الأبعدين، ومع الأصدقاء والأعداء بعد أن ينظم علاقته بخالقه وموجده تعالى. فجاء القرآن الكريم بمنهاج واضح وقاعدة ثابتة، وأسلوب دقيق للتعامل والمعاملات، بأن ربط تلك التصرفات بالله تعالى، وجعل الثواب العظيم، والخير الجزيل لمن سلك منهج الله فيها، وجعل العقاب الشديد، والشر المستطير، لمن حاد على منهج الله مما يحقق تثبيت العقيدة، و يكفل الاحترام المتبادل، ويعلي دعوة الله تعالى، ويسعد الأمة جمعاء.

وما أصدق التعبير القرآني في هذا المعنى عندما جعل القاعدة للتعامل بين الناس، ماتصلح بها حياة البشر، ويقوم عليها عمران الكون، وهي: قاعدة الوفاء بالعهود والعقود، قال تعالى: « وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا » (سورة الإسراء ــ ٣٤).

ولم يختل المجتمع المسلم، ويهتدم بنيانه، و يتقاعس المسلمون عن واجب الدعوة إلى الله، وتنتشر دعوات الضلال، إلا بعدما ابتعد المسلمون عن منهج القرآن في التعامل، وأصبح المسلمون في أكثر المجتمعات لا ينظرون للتعامل إلا من زاوية ضيقة زاوية المصالح الفردية، والسعي إلى تحقيق المكسب المادي، وإن كان عن طريق الحرام، وغيره من الطرق التي نهى عنها القرآن، ولذلك لن يقوم للمسلمين قائمة، ولن تنتشر الدعوة ويحصل للمسلمين الفوز والتمكن الذي وعدهم إياه تعالى، إلا بعد الرجوع إلى منهج القرآن الكريم في التعامل، وهو منهج الوفاء بالعقود والعهود، وفق مراد الله تعالى.

كما كان من أهم الأصول الثابتة، والمبادىء العامة التي جاء بها القرآن

لإصلاح المجتمع، بواسطة تثبيت مبادىء التعامل، تقرير العدل المطلق، وضرورة التزام المساواة بين الناس في التعامل، والقضاء على أي فارق سوى التقوى، قال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (سورة الحجرات ١٣).

وتحقيقاً لمصلحة الأمة التي تسعى إليها الدعوة أقام القرآن الكريم قواعد تعامله على أساس مراعاة الفضائل، وتحقيق المصالح في أحكام المعاملات والعلاقات التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، فحث على الوفاء بالعهود، وأمر باجتناب الرذائل من ظلم وغيره، بل وحذر من عواقب نقض العقود والكذب والخيانة، وأكل أموال لناس بينهم بالباطل كالرشوة والربا والخرافات لما في تحقيق منهج الله تعالى الذي تضمنه القرآن الكريم في ذلك من صلاح للمجتمع، وحفظ حقوقه، بعد أن جاء القرآن الكريم بالقواعد والمبادىء التي تصلح الفرد في عقيدته وعلاقته بربه، وتحفظ حقه وحق غيره في تعامله مع الغير[1].

فالدعوة الإسلامية تسعى إلى نشر تلك المبادىء وتثبيتها، بعد أن جاء بها القرآن الكريم، وعرف الناس قيمة تلك المبادىء في حفظ حقوقهم، ورعاية مصالحهم، وأثر ذلك في حياتهم، فقبلوها، ومن ثم ثبتوا عليها، وقاتلوا في سبيل نشرها، بعد أن طبقوها في سلوكهم، فكان ذلك من أسباب نجاح الدعوة.

ومفهوم العقود التي جاء المبدأ القرآني بحفظها والوفاء بها، يدخل فيها كل تصرف يصدر من المسلم سواء كان عبادة أو معاملة.

يقول سيد قطب - : «إن لكلمة العقود معنى أوسع

---

(١) : انظر مناهل العرفان جـ ٢ ص ٢٤٨.

من المعنى الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، و يكشف عن ان المقصود بالعقود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله.

وعلى عقد الإيمان بالله، والعبودية لله تقوم سائر العقود سواء مايختص منها بكل أمر وكل نهي في شريعة الله، وما يتعلق بكل المعاملات مع الناس والأحياء والأشياء في هذا الكون في حدود ماشرع الله.

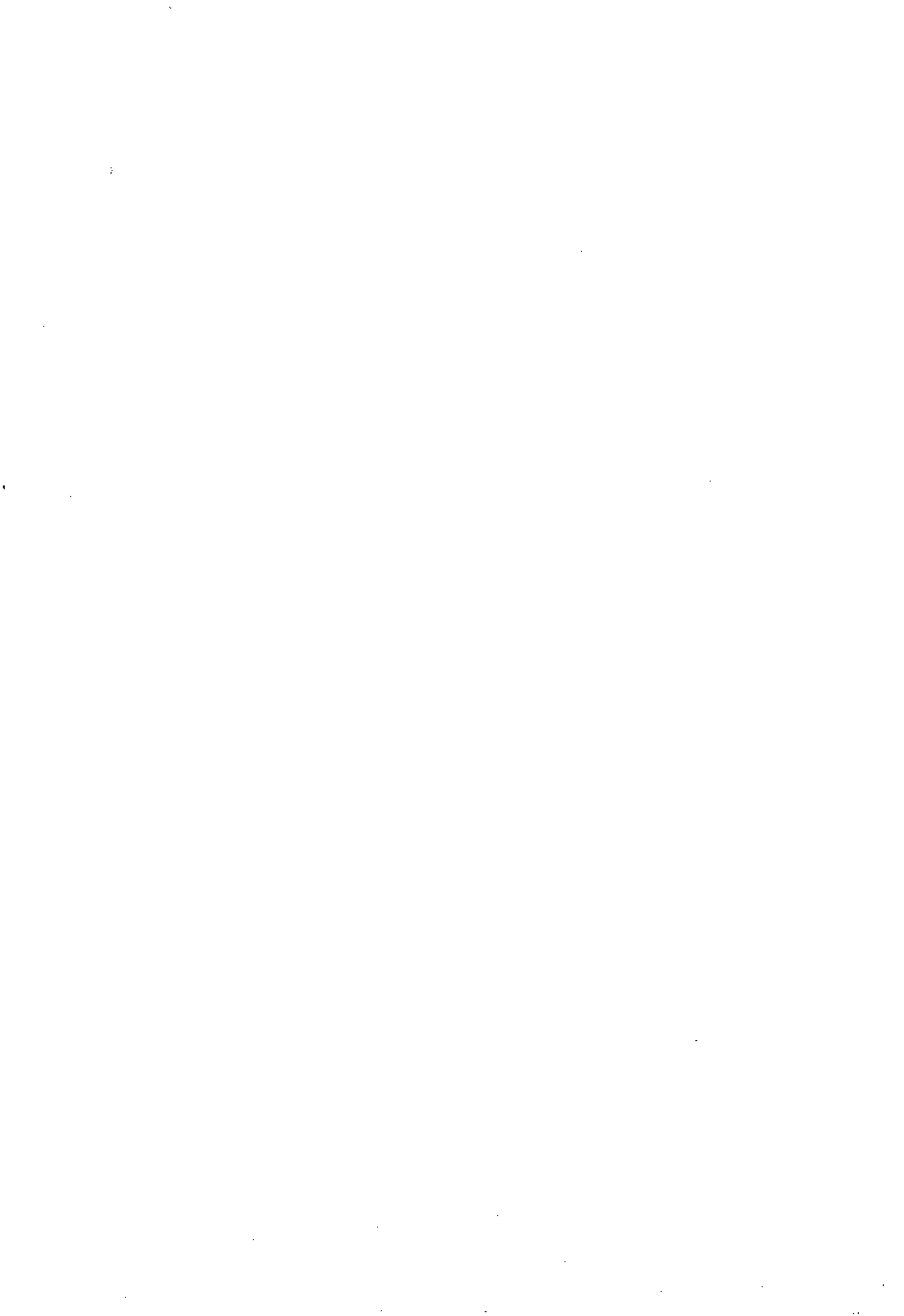
فكل هذه عقود ينادي الله الذين آمنوا بصفتهم هذه أن يوفوا بها إذ أن صفة الإيمان ملزمة لهم بهذا الوفاء، مستحثة لهم كذلك على الوفاء[1] ».

وأخيراً فهذه مبادىء الإسلام، وأصوله الثابتة في نطاق العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات التي جاء بها القرآن الكريم، لينير للناس طريق هدايتهم، و يتبعوا ما أمرهم به ربهم لتحصل لهم السعادة والفوز، إذا اتبعوا تلك القواعد والأصول وساروا على هداها من كتاب الله «الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ » (أول سورة هود).

وصدق الله العظيم حين وصف شرعه الحكيم، فقال: « ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ » (سورة المائدة ۝٣).

---

(١) : نص في ظلال القرآن جـ٢ ص ٨٣٥.
(وأنا لا أوافق كاتبنا الكبير في التفريق بين الايمان بالله والعبودية لله، لأنه لا ايمان بالله إذا لم يكن هناك عبودية).



الفصل الثالث

العوامل الذاتية في الدعاء

العامـــل الأول : شخصيته صلى الله عليه وسلم .

« الثاني : حكمته وحسن إعداده للدعوة .

« الثالث : نوعية الصحابة الذين رباهم .

« الرابـــع : تضحيتهم وجهـــادهم .

* * *



تمهيد

من المؤكد أن لدعاة الإسلام، ولأخلاقهم وتصرفاتهم أعظم الأثر في نجاح الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان، لأن الله تعالى شاء أن يجعل للبشر دوراً هاماً في نشر الدعوة الإسلامية وبيانها للناس، فأصبح دعاة الإسلام هم المنظار الذي يرى به غير المسلمين الدعوة الإسلامية، والدين الإسلامي الحنيف، ويصلون بواسطتهم إلى حقيقة الدعوة، و يسبرون غورها.

ولعله لن يغيب عن البال أثر التجار المسلمين، بسبب حسن سلوكهم وطيب تعاملهم، مع غيرهم في نشر الإسلام في بعض بلاد الصين وأندونيسيا وغيرها من البلاد، عندما طبقوا الإسلام في جميع تصرفاتهم.

لذلك نجد الرسول ــ عليه السلام ــ وهو إمام الدعاة الخبير بأصول الدعوة، العارف لوسائلها كان في سلوكه، وأخلاقه أكبر نموذج للمسلم الحق، المطبق لما يدعو إليه، كما أن أصحابه رضوان الله عليهم، قد أخذوا منه القدوة الحسنة والنموذج المحتذى، في جميع تصرفاتهم، امتثالاً لقوله تعالى : « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا » (سورة الأحزاب ٢١).

حيث كان لاقتدائهم برسولهم ــ عليه السلام ــ أعظم الأثر في نجاح الدعوة. ولما كنا نتحدث عن أسباب نجاح الدعوة الإسلامية، كان لزاماً علينا أن نتحدث عن هذا الجانب الهام من أسباب نجاحها، أعني العوامل الذاتية في الدعاة أنفسهم.

فأفردت هذا الفصل من الكتاب للحديث عن شخصيته صلى الله عليه وسلم، وحكمته في الدعوة، وإعداده لها، كما خصصت جزءاً من هذا الفصل

للحديث عن أولئك الرجال الذين رباهم ـ عليه السلام ـ وذكرت بعض النماذج الرائعة من تضحياتهم وجهادهم، في سبيل الدعوة، ونشرها والذود عنها. وما كان لذلك من أثر في نجاح الدعوة.

العامل الأول : شخصيته صلى الله عليه وسلم :

الحديث عن شخصيته كان لها دورها في حياة الأمم والشعوب، ليس بالأمر الهين، الذي يمكن البحث في جوانبه، والإلمام بمحتواه بسهولة و يسر، فما بالك إذا كان الحديث عن أفضل البشر، وأكرم الخلق، وخاتم النبيين وأفضلهم صلى الله عليه وسلم، الذي زكاه رب العالمين، في كتابه المبين.

وجعل ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين، فقال عز شأنه،: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (سورة القلم ﴿٤﴾).

فالحديث عن شخصية ما، يكون غالباً بدراسة مابرز فيه ذلك الشخص من صفة، أو بعض من الصفات المحدودة التي ميزته على أقرانه، والحديث عنها، فإننا عندما نتحدث عن شخصية قائد بعينه نتعرض إلى الخلال والخصائل التي برز فيها من ناحية تفوقه أو عبقريته في الجانب الذي برز فيه، وهو كونه قائداً شجاعاً يستطيع تحقيق النصر، بما أعطاه الله من مقدرة على حسن التخطيط العسكري، والسيطرة على جنده، وغير ذلك من الميزات الواجب توفرها في القائد العسكري، وعندما نتحدث عن داعية ما، نتحدث عما منحه الله تعالى من قوة البيان، ومقدرة على مخاطبة الناس بقدر عقولهم، وحسب أحوالهم، لاجتذاب أكبر قدر منهم، بطريقة الداعية الواعي الملهم، آخذاً بذلك بأيسر السبل، و بكل وسيلة مستطاعة، وهكذا دواليك.

أما عندما نتحدث عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، وشمائله الكريمة، فالأمر يختلف تماماً لأن مجال البحث وضروراته تلزمنا بالتحدث عن فضائل أشخاص مجموعة في شخصه صلى الله عليه وسلم، فالحديث عنه أولاً في كونه رسولاً، مرسلاً من الله بشيراً ونذيراً،

ونتحدث عنه باعتباره داعية وإمام للدعاة، ومبلغاً عن ربه تعالى، ونتحدث عنه من كونه خطيب بليغ، ونتحدث عنه من كونه فقيه بارع، وقائد محنك، وإنسان متواضع لله عابد ناسك، ونتحدث عنه أباً وزوجاً، ورب أسرة، ومربي أمة.

كما نتحدث عن سماحته وكرمه حتى مع خصومه، ونتحدث عن محمد السياسي الفذ، والإداري الناجح، إلى آخر تلك الصفات والخصائص التي تواترت أدلة ثبوتها وهي من الاستفاضة والكثرة، أشهر من أن نسوقها هنا[(١)].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ أعلى مراتب الكمال المقدورة للبشر، ولم يصل إلى درجته بشر قبله ولا بعده، ورسول الله لم يكن عبقرياً فقط لأن شخصيته فوق العبقرية لأن الرسالة التي بعث بها لا ترجع إلى ذاته، وإنما هي منحة وفضل من الله تعالى يهبه لمن اصطفاه.

ثم برز الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغ الكمال المقدور للبشر، في كل جوانب شخصيته، فهو ليس عبقرياً[(٢)] على نمط البشر، وإنما هو رجل جمع له الكمال من طرفيه : الوهبي والكسبي.

وإذا كان القرآن الكريم ـــ كما سبق ـــ المعجزة الكبرى للدعوة فهو صلى الله عليه وسلم المعجزة الأخرى لها كونه جمع كل الصفات المتوفرة للرسل قبله من: حسن الخلق، والصدق ورجاحة العقل، والحلم والصبر والعفة، وغيرها. إضافة إلى وقوع ما بشر به، وأخبر عنه في المستقبل، وما منحه الرب من المعجزات، وخوارق العادات التي يوقعها تعالى بقدرته على يدي رسله، وتميز بتشريف الله بزيادة الفضل، وعلو المكانة، حيث جعل الله

---

(١) : انظر : كتاب عبقرية محمد للعقاد طبعة ١٣٨٦هـ ـــ ١٩٦٦م. بيروت.
ص ١١ وما بعدها.

(٢) : العبقري صفة لكل مابولغ في وصفه، وعبقري القوم سيدهم، وقيل العبقري الذي ليس فوقه شيء انظر : لسان العرب جـ٢ ص ٥٣٥ (ومن هذا يفهم عدم صحة ما ذهب إليه العقاد عندما الف كتاب ـــ عبقرية محمد ـــ لأنه أن وصف غيره صلى الله عليه وسلم بالعبقرية فهولا لأن مابه من خصائص وميزات هبه علويه من الله تعالى)

رسالته عامة لبني البشر، وعندما ينظر المرء لتلك الميزات والخصائص بميزان العقل، ومنظار الفطرة السليمة، التي فطر الله الناس عليها، لايسعه إلا التصديق بأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله حقاً لكل البشر.

ونحن في هذه العجالة لا نستطيع متابعة كل صفاته وشمائله صلى الله عليه وسلم، واستجلاء خصائصها، لقصورنا أولاً، وللإيجاز الذي يفرضه ظروف البحث ثانياً.

لأن الحديث عن كل ذلك يحتاج إلى أسفار ومجلدات كثيرة، ولكن إذا لم نستطع لمس هذا الكمال، فلا أقل من أن نشير إليه بأطراف الأصابع إجلالاً وتقديراً، ولذلك سأكتفي بإيراد شيء يسير عن شخصيته صلى الله عليه وسلم مع يقيني بأن ما أذكره لا يساوي شيئاً، من حقه العظيم، كما أن ما نقوله لا يساوي شيئاً بالنسبة إلى شهادة الله تعالى له، وثنائه عليه في مثل قوله عز وجل: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (سورة القلم ﴿٤﴾).

وسأحصر حديثي في هذا المبحث في بعض صفاته صلى الله عليه وسلم: كحسن الخلق، وعلو المكانة، والمثابرة والكفاح، وغيرها من الصفات التي كانت من الأسباب المؤثرة في نجاح الدعوة وقبولها وانتشارها.

أ ـــ حسن الخلــق :

ليس من شك أن حسن الخلق، من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المرء، وخاصة دعاة الإسلام.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان قدوة، ومثالاً فريداً في خلقه، وحسن تعامله مع نفسه أولاً، ومع ربه تعالى، ومع عباد الله كذلك.

فالله تعالى الذي اختاره لأمانة وحيه، ولتبليغ دعوته قد أعطى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق مالم يعط بشراً سواه. والقرآن الكريم قد جلى لنا وأبان بكل وضوح كيف كان خلقه صلى الله

عليه وسلم، في قوله تعالى: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (سورة القلم ﴿٤﴾).

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد وضح الهدف النبيل، والغرض السامي من بعثه فيما رواه أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وفي رواية «صالح الأخلاق»[1].

كما وردت أحاديث أخرى كثيرة عن حسن خلقه صلى الله عليه وسلم يصعب ذكرها هنا.

وإذا كان الأمر كذلك فمن البديهي أن يكون صلى الله عليه وسلم أتم الناس خلقاً، لأن من به نقص أو عيب لايصلح للقيام بمهمة إتمام الأخلاق «لأن فاقد الشيء لا يعطيه» كما يقال.

فقد اجتمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كل الفضائل، وتنزه عن كل المعايب، لأن الله تعالى اصطفاه من خلقه، لتبليغ رسالته، فطهره من الأرجاس، وحفظه من كل سوء، وعلمه وهذبه، ليكون قدوة للبشر، كما أخبر بذلك القرآن الكريم، في قوله تعالى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا » (سورة الأحزاب ﴿٢١﴾).

ولقد أكمل الله تعالى لرسوله ــ عليه السلام ــ المحاسن خَلْقاً وخُلُقاً، وجمع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً.

قال القاضي عياض رحمه الله: «إعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جُمَل قدره العظيم، أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان:

---

(١) : رواه الإمام أحمد في المسند جـ١٠ ص ٦٠. ورواه البيهقي في شعب الايمان، والحاكم في المستدرك. (وقال : صحيح على شرط مسلم).
كما رواه البخاري في الأدب المفرد وكلها برواية أبي هريرة.

١ ــ ضروري دنيوي اقتضته الجبلة ، وضرورة الحياة .

٢ ــ مكتسب ديني وهو مايحمد فاعله، و يقرب إلى الله تعالى زلفى، ثم هي على فئتين أيضاً منها مايتخلص لأحد الوضعين، ومنها ما يتمازج و يتداخل، فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ماكان في جبلته من كمال خلقه، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركته.

وأما المكتسبة الأخروية، فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية من الدين والعلم، والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياة والمروءة والصمت والتؤدة والكرم والوفاء والرحمة وحسن المعاشرة وهي التي جماعها: «حسن الخلق (١)».

وقد كانت تلك الصفات على الأفراد والاجمال من ضرورات الدعوة، وسبباً من أسباب نجاحها، قال تعالى :

« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ » (سورة آل عمران ١٥٩).

وإذا كان هذا حسن خلقه صلى الله عليه وسلم فمن المناسب التعرض إلى تفصيل بعض الصفات الخلقية، التي وهبها تعالى لرسوله وأنعم بها عليه، والتي هي فرع من حسن الخلق ومنها:

١ ــ الصدق والأمانة :

لقد بلغ صلى الله عليه وسلم في قومه منزلة لم يصل إليها شاب من أقرانه في قومه لما تواتر عنه من صدق الحديث، وعظيم الأمانة، حتى لقبوه

(١) : نص القاضي عياض ــ كتاب الشفا جـ١ ص ٥٤.

«الأمين» دون منازع، وأخذوا يضعون عنده ودائعهم لما منحه الله من مروءة في قومه، ورأى سديد، وحلم وتواضع.

حتى أن خديجة بنت خويلد، تلك المرأة التي منحها الله المال والشرف، والمعرفة بالرجال، تختاره من بين رجال قريش، وتعطيه أفضل ماكانت تعطي غيره من التجار، وهي تجد في قومها الكثير من التجار، وأرباب الاحتراف والأسفار ولكن مابلغها عن محمد وصدق حديثه، وعظيم أمانته، وكريم خلقه، جعلها تعرض عن غيره إليه، ويحصل لها بسببه الربح الكثير، والبركة العظيمة، ويحصل من البشارات والخير على يديه، مايبهر غلامها «ميسرة» الذي كان يصاحبه في الرحلة للشام، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد قامت خديجة بعرض نفسها عليه ليتزوجها، لما رأت عليه من علامات حسن الخلق، وصدق الحديث، في حين يعرض عليها كثيرون من قومها الزواج، ولم تقبل لما كانت عليه من شرف ومنزلة، وعلو مكانة، وحزم في قومها، حتى كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وسيدة قريش، ولكن كل هذا لم يساو شيئاً لها بالنسبة إلى من تقدمت بعرض نفسها عليه لزواجها لما رأته عليه من حسن خلق، وأمانة وطيب نفس[1].

ولقد شهد بأمانته، وصدق حديثه، وما منحه الله من خصال حميدة، القاصي والداني، والعدو والصديق، فهذا النضر بن الحارث وهو من أشد أعدائه صلى الله عليه وسلم بعد الدعوة يعيب على قريش تكذيبها محمداً مسفهاً رأيهم منتقداً كذبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم فيقول: «قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ماهو بساحر».

قال ذلك في اجتماع قريش للاتفاق على رأي يقولونه للعرب الذين

(١) : انظر: سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٠٥.

يحضرون في الموسم، لينفروهم من محمد و يظهروا كذبه فيا يدعيه من النبوة، وكان حسده لمحمد صلى الله عليه وسلم، ومكانته في قومه مانعاً من الدخول في الإسلام[1] .

وهذا أبو سفيان وهو من أشد أعدائه أيضاً، كان مع نفر من قريش أمام هرقل حينا سأل ملك الروم أبا سفيان قائلاً : «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان لا، فقال هرقل: «ما كان ليدع الكذب على الناس، و يكذب على الله»[2] .

ولقد كان لصدقه وأمانته أثر كبير في نجاح الدعوة، حيث نجد خواصه أول من آمن به كزوجه خديجة، وصديقه الحميم أبو بكر، ومولاه زيد بن حارثه، ولو كانوا يعلمون شيئاً يجرحه، وهم أدرى الناس به لما كانوا السابقين إلى الإيمان بدعوته وتصديقه، وهم أدرى الناس ببواطنه.

٢ ــ العفــة :

لما كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدق والأمانة ليس مستغرباً كونه عفيف النفس، مستغنياً عما في أيدي الناس، مقبلاً على ربه، متعلقاً به، بعيداً عن مظاهر الدنيا وبهارجها راضياً بحال الفقر والحاجة ليربي نفسه على تحمل الشدائد والصعاب.

وأدلة ذلك من سلوكه صلى الله عليه وسلم كثيرة، منها أنه لم يستغل رغبة خديجة وثقتها فيه للكسب المادي، أو المصالح الدنيوية حيث كان في إمكانه أن يشاطرها مالها، و يصبح أغنى رجل في مكة، وترك كل ذلك ليواصل تحنثه وتعلقه بربه، وإذا كان قومه قد عرفوه بتلك الحال من العفة

---

(١) : انظر سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣١٩. وصد غيه مفردها صدغ وهو مابين العين والأذن و يسمى الشعر في هذا الموضوع صدغا.

(٢) : صحيح البخاري جـ١ ص ٨.

والإعراض عن الدنيا، فلابد أن يستجيبوا له عندما يدعوهم، و يعرفوا صدقه، ونبوته، فكان ذلك من دلائل صدقه، ومن عوامل نجاح دعوته.

٣ ــ حلمه وصبره :

لقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الحلم والصبر كماله، مثل كماله من كل خلق كريم، كان حليماً لايغضب إلا للحق، إذا انتهكت حرمات الله، ولم يغضب لنفسه قط.

وكان صلى الله عليه وسلم مثالاً للصبر والتحمل، حيث لايخفي ما كان يلاقيه من قومه من سخرية وإذاء وإهانات وهو متحمل كل ذلك، خلال ثلاثة عشر عاماً من الزمن، وهي فترة طويلة، تدل على مقدار صبره وجلده، ومجال هذا الكتاب لا يمكننا من إيراد الأدلة التي هي أكثر وأشهر من تذكر، وهي تدل على مقدار صبره، وحلمه وتحمله، وكل تلك الخصال كانت عاملاً من عوامل نجاح دعوته، ودليلاً على صدق نبوته، وثباته على مايدعو إليه، مما لفت الأنظار إلى هذه الدعوة، فكانت الاستجابة كبيرة لدعوته.

هذه بعض من خصاله صلى الله عليه وسلم، التي كام ملتزماً بها،وسائراً عليها في كل الأحوال، وقد كانت تلك الخصال دلالة من أدلة صدقه، ومكانته، ومن ثم عاملاً من عوامل نجاح دعوته عند من عرفوا عنه تلك الخصال والخلال الحميدة التي يجمعهاحسن خلقه صلى الله عليه وسلم، وخاصة العرب الذين كانوا يجلون الثبات على المبدأ، و يقدرون التضحية والتحمل.

وحسبنا أن نعلم أن الله تعالى قد كافأه على ذلك الخلق، بأن خيره أن يكون ملكاً أو نبياً، فاختار أن يكون نبياً عبداً متواضعاً لربه هادياً لخلقه،

مرشداً لهم، داعياً لهم إلى مافيه خيرهم وسعادتهم، بعد أن أوصله تعالى بهذا الخلق منزلة لم يصلها بشر سواه صلى الله عليه وسلم[1].

ب ــ علو المكانة :

لما كان أنبياء الله صفوة عباده، وخير خلقه، لما كلفهم به من القيام بحقه تعالى، فقد استخلصهم من أكرم العناصر، وأمدهم بأوكد الأواصر، حفظاً لنسبهم من قدح، وصيانة لعرضهم من جرح، ولتكون النفوس لهم أطهر، والقلوب لهم أصفى، وفي ذلك سهولة في انقياد من يدعون، وأسرع لإجاباتهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير الأنبياء وأفضلهم، قد اختاره الله من أرفع الأنساب وأعلى المكانة في قومه، بل وفي الخلق كلهم، وقد كان ذلك من أقوى الأسباب في نجاح دعوته، يبين ذلك ما حصل للرسول من بعض قومه من وقوفهم معه، وإن لم يكن بعضهم مؤمناً بما يدعو إليه في بادىء الأمر، وإسلام بعضهم من باب الحمية لرسول الله ودفاعهم عنه، كما حصل من حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أرفع قومه نسباً، فهو لم يزل ينتقل من خير الآباء إلى خير الأبناء حتى انتهى إلى كبير مكة، وعظيم قريش، عبد المطلب بن هاشم، ثم إلى أبيه عبد الله أشرف الناس نسباً[2] .

روى البخاري في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه[3] ».

---

(١) : انظر كتاب الشفا جـ١ ص ١٣٠.

(٢) : انظر : أعلام النبوة ١٦٦.

(٣) : صحيح البخارى جـ٢ ص ٢٧٢ (كتاب بدء الخلق ــ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم)

وروى مسلم عن واثلة بن الأصقع قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[1] ».

وروى الإمام أحمد بسنده عن العباس رضي الله عنه قال : «بلغه صلى الله عليه وسلم بعض مايقول الناس : قال «فصعد المنبر فقال: من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق، فجعلني من خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني من خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني من خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً[2] .

وروى الطبراني مثله عن ابن عمر ــ في الكبير ــ بسند حسن.

وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لاحية لنفسه ونسبه في المقام الأول، حيث لم يكن بحاجة إلى بيان نسبه، وعلو مكانه فيهم، وإنما لما يعلم ان لذلك آثاراً سيئة على قبول الدعوة عند العرب، لأن الأنساب عندهم في قمة الفضائل، ومن هنا كان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان الحقيقة الأصلية، ولقطع الطريق على الذين يعملون ضد الدعوة الإسلامية، لما كان يدركه صلى الله عليه وسلم من أثر لهذا العامل من عوامل نجاح الدعوة.

ولما كان رسول الله الذي اختاره تعالى لحمل أمانة الوحي، والتبليغ عن ربه، بتلك المكانة في المنبت، فإن الله قد طهر مولده بأن استخلصه من أطيب المناكح، وحماه دنس الفواحش، عندما نقله من أصلاب طاهرة.

قال العلامة (الماوردي) : «وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده

---

(١) : صحيح مسلم جـ٤ (كتاب الفضائل باب نسب النبي صلى الله عليه وسلم.)

(٢) : مسند أحمد جـ٣ ص ٢٢٣.

علمت أنه سلالة آباء كرام، سادوا ورأسوا لأنه ليس في آبائه خامل مسترذل، ولا مغمور مستذل، كلهم سادة وقادة، وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة، حتى تحرجوا عن نكاح المحارم، وان استباحه غيرهم من العرب[1] ».

ولا شك أن لتلك المكانة والرئاسة في قومه أعظم الأثر في نجاح الدعوة وكل تلك الخصائص مما أجراه تعالى ليكون سبباً من أسباب قبول دعوته وإقبال الناس عليها.

ولقد كان لذلك دوره في شخصه صلى الله عليه وسلم حتى قبل بعثه بدليل مشاركته في كثير من شؤون قومه الهامة، بل وحل بعض مشكلاتهم المستعصية كما حصل من خلافهم في وضع الحجر الأسود، وكان من حسن طالعهم، ودلائل نبوته، وطاعتهم له أن يحكموه في ذلك، ويجنبهم الخلاف والاقتتال الذي أوشك أن يقع فيهم، وحضر مع قومه وهو شاباً يافعاً حرب الفجار، وحلف الفضول وأثنى على هذا الحلف بعد بعثته صلى الله عليه وسلم[2] .

ولا شك أن لمكانته تلك في قومه، واشتهار ذكره فيهم، ومشاركته لهم في قضاياهم أعظم الآثار في نجاح الدعوة، لما كانوا يعرفون، من أحواله دقيقها وجليلها.

جـ ــ الإعداد الإلهي له :

لقد كان مما أجراه المولى عز وجل للدلالة على ثبوت نبوته وصدق دعوته ما كانت عليه حاله منذ صغره، من حياة الكفاح والنكد والمثابرة، بعد أن توفي والده وهو جنين في بطن أمه[3] .

---

(١) : أعلام النبوة ص ١٨٨.

(٢) : انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٤٥، ٢٠١، ٢١٤.

(٣) : انظر : السيرة الحلبية جـ١ ص ٨٥.

فولد يتيماً لم يرث من والده شيئاً، واسترضع في بني سعد ــ كما سلف ــ كما توفيت أمه وهو ابن ست سنين، فكفله جده عبد المطلب، ورعاه أحسن رعاية، وكان يعطف عليه دون بقية ابنائه ، ولقد كان يجلسه جده على فراشه بجوار الكعبة، بينما يمنع بقية ابنائه من الجلوس على فراشه، ويقول: «دعوا ابني، فوالله إن له شأناً» ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره، ويسره مايراه يصنع» ذكر ذلك ابن إسحاق(١) .

وبالرغم من تلك الرعاية والعطف وعلو المكانة ورفعة النسب، فإن ذلك لم يجعله يركن للكسل، ويعيش عالة على أهله، ويعيش حياة الترف واللهو كغيره من فتيان مكة، بل اتجه إلى حياة الكفاح والمثابرة والعمل الشريف مهما كان لما أراد الله من إعداد إلهي له لتحمل هذه الدعوة فيما بعد، وإذا أراد الله تعالى شيئاً هيأ له أسبابه ومقدماته.

ولقد كان يرعى الغنم لقومه بمكة، كغيره من الأنبياء قبله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال «مابعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت. فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة(٢) .

وفي رعايته ــ عليه السلام ــ الغنم حكماً كثيرة منها مايختص بما نحن بصدده.

أن الرجل إذا استرعى الغنم، وهي أضعف البهائم، سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفاً، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد ذهب أولاً من الحدة الطبيعية، والظلم الغريزي، فيكون في أعدل الأحوال، وهكذا يكون هذا العمل كمالاً في حق الأنبياء، بخلاف غيرهم من البشر(٣) .

---

(١) : انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٧٩.

(٢) : رواه البخارى في الصحيح جـ٣ ص ٣٢ (كتاب الاجارة).

(٣) : السيرة الحلبية جـ ١ ص ٢٠٦ ــ بتصرف ــ.

مما يكون عاملاً في استجابة الناس لما يدعوهم إليه وإقبالهم عليه. و يسهل قيادهم، و يعطفهم إلى مايدعوهم إليه.

والقرآن الكريم أكبر دليل وأصدقه على ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من يتم وفقر، فالله تعالى يمتن على رسوله بأن غير حاله، فآواه بعد يتم، وأغناه بعد فقر، مما يلفت إلى واقعه الأنظار، و يعلق به القلوب.

قال تعالى : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ » (سورة الضحى﴿٨﴾).

وإذا كانت هذه شخصيته التي جمعت كل خلق حسن من : صدق وأمانة وصبر وحلم وعفة وتواضع وشفقة، وغير ذلك من كمال الأخلاق، وهذه مكانته بينهم، وهذا نسبه فيهم، وهذه جلائل أعماله، وحياته في كفاحه وجلده ومثابرته أدركنا الأثر القوي لشخصيته صلى الله عليه وسلم، ودورها في نجاح الدعوة.

بعد أن أهله ذلك ليكون فيهم في مكان الصدارة والاحترام والهيبة، ولقد كان المشركون يعرفون قدره، و يعلمون مكانته، و يوقنون بصدقه فيما يدعوهم إليه، ولكنه الحسد الذي يأكل قلوبهم، والظلم المحتدم في أفئدتهم، قال تعالى : « قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ » (سورة الأنعام ﴿٣٣﴾).

فعندما أظهر دعوته، اهتموا من أمره، واتجهت أنظارهم للدعوة، باهتمام بالغ،يلفت النظر إلى حد الغرابة، ولم يعرضوا عنه و يتركوه وشأنه، أو يخلو بينه و بين غيرهم كما نصحهم الوليد بن المغيرة، بل وقفوا في وجه الدعوة من أول أمرها، وفاوضوه صلى الله عليه وسلم ليعرض عن دعوتهم لهذا الأمر الذي جاءهم به، حتى عرضوا عليه أن يكون رئيساً عليهم، وعرضوا أن يعطوه من المال حتى يكون أغناهم، ولو لم يكونوا يعرفون مكانته، ودور شخصيته وصدقه فيما جاءهم به لما عرضوا عليه كل ذلك، وهم فيهم رجال أهل معرفة

ودهاء ورئاسة وسيادة، ولقالوا اتركوه وشأنه، ويجدون من غيرهم من يكفيهم أمره، و يقضي على دعوته.

ولقد ثبت توقعهم، وما كانوا يخافونه، حيث أظهر الله دعوته، وانتصر عليهم، وهم كارهون، واستطاع الذي رعى الغنم أن يرعى الخلق و يقودهم للهداية والعزة والخير، وكان هذا بسبب شخصيته صلى الله عليه وسلم التي كانت من أهم عوامل نجاح الدعوة.

العامل الثاني : حكمته وحسن إعداده للدعوة :

لقد كان لفضل الله أولاً، ثم لحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعداده المتقن، وتصرفه الباهر، وتخطيطه المحكم، أعظم الأثر في نجاح الدعوة الإسلامية، وكان من مظاهر حكمته البالغة في هذا الجانب استعماله في سبيل انجاح دعوته كل وسيلة ممكنة، والسير على المنهج الذي رسمه له القرآن الكريم، بعد أن منحه تعالى كل الصفات التي تؤهله لتحمل الرسالة: كالصدق المطلق، والالتزام الكامل بما يدعو إليه، والتبليغ التام المستمر دون كلل أو ملل، والصبر الهائل على كيد الأعداء، وتحمل إيذاء الخصوم، والاستقامة على أمر الله، إضافة الى ما منحه الله كذلك من عقل كبير، ورأى راجح، و بتلك الأسباب استطاع صلى الله عليه وسلم أن يصل بالدعوة الإسلامية، إلى أعلى مستويات الانتصار، والاستعلاء على الأعداء، وأن يواصل مسيرة دعوته، بحكمة صائبة، وإعداد متقن.[1]

وفي الفقرات التالية من هذا المبحث صور من تصرفاته التي تدل على حكمته صلى الله عليه وسلم، وحسن إعداده للدعوة وتلك الصور من مئات الأدلة تدل على نواحي العظمة في شخصيته.

ونحن عندما نسوق تلك الصور المضيئة من حياة رسولنا وقدوتنا صلى الله

---

(١) : انظر كتاب (الرسول صلى الله عليه وسلم جـ١ ص ٢٠) تأليف : سعيد حوى ـــ الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م.

عليه وسلم، فإنما نطالب المسلمين أفراداً وجماعات، وفي مقدمتهم الدعاة والوعاظ والعلماء اقتفاء خطى سيدنا ورسولنا صلى الله عليه وسلم، الذي استطاع أن يجعل من حفاة الأعراب، دعاة خير وهداية، ومن رعاة الغنم رعاة أمم وساسة شعوب، وقادة جيوش جرارة، وأصبح الذين يجهدون أنفسهم في القضاء على الإسلام، هم الذين يدافعون عنه، بعد أن تيقن كل منهم أنه على ثغر من ثغور الإسلام يخشى أن يؤتي الإسلام من جانبه.

وقد يكون من الضروري التعرض ــ ولو بإيجاز ــ إلى بعض من ضروب حكمته، وحسن قيادته صلى الله عليه وسلم.

أ ــ الصبر والصفح :

إن الصبر وتحمل الأذى في سبيل الدعوة من أهم الصفات التي يجب أن يتلبس بها الدعاة في كل زمان ومكان، ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى الأمثلة في ذلك، لما احتمله مما ناله من أذى قومه، فقد احتمل ألواناً من الشدائد، وصنوفاً من الأذى، تصعب على الجبال الرواسي وما كان ذلك ليضعف من عزيمته، أو ليثنيه عن مراده.

فقد استهزأ به قومه عندما بدأهم بالدعوة، فأخذوا يكيلون له السباب والشتم، ووصفوه بالسحر والكهانة، واحتقروه وحسدوه، وتصدى له من قومه أناس جفاة غلاظ، لايتورعون عن إلحاق أقسى الأذى به، مثل عدو الله أبي جهل التي تنوعت وتواترت وسائل أذاه للرسول، ووصل به الأمر إلى محاولة إلقاء الحجر عليه وهو ساجد، ولكن الله منعه، كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من رواة السير والسنن والتفاسير والتاريخ.

وكان من أصناف إهاناتهم الكثيرة أن قام شقي قريش عقبة بن أبي معيط بإلقاء سَلاَجزور على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد.

روى البخاري رضي الله عنه، قال : «بينما النبي صلى الله عليه وسلم

ساجد، وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلاجزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة ــ عليها السلام ــ فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم عليك الملأ من قريش: أبا جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وأمية بن خلف، أو أبي بن خلف «شعبة الشاك [1]» فرأيتهم قتلوا يوم بدر..[2]».

وهؤلاء كانوا من سادة قريش ومن أشدهم عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم، وعن عروة بن الزبير قال: «سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله... الآية [3]».

ولم يقفوا عند حد إيذائه، وتعذيبه بل تآمروا على قتله.

روى الإمام أحمد ــ بسنده ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللآت والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة واساف: لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله...[4]».

---

(١) : شعبة : هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي، ولد بواسط ونشأ بها، سكن البصرة، من أئمة رجال الحديث، كان يلقب (بشيخ المحدثين) توفي بالبصرة سنة ١٦٠هـ وعمره ثمان وسبعون سنة. انظر : البداية والنهاية جـ١٠ ص ١٣٢ والاعلام جـ٣ ص ١٦٤.

(٢) : رواه البخاري جـ٢ ص ٣٢١ (كتاب الخلق ــ باب مالقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين) ــ رواه مسلم جـ٣ ص ١٤١٩ (كتاب الجهاد، باب مالقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين).
ورواه الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن مسعود جـ٥ ص ٢٧٢ شرح وفهرسة أحمد محمد شاكر والسلا اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن أمه، وتكتب بالالف والياء قراءتان.

(٣) رواه البخاري جـ٢ ص ٣٢١.

(٤) مسند الإمام أحمد جـ٤ ص ٢٦٩.

لكن الله حفظ رسوله، وعصمه من كيدهم، وكان تدبيرهم تدميراً لهم. والرسول صلى الله عليه وسلم صابر ثابت على الحق، والدعوة لذلك تسير من نصر إلى نصر، ومن فوز إلى فوز، وهم في المقابل ينتقلون من هزيمة إلى هزيمة، ومن ذل إلى ذل أشد، ومع ذلك فهو يقابل تلك العداوة الظاهرة بالصبر والصفح، والدعاء لهم بأن يهديهم الله، ولم يكن ليقتص لنفسه قط، ولم يحمل لهم في نفسه كرهاً أو عداوة، بل عفا عنهم وهو في قمة إنتصاره، عندما دخل مكة المكرمة فاتحاً منتصراً، وموقفه هذا يثير العجب، لقد كان في زمن حرب مع المشركين، وناله منهم من الأذى الشيء الكثير، ولكنه صاحب القلب الكبير، والخلق الرفيع، يعفو عنهم بعد أن يقول لهم: «يامعشر قريش، ماترون إني فاعل فيكم»؟ فيقولون : خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، فيقول لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء[(١)] ».

ولقد كان لصبره وصفحه هذا أعظم الآثار في نجاح الدعوة، حيث رقق قلوبهم للإسلام، ورغبهم فيه، وطمأنهم إلى سهولة أحكامه، وليونة تربيته، ولو كان صلى الله عليه وسلم شديداً عليهم، زاجراً لهم، ومعاقباً لهم، لأعرضوا عن الإسلام، ولما استجابوا له، بتلك السهولة، ولم يكن للدعوة هذا الانتشار، وهذا النجاح، قال تعالى :

« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ » (سورة آل عمران ١٥٩).

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم للمدينة، عظمت مسؤولياته فيها، وكان أمامه كثير من المسئوليات، كتنظيم المجتمع الجديد، والتآلف بين فئاته المختلفة، ومواجهة المشركين، ووجد أمامه جبهة جديدة وهم اليهود ومكرهم،

(١) : سيرة ابن هشام جـ٤ ص ٣٢.

والمنافقون ودسائسهم، وقد واجه كل ما كان من المشركين واليهود والمنافقين من عداوة ومكر وخداع ونقض للعهود، بصبر وجلد.

ولقد كان اليهود أشد خطراً على الدعوة في المدينة من المشركين في مكة، بدليل ماحصل منهم من مواقف تنضح بالعداء للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، كما كان من بني قينقاع وبني النضير من نقض العهود، وإيذاء المسلمين، والكيد لهم بالشبهات والدسائس والغدر بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحاولة قتله، فوقفوا في ذلك مع المشركين في خندق واحد، مصداقاً لقوله تعالى: « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ...» (سورة المائدة ﴿٨٢﴾).

كما أن عبد الله بن أبي زعيم المنافقين، على رأس كل مصيبة، والعقل المدبر لكل بلية تصيب المسلمين، والقرآن الكريم ينزل يكشف أحوالهم، ويهتك أستار نفاقهم وخداهم[1] .

ومع ذلك نجده صلى الله عليه وسلم صابراً صافحاً، وعندما مات عبد الله ابن أبي، جاء ليصلي عليه مراعاة لخاطر ابنه المسلم الصادق وعشيرته، حتى نهاه القرآن الكريم عن ذلك، في قوله تعالى: « وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ » (سورة التوبة ﴿٨٤﴾).

ولقد كان لتصرفاته تلك بمواجهة عداوة أولئك بالصفح، والرفق والصبر أعظم الأسباب المباشرة لنجاح الدعوة، خاصة عندما نعلم أنه استمر على سلوكه هذا حتى بعدما أن أظهره الله ونصره على كل أولئك الأعداء في كل ميدان، ولم يكن سلوكاً مؤقتاً فرضته ظروف الدعوة في مكة المكرمة كما قد يعتقد البعض.

---

(١) : يراجع تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٢٥٢ ــ والبداية والنهاية : جـ٤ ص ٧٤. والسيرة الحلبية جـ٢ ص ٤٧٤.

ولن تغيب عن البال حادثة الأعرابي الذي قصد الرسول صلى الله عليه وسلم محاولاً قتله، ولما حفظ الله رسوله من مكره، ورأى من كريم خلقه، وعفوه عنه، دخل في الإسلام، وشهد أنه رسول الله(١).

وهكذا ندرك كيف كان لأخلاقه وشمائله، وتخطيطه وحسن إعداده الفضل الأكبر في نجاح الدعوة، حيث أقام من سجاياه، ومن تصرفاته أدلة صادقة لا يرقى إليها الشك على صحة دعواه، وصدق نبوته.

وكان أعداؤه كلما زين لهم الشيطان مطعناً فيه، وجدوا في ماضيه وحاضره وطباعه وخصاله ما ينفي طعنهم ويرد كيدهم، فكان أن انتصر عليهم، وأظهر الله دعوته، ونجحت الدعوة نجاحاً باهراً، وانتصر الإسلام نصراً مؤزراً.

ب ــ البحث عن مأوى ودار للدعوة والدعاة :

مر بنا فيما سبق الحديث عما امتازت به الدعوة، من كونها دعوة متدرجة، وكيف رتب صلى الله عليه وسلم دعوته، من الدعوة الفردية إلى الدعوة العامة، ومن دعوة عشيرته الأقربين، إلى دعوة الأبعدين، ومن دعوة العرب إلى دعوة غيرهم، بحيث سلك كل طريق سليم، يبلغ دعوة الله ــ عز وجل ــ على الوجه الأكمل، بأن اتصل بالأفراد، اتصالاً شخصياً، وعرض نفسه على القبائل في المواسم، وفي أماكن تجمعاتهم ورحل من أجل تبليغ الدعوة، وأرسل الرسل، واستقبل الوفود، ليأخذوا عنه، والدارس لكل تلك التصرفات منه ــ عليه السلام ــ يدرك مدى اهتمامه بالدعوة الإسلامية. وحرصه على وجود المناخ المناسب، والجو الملائم لنجاح الدعوة، وبحثه عن المكان الذي يضمن لها الاستقرار والنجاح، والثبات في وجه الخصوم.

فكان من تصرفاته الرائدة التي تنبيك عما عداها في البحث عن منتجع

---

(١) : انظر : صحيح البخاري جـ٣ ص ٣٦(كتاب الجهاد والسير ــ باب غزوة ذات الرقاع).

للدعوة، وأشدها تعباً على نفسه، وأخطرها على حياته، سفره إلى الطائف بعد أن رأى من قومه الاعراض عنه، وخاصة بعد موت عمه أبي طالب حيث نالوا منه مالم ينالوا منه في حياته، فقرر ـــ عليه السلام ـــ الخروج إلى الطائف، فخرج إلى بني ثقيف، يرجو نصرتهم لدين الله، بعد أن خذلته قريش، ولما لقيه من قومه من السب والتكذيب.

السفر للطائف طلبا للنصره :

قال ابن إسحاق : «ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء من يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل فخرج إليهم وحده(١)».

ولما وصل الطائف عمد إلى سادة ثقيف وأشرافهم، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من طلب نصرته، والقيام معه على من خالفه من قومه، ولكنهم سخروا منه، ولما يئس من إسلامهم بعدما أعياه التعب في هدايتهم، طلب منهم كتمان خبره، كراهية إبلاغ قومه خبره، فيحرشهم ذلك عليه، ويزيد من شرهم، ولكن ثقيفاً لم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ويصيحون به، ويرمونه بالحجارة، حتى التم عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لبني ربيعة، فعمد إلى ظل شجرة من عنب فجلس فيه، ولما سكن روعه مما لقي من ثقيف، وخلى إلى نفسه، قال دعاءه المأثور المؤثر : «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي ، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى

---

(١) : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ١٢٨(أرجح الروايات على أن مولاه زيد بن حارثة كان معه في هذه الرحلة. كما في زاد المعاد جـ٢ ص ٤٦.
والسيرة الحلبية جـ٢ ص ٥١.. وهذا خلاف رواية ابن اسحاق الوارده في سيرة ابن هشام.

عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي.. إلى آخر دعائه صلى الله عليه وسلم[1] .

وكان في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وقد رأيا مالقي من سفهاء أهل الطائف، فتحركت لهرحمتها، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عدّاس فقالا خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى هذا الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة في الأكل، قال: بسم الله ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، وقال: والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذا البلد ودار بينهما حوار عرف به عدّاس من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان لصبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتصرفه أعظم الأثر في إسلام عدّاس حيث دخل الإسلام قلبه، وأكبّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه و يديه وقدميه، مما بهر هذين المشركين، فأخذا يحذرانه من اتباع الرسول، ولكن تأثير شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وصبره كان أقوى في نفس عدّاس من تحذير هذين الشيطانين، وكان ردّ عدّاس قوله: ياسيدي مافي الأرض شيء خير من هذا لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلاّ نبي، وكان داعي الإيمان في نفسه أقوى، فأسلم عدّاس وحسن إسلامه، وعد من الصحابة، مات قبل الخروج إلى بدر[2] .

عرض الإسلام على القبائل واثره في الدعوة :

ورجع رسول الله ــ عليه السلام ــ إلى مكة، وقومه أشد ماكانوا من إيذائه، وفراق دينه، وأخذ صلى الله عليه وسلم يواصل دعوته، متحملاً المشاق، والابتلاء والامتحان من قومه صامداً على ما يدعو إليه صمود الجبال الراسيات مديراً نظره إلى غير قومه عسى أن يجد عندهم العون والمساندة،

(١) : سيرة ابن هشام جـ١ ص٢٩ (وتقدم التعليق على درجة هذا الاثر

(٢) : السيرة الحلبية جـ٢ ص ٥٣ .. وما بعدها بتصرف.

والحائط : هو البستان، والقطف : العنقود. وأصله اسم لكل ما يقطف.

فأخذ يعرض نفسه على قبائل العرب في المواسم يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، و يسألهم تصديقه، ومنعه أذى قومه[1].

ولقد كان لتحركه هذا آثاراً لابأس بها في نجاح الدعوة، حيث عرف كثير من العرب القادمين للموسم حقيقة دعوته، وصدقه فيما يدعو إليه، خاصة لما كان له من خلال وخصائص شخصية ــ كما سبق ــ قد بلغت الآفاق، وهيأته أذهان العرب لقبول الدعوة، ومما يؤكد ذلك أن قريشاً قد أحست بخطورته، والأثر القوي في تصرفاته من نجاح للدعوة، فكانوا يحاولون منعه من الاتصال بالقبائل في الموسم، و يسعون إلى الحيلولة بينه و بين مراده، من دعوة غيرهم إلى هذا الفضل العظيم الذي جاءهم به فلم يقبلوه، وهذا والله قمة الظلم والجور والعدوان!!

قال ابن إسحاق : «حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي فقال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول:

يابني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلصوا ماتعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتمتنعوا حتى أبين عن الله مابعثني به». قال: وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله، وما دعى إليه، قال ذلك الرجل: يابني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللآت والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ماجاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه، قال: فقلت لأبي: يا أبت من هذا الذي تتبعه و يرد عليه ما يقول؟ قال عمه عبد العزي بن عبد المطلب أبو لهب[2].

---

(١) : انظر : دلائل النبوة للاصفهاني. الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م. ص (١٠٠).

(٢) : سيرة ابن هشام جـ٢ ص٣٢ (رواه أحمد والطبراني بهذا اللفظ).

كما أنه في سبيل دعوته ونشرها، والبحث لها عن مكان مناسب، توجه إلى القبائل في منازلهم، ولم يكتف بلقائهم في المواسم، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويطلب منهم النصرة والمساعدة، كبني كندة وبني كليب، وبني حنيفة، وبني عامر بن صعصعة[1].

وبالرغم من أن تلك القبائل أبوا ولم يقبلوا ماعرضه عليهم، وردوه رداً عنيفاً، فقد كان تصرفه هذا له آثار قوية في نجاح الدعوة، حيث خرج بها عن النطاق الإقليمي لقبيلة قريش، التي ازدادت له إيذاء، ومحاولة القضاء على دعوته وتنفير العرب، ولكنه صبر وواصل دعوته، بصبر وجلد، ونتيجة لاتصاله هذا الذي كان من عوامل نجاح الدعوة خافته قريش التي قامت بإجراء جنوني ينم عن الخبث والعداء الشديد، كما يدل من جانب آخر على استمرار الدعوة في سيرها، وبلوغها شأناً لا بأس به من النجاح، أخاف المشركين، وزعزع بنيان وثنيتهم كان نتيجة أن قرر المشركون حصار المسلمين في الشعب.

وهذا التصرف بالرغم مما كان فيه من ضرر للمسلمين، فقد كان من عوامل لفت النظر للدعوة، وأهميتها، وسبباً لبعض العرب بالعطف على المسلمين، واهتمامهم بهذه الدعوة، ومن ثم الإيمان بها.

وما زال صلى الله عليه وسلم يواصل دعوته بأسلوب الاتصال الناجح المتعدد الأساليب، مما كان سبباً لتهيئة الجو والمناخ المناسبين للدعوة فعندما عرض نفسه على قوم من الخزرج، ودعاهم إلى الله ــ عز وجل ــ آمنوا به، وصدقوه، حيث كانت دعوته قد بلغت آفاقاً لابأس بها.

فلم يكن الخزرج بحاجة إلى شديد إقناع، بسبب ماسبق ذلك من إتصال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقبائل العرب، وبيان حقيقة دعوته، فكان ذلك عاملاً مهماً من عوامل نجاح الدعوة[2].

---

(١) : انظر : دلائل النبوة ــ ص ١٠٠.

(٢) : انظر سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٩٩.

وبعد إيمان أولئك النفر من الخزرج، انفتحت للدعوة آفاق جديدة وتحولت الدعوة في سيرها تحولاً هاماً، كان له أعظم الآثار أيضاً في نجاح الدعوة، حيث كانت الهجرة النبوية للمدينة، التي كانت فتحاً عظيماً، ونصراً مبيناً كما سيأتي.

جـ ـ الهجرة للمدينة بعد تهيئتها وأثر ذلك في الدعوة:

لم تكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، أمراً عارضاً، أو من باب المصادفة، حيث سبقها عدة محاولات للبحث عن قاعدة أخرى غير مكة، تحمي هذه العقيدة الناشئة، وتكفل لها حرية النجاح والانتشار، بعدما أصاب المسلمين في مكة الاضطهاد والتعذيب ووقوف بقية العرب منها موقف المتربص، بانتظار ماتكون عليه النتائج بين الرسول وعشيرته، خاصة بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجه خديجة، وعودته من الطائف بعد ايذاء ثقيف له، وإغراء سفهائهم به، وقبلها هاجر معظم المسلمين إلى الحبشة فراراً بدينهم، ومخافة الفتنة، وكانت الهجرة للحبشة بتوجيه منه صلى الله عليه وسلم، أول هجرة في الإسلام، عندما قال لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه(١) ».

فخرجوا إليها ورسول الله باق بمكة ينتظر أمر الله وفرجه، وبعد كانت الهجرة للمدينة بعد تهيئتها، مما ضمن للدعوة أفضل النتائج، على ما نفصله فيما يلي :

١ ـ التمهيد للهجرة :

لقد تمت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، بعد تمهيد ثابت، وإعداد محكم، وتمت تحت تأثير ظروف حتمتها وبخطة محكمة ضمنت لها

(١) : انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٤٣.

النجاح، بأن تمت حسبما خطط لها، صلى الله عليه وسلم، حيث كانت إجراء ضروريا لسير الدعوة في الخط المرسوم، بعدما كان من قومه، ومن حولهم من الأعراب وبعد ما كان من اتصالات وتحركات مع القبائل وخاصة لقائهم في المواسم قام بها صلى الله عليه وسلم لانجاح الدعوه.

إضافة إلى ماكان له ــ عليه السلام ــ بيثرب من علاقة غير علاقة التجارة فله بها علاقة قربى، فأخواله بنو النجار في المدينة، كما كان في مجاورة الأوس والخزرج، وهم عبدة أوثان لليهود، وما يصيب أهل يثرب من الأذى من اليهود، وعيبهم لأهل الأوثان، وتعاليهم عليهم لكونهم (أهل كتاب) وإنذارهم لهم بنبي يبعث يقضي عليهم، ويشايع اليهود، كل تلك الأسباب مهدت لأهل يثرب لقبول الدعوة، وهيأت أذهانهم لها، كما هيأت جو المدينة لتقبل الهجرة العظيمة، فكان أن فتح الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى دعوته وأصحابه من حيث لم يحتسبوا. فكانت بيعة العقبة الأولى، ثم بيعة العقبة الثانية، وما تبعها من إجراءات قام بها صلى الله عليه وسلم، في غاية الاحكام والاتقان، والسرية التامة عند الضرورة، ولقد صاحب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة، حكم وأحكام، وخير عميم للدعوة، بعدما قام به صلى الله عليه وسلم من حكمة، وحسن إعداد وتخطيط، قبل الهجرة وفي أثنائها، وما حصل على يديه من المعجزات، يعتبر أمراً عظيماً ساعد في سير الدعوة، وكان عاملاً على نجاحها فيما بعد.

٢ ــ الهجرة للمدينة :

عندما رأت قريش أمر الرسول يقوى، ودعوته تنتشر بالرغم مما بذلوه من محاولة القضاء عليها في مهدها، اجتمعوا للنظر في أمر محمد، وتداولوا رأيهم فاتفقوا على قتل محمد بأن يأخذوا من كل قبيلة شاباً يشارك في قتله، فيضيع دمه بين القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً،

فيرضون بالدية، وكان هذا رأي فرعون هذه الأمة أبو جهل، بمآزرة الشيطان[1].

وكان صلى الله عليه وسلم قد خطط للهجرة.

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه: في قوله تعالى: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك».

قال تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدوا النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك، فبات علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً، يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا عليه، فلما رأوا علياً رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري. فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هٰهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث»[2].

وتمت رحلة الهجرة حسب الخطة التي رسمها صلى الله عليه وسلم، ووقع في أثنائها للرسول وصاحبه المعجزات والعجائب الشيء الكثير، مما دلل على صدق نبوته، وحفظ الله له، ولقد كان لذلك أعظم الأثر في لفت النظر للدعوة، ومن ثم إقبال الناس عليها ونجاحها[3].

ووصل الركب المبارك إلى «يثرب» مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد لبست أحلى حللها لاستقبال الوافد العظيم، وخرج أهلها من المسلمين وغيرهم يستقبلونه استقبالاً يليق بمكانته في نفوس المسلمين، وينم

---

(١) : انظر : زاد المعاد جـ٢ ص٥٣.

(٢) : مسند الإمام أحمد جـ٥ ص ٨٧.

(٣) : تفاصيل الهجرة النبوية في سيرة ابن هشام. جـ٢ ص ٩٣.. وما بعدها.

عن الخبث والمكر المبيتين في نفوس اليهود إذ كان المسلمون يستقبلونه بالبشر والترحاب، واليهود طمعاً في استمالته إلى جانبهم، فأحاطوا به كل حسبما يجول في نفسه إزاء القادم العظيم[1] .

٣ ــ أثر الهجرة في الدعوة :

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فكان نزوله في قلوب أبنائها، قبل أن يحل أرضها، وكان همه الأول هذه الدعوة التي عهد الله إليه بتبليغها، فقام ببناء المسجد بعد أن اختار له المكان المناسب، ليظهر للمسلمين أهمية المسجد، ومكانته في نفوسهم، ودوره في نشر الدعوة، فجعل منه مكان العبادة، ومدرسة التعليم، ومعسكر الجند، ومقر الإدارة، مما جعل المسلمين يفتخرون بحق بأن الإسلام دين دولة.

كما اهتم صلى الله عليه وسلم بأمر الأمة المسلمة، بتحقيق مصالحهم، وقضاء حاجاتهم، والتأليف بين قلوبهم بعد الفرقة، وأمنهم بعد الخوف، فتحققت منة الله تعالى، ورحمته لعباده، وبعد ذلك انطلق المسلمون ينشرون دعوتهم، مبشرين بالخير والسعادة لبني الإنسان. محققين أعظم الانتصار، وأكبر النجاح.

قال تعالى : « وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ » (سورة الأنفال ﴿٦٣﴾).
٦٣

كما قام عليه السلام بموادعة اليهود ومعاهدتهم حيث أقرهم على دينهم وأموالهم فأمن شرهم[2] . ولاشك أنه كانت لتلك الأعمال الجليلة من قبل

---

(١) : حياة محمد ــ ص ٢٣٣ ــ بتصرف يسير.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام جـ٢ ص ١١٩.

الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعظم الآثار على سير الدعوة ونجاحها، بعد أن دلت تلك التصرفات الرائدة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وثبوت نبوته.

وتحقق للمسلمين بالهجرة ماكان يبحث عنه صلى الله عليه وسلم من المأوى والدار للدعوة والدعاة، بعد جهد مضن، وصبر وكفاح، لتضم المسلمين، وليمارسون فيها عباداتهم في أمان وحرية، فكان في ذلك أعظم الآثار في نجاح الدعوة، ورفع راية الجهاد لنشر هذه الدعوة، حتى تبلغ الآفاق، بعد أن هيأ الله لها بذلك أسباب النجاح حيث كانت الهجرة النبوية ارهاص للفتح المبين الذي تبعها ومقدمة لنشر الإسلام في ربوع الدنيا بعد أن تمت بوحي من الله تعالى، وبإرادته جل وعلا الذي شاء أن يجعل هذه الهجرة من أسباب نجاح هذه الدعوة، وانتشار الاسلام.

والهجرة للمدينة وإن كانت فتحاً عظيماً للمسلمين، ونصراً مؤزراً للدعوة فإنها لم تكن مجالاً للراحة، أوتوقف الجهاد والكفاح، وتحمل المشاق من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، بل كانت انطلاقة جديدة للدعوة، في خط جديد، وبأسلوب أقوى، وأعظم مسؤولية ، وأكثر أماناً، وأسرع انتصاراً، وكانت أيضاً سبباً لزيادة المسؤوليات، وكثرتها نوعاً وعدداً، وقد قابل صلى الله عليه وسلم ذلك بشخصية المؤمن الواثق بربه، ونصره له ولدعوته، ثم بعون المسلمين وتكاتفهم وتآلفهم.

ولم يزل الإسلام ينتشر، وأمر المسلمين يقوى في المدينة شيئاً فشيئاً، ولم تزل الدعوة تواصلها انتصاراتها ونجاحها «حتى فشى الإسلام في المدينة ولم يبق بيت لم يدخله الإسلام، وأخذ المسلمون في مكة يهاجرون تباعاً، تاركين وراءهم كل شيء، ناجين بعقيدتهم وحدها، حيث لقوا من إخوانهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم من الايثار والاخاء مالم تعرف له الإنسانية نظيراً قط.

بعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم، وصاحبه الصديق إلى القاعدة الحرة، القوية الآمنة، التي بحث عنها من قبل طويلاً، قامت الدولة الإسلامية في هذه القاعدة منذ اليوم الأول لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم[1] ».

د ـ الاستفادة من الامكانيات المتاحة :

سبق الحديث عن بعض نواحي العظمة في شخصه صلى الله عليه وسلم، وذكر شيء من تصرفاته التي كانت من أسباب نجاح الدعوة الاسلامية.

واكمالاً للفائدة سأتحدث في هذا المقام عن ناحية أخرى، وجانب مهم للدلالة على حكمته، وحسن تخطيطه للدعوة، وهو:

استفادته صلى الله عليه وسلم من إمكانيات أتباعه في كل النواحي بما فيها العقلية والجسمية، بعد استفادته من كل الامكانيات المتوفرة، والظروف المواتية له، وبعد الحديث عن صبره وصفحه صلى الله عليه وسلم وكيف كان حريصاً على البحث عن مكان ملائم للدعوة، يساعد على انجاحها.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على الاستفادة من جميع الامكانيات المتوفرة، التي تساعد في الوصول للهدف المطلوب لنجاح الدعوة، ونشر الدين الإسلامي الحنيف.

يظهر ذلك جلياً في معرفته بأحوال رجاله، والاستفادة من كل طاقة لديهم، واستخلاص رأيهم الصائب، واتباع مشورتهم، ووضع كل منهم في مكانه المناسب، حيث كان صلى الله عليه وسلم في كل هذا الأسوة الحسنة، والمثل المحتذى.

ولقد كان هذا من أقوى الأسباب والعوامل لنجاح الدعوة، وسيرها في

---

(١) : نص في ظلال القرآن جـ١ ص ٣٠.

الخط المرسوم، نظراً لما في تصرفاته تلك من استغلال للطاقات وتجميع لها، وأخذ بالرأي الأمثل، وتحري الأصوب، وتحميل كل فردلمسؤوليته.

مما يستوجب إحساس كل منهم بمكانته، ودوره في سلوك أمته، فترتفع ملكات الفرد، و يكون المرء على صلة بما يدور في مجتمعه، فتتظافر الجهود، وتتآلف القلوب، وتعلوا روح الجماعة، وتنتصر الأمة على أعدائها، وتنجح الدعوة، و ينتشر الإسلام.

ولم يكن ذلك الاهتمام منه صلى الله عليه وسلم بإمكانيات أتباعه في النواحي العسكرية، وفي ميدان القتال فحسب ــ كما يتبادر إلى ذهن البعض ــ بل إن الأمر أشمل وأعم من ذلك، فسيرته صلى الله عليه وسلم كلها شواهد للدلالة على ذلك الإدراك منه لهذا الأمر، مما لم يعرف له البشر مثيلاً، والأدلة على هذا القول أكثر من أن تحصى، وأصعب من أن تستقصى، ولو استطردنا في هذا الموضع لطال الكلام وضاق المقام، ولكن نكتفي بإيراد بعض النماذج على تصرفاته صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب. وهي تنبيك عما سواها.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتم بالشورى في كل أموره امتثالاً لقول الحق تعالى: « وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ...» (سورة آل عمران : ١٥٩).

فمن يعرف سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى حبه لمشاورة أتباعه، واهتمامه بأمر الشورى ماثلا للعيان.

ففي غزوة بدر استشار الناس، فأشار المهاجرون، فلم يكتف، ثم استشار الناس، فأشار الأوس والخزرج (وهم الأنصار) ثم اتخذ قراره الأخير[١] .

ولما عسكر المسلمون في أدنى ماء من بدر جاء الحباب بن المنذر بن

---

(١) : سيرة ابن هشام ــ جـ٢ ص ٢٥٣.

الجموح فقال: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال الحباب : يارسول الله : فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نعور[1] ماوراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولايشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أشرت بالرأي» [2].

ولعله لن يغيب عن البال فعل نعيم بن مسعود يوم الخندق، عندما ندبه صلى الله عليه وسلم لخذل الأحزاب، بعد أن تجمعت القبائل المعادية لقتال المسلمين، وتكالب معهم بنو قريظة علىّ حرب الإسلام، وأصبح المسلمون في ضيق وكرب، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر فقال صلى الله عليه وسلم لنعيم: «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة [3]».

فكان من فعل نعيم ماكان، مما دل على فراسته صلى الله عليه وسلم، وحنكته وبعد نظره، وإدراكه لعواقب الأمور.

وكذلك ما كان منه صلى الله عليه وسلم من اختيار أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لصحبته حتى لقبا (بالوزيرين) ولقد كان يمضي معهما الوقت الطويل للنظر في قضايا المسلمين، ولما مرض صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، ولم يشك أحد من الصحابة في سلامة هذا الاختيار وأنه كان اختياراً موفقاً، فنجد المسلمين يختارون أبا بكر خليفة للمسلمين

---

(١) : نعور : معناها : نفسد. وذلك بأن يقذفوا في القلب وهي : البئر حجارة وترابا تفسدها على العدو، وفي رواية بالغين معناها نجعله يفوز في الأرض.

(٢) : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٢٦٠.

(٣) : السيرة الحلبية جـ٢ ص ٦٤٩.

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته يختارون عمر خليفة لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

وأما معرفة الرجال، ووضع كل في محله المناسب له، وتكليفه المهمة التي يصلح لها، فكان كذلك لا يجاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أحد.

فقد ثبت اتخاذه عدداً من الكتاب، كما اتخذ ثابت بن قيس خطيباً، وحسان بن ثابت شاعراً.

بعد أن عرف صلى الله عليه وسلم بحكمته البالغة، ومعرفته للأمور، ما للكلمة من دور مؤثر في نشر الحق، ودحر الباطل، في ذلك الزمان الذي بلغ فيه العرب أعلى مستويات الفصاحة، وقمة البلاغة، وأصبحت الكلمة ــ سواء شعراً أو نثراً ــ هي وسيلتهم في التعبير، ومن أمضى الأسلحة للذود على المبدأ، ولذلك نجد القبيلة تتخذ خطيباً أو شاعراً أو أكثر لهذا الغرض، حتى أصبح ثابت بن قيس بن شماس يلقب «بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]»

كما كان عليه السلام يحث حسان بن ثابت رضي الله عنه الملقب بـ(شاعر رسول الله) على هجاء المشركين، ويقول له: «أهج المشركين فإن جبريل معك[3]».

ولقد استفاد صلى الله عليه وسلم من هؤلاء وأمثالهم في نشر الدعوة، عندما بذلوا أنفسهم للذود عن رسول الله ودعوته، وجاهدوا في نشر الإسلام بمقارعة شعراء المشركين، وخطبائهم الذين كانوا يكيدون للإسلام والمسلمين.

---

(١) : انظر: كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ــ سعيد حوى جـ١ ص ٢١٥.
(٢) : البخاري جـ٣ ص ٧٩.
(٣) : صحيح البخاري جـ٣ ص ٣٥.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم إذا جاءته وفود العرب لتفاخره، أو تناظره بألسنة الفصحاء والبلغاء من خطبائها، ندب لهم ثابت بن قيس لمنازلة الخطباء، وحسان بن ثابت لمفاخرة الشعراء.

فعندما أتى وفد بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : «نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونخاطبك» وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يأذن لخطيبهم وشاعرهم، فأذن له فقام خطيبهم فقال مالديه، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يرد عليه، فرد وأحسن، ثم قام شاعر بني تميم فقال ما أراد، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يرد عليه، فغلب خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبهم، وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعرهم[1] .

وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا يدل على أنه يجب على الدعاة استغلال جميع الامكانيات، والاستفادة من كل الطاقات لنشر الدعوة، وأن لكل زمان أسلوبه المناسب للدعوة، مما يكفل لدعاة الإسلام الفوز والنجاح في دعوتهم، والوصول إلى هدفهم المطلوب.

وبعد هذا البيان المختصر عن أثر حسن اعداده، وتخطيطه صلى الله عليه وسلم للدعوة، ودور ذلك في نجاحها، أود أن أختم هذا المبحث بالإشارة إلى أمر هام، يؤكد مانحن بصدده، ودليل معقول لا نحتاج معه إلى كثير بيان عن شخصيته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأثر ذلك وتخطيطه في نجاح الدعوة، وأعني بذلك : استطاعته تحويل خامات الجاهلية المعطلة إلى إيمان، بأن بعث فيها روحها بعد مواتها، وأصلحها بعد فسادها، بفضل ما أعطاه مولاه، من الإيمان الواسع، واليقين العميق، والتعليم النبوى المتقن، مع حسن التخطيط، والشخصية الفذة، والمقدرة الفائقة، والتنفيذ المحكم، فكان أن

(١) : انظر : السيرة الحلبية جـ٣ ص ٢١٦.

حقق مراده وفق مراد الله تعالى، بنشر الدعوة الإسلامية، واعادة البشرية إلى صوابها، بفضل الله ومنّه، بعد أن هيأ تعالى لهذه الدعوة أسباب نجاحها وعوامل انتشارها[1] .

وإذا قضى الله أمراً يسر له أسبابه، وهو الحكيم العليم.

والمسلمون اليوم مطالبون باقتفاء آثار نبيهم، وسلفهم الصالح، لينشروا دعوتهم على نفس ذلك المنهاج الذي اتبعه صلّى الله عليه وسلم، خاصة أن أسباب وعوامل نجاح الدعوة متوفرة ولله الحمد.

العامل الثالث : نوعية الصحابة الذين رباهم ــ صلى الله عليه وسلم :

تحدثنا في المبحث السابق عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وشخصيته العظيمة، وعن تخطيطه واعداده للدعوة، وكيف قام بأعبائها بعون الله.. وهو صلى الله عليه وسلم،وان كان قام بالدعوة على الوجه المطلوب وفق مراد الله تعالى، فقد كان لصحابته وأعوانه الذين رباهم، وغذى أرواحهم بالقرآن، وأنار نفوسهم بالإيمان، أعظم الأثر في دعوته صلّى الله عليه وسلم، حيث كانوا من أهم عوامل نجاحها لتطبيقهم الإسلام، وفق مراد الله قولاً وعملاً سراً وجهراً « أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » «سورة المجادلة : ﴿٢٢﴾ »

فكان لابد لأي باحث في دعوة الإسلام، وعوامل نجاحها خاصة في مطلعها في عهد الرسول صلّى الله عليه وسلم من ذكر الرعيل الأول، والتعرض لمآثر ومفاخر ذلك الجيل المثالي، من الصحابة الكرام، والإشادة بدورهم في نشر الدعوة، ومؤازرة الرسول صلّى الله عليه وسلم، ومشاطرته أعباء الدعوة براحة بال، ورحابة صدر، وقوة ايمان، حتى نالهم من شديد

---

(١) : انظر : كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ــ فصل كيف حول الرسول خامات الجاهلية إلى عجائب انسانية ــ ص ١١٨.

الأذى ما نال رسولهم، ان لم يكن أشد في حق الضعفاء والمساكين، وكان لايمان تلك الطائفة من أفضل البشر وتصديقهم، واتباع النبي الأمي أعظم التأثير في مجرى الحياة، مما بقى أثره ماثلاً للعيان حتى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسأورد في الفقرات التالية نزرا يسيراً من بطولاتهم وتضحياتهم، وأثر الإيمان فيهم، وما أورده لايمثل شيئاً بالنسبة إلى حالهم، وواقع أمرهم، وماهو إلاّ كمثل القطرة في البحر، ولكن عذرى في ذلك عجزى عن الاحاطة بعظمتهم رضوان الله عليهم، وحتى لانخرج عن إطار بحثنا هذا، ونجمل الحديث عنهم في الفقرات التالية :

أ ــ التحول العجيب :

لم يكن تحول الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ إلى الإسلام، وهجر ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم أمراً ميسوراً، يمكن تحقيقه بسهولة و يسر لمن عرف ما كان عليه العرب من تفشي الجهل والضلالات، وما أثر عنهم من الاعتداد بالآباء، والتمسك بما هو موروث، وصعوبة تحولهم عنه.

إضافة إلى ما كان يصيب من اهتدى منهم إلى الإسلام من الايذاء والشدة من المشركين، وان كانوا أقرب الناس إليهم.

فكان نقلهم من ذلك الواقع شيئاً عجيباً، يصل إلى حد المعجزة، إلا أن كل هذا لم يكن ليقف في وجه الدعوة، وقام صلى الله عليه وسلم بذلك الاعتدال الغريب، وأحدث التحول العجيب بسبب الأسلوب الذي سلكه صلى الله عليه وسلم، في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والصراحة والوضوح، وبيان الحق دون ممالاة ولا مداهنة، ولاممارة فكان أن تحقق ما كان يصبو إليه صلى الله عليه وسلم من نشر الدعوة وانتصارها، ودخول الناس في دين الله افواجاً.

يقول الاستاذ أبو الحسن الندوى :

«لقد كان الانقلاب الذي حدث في نفوس المسلمين، وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب مافي تاريخ البشر، وقد كان هذا الانقلاب غريباً في كل شيء، كان غريباً في سرعته، وكان غريباً في سعته وشموله، وكان غريباً في وضوحه وقربه إلى الفهم. فلم يكن غامضاً ككثير من الحوادث الخارقة للعادة، ولم يكن لغزا من الألغاز[1] »

ولقد كانت رحلة شاقة، محفوفة بالمخاطر، وبقدر ما كان يصيبهم من قومهم من الايذاء بسبب اتباعهم لمحمد، فقد كان ايذاء قومهم لهم سبباً لقوة إيمانهم، وتمسكهم بالمبدأ الذي اتبعوه، والصراط الذي ساروا فيه، عندما وضعوا أيديهم في يد من صدّقوه وآمنوا به، واتبعوا النور الذي جاء به «وهو الحق من ربهم» فأسلموا أنفسهم له، وأرواحهم إليه، وهم من حياتهم على خطر، ومن البلاء والمحنة على يقين، ولكنهم فهموا بعد ان تغلغل في نفوسهم، ومازج أفئدتهم، قول الحق تعالى :« الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ » (سورة العنكبوت ــ ﴿٣﴾) فأدركته قلوبهم ، ووعدته أفئدتهم[2] .

وكأنهم بعد إسلامهم قد احتفظوا بالخط النفسي الذي يشكل حياتهم وتصرفاتهم، وهو الاستمساك والثبات على ما يعتنقونه.

فهم قاوموا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخط، وثبتوا على معاييرهم الجاهلية ثباتاً مزعجاً، حتى اقتلعهم منه القرآن باعجازه الباهر، والنبي صلى الله عليه وسلم بحكمته الفائقة.

---

(١) : ماذا خسر العالم ص ٩٩.

(٢) : انظر : ماذا خسر العالم ص ٩٦ بتصرف.

فلما دخلوا الإسلام عمل هذا الخط عمله في الحق بأكثرما عمله في الباطل، فثبتوا على الإسلام ثبات الجبال الراسيات، فقارعوا به الأقربين والأبعدين، وجميع من خالف فكرهم ومعتقدهم.

ولعل إلى هذا[1] يشير الحديث الشريف «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام اذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية[2]»

فحصل لهم بذلك الموقف النصر والفوز في الدنيا والآخرة، ولم يكتب لأعدائهم إلا الهزيمة والخسران المبين مصداقاً لقوله تعالى: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» (سورة غافر — ٥١).

فهذا عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وغيرهم كثر كانوا أشد الناس عداوة للدعوة، وعندما هداهم الله للإسلام انقلبت قسوتهم على الإسلام جهاداً في سبيل الإسلام، والدعوة إليه، مما عاد على الدعوة بأعظم النتائج.

ب — التحمل الفريد:

الإيمان ليس كلمة تقال باللسان، انما هو حقيقة ذات تكاليف ومعاني، وأمانة ذات أعباءومسؤوليات، وجهاد يحتاج إلى صبر وجلد، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا بل لابد أن يتعرضوا نتيجة لذلك للفتنة، فيثبتوا على الحق، ليخرجوا بذلك صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم.

ولقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذه الحقيقة، ووعتها قلوبهم،

---

(١) : انظر : معنى الحديث عند ابن تيمية في منهاج السنة — منشورات مكتبة الرياض الحديثة — جـ٢ ص ٣٣٩.

(٢) : رواه البخاري جـ٢ ص ٢٦٤. (كتاب : بدء الخلق باب : قوله تعالى :«ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا).

ومارسوها درساً عملياً في شدة التحمل، وقوة الصبر، ومواجهة الابتلاء، وكيف لايدركون هذه الحقيقة، وهم يعيشون فترة عجيبة؟

فترة اتصال السماء بالأرض اتصالاً مباشراً ظاهراً متبلوراً، في الحوادث، والقرآن الذي ينزل به الروح الأمين على الرسول الأمين، الذي يعيش بينهم يربيهم بخلقه الفاضل، ويؤدبهم بالأدب النبوى المتخلق بأخلاق القرآن، و يقوى فيهم العزيمة بجهاده المتواصل، و يرشدهم أن الايمان أمانة الله في أرضه لا يتحملها إلا من وهبهم المولى ـ عز وجل ـ القدرة على حملها من أمثال ذلك الجيل الفريد، الذين رباهم صلى الله عليه وسلم، حتى أصابهم في دينهم من الابتلاء والامتحان في العقيدة ماتعجز عن حمله الجبال[1] .

وقد سطر لنا المؤرخون وكتاب السير من الصور العجيبة، والحوادث الفريدة من أولئك مايضيق المجال لذكره، وما لايصدقه إلا المؤمن، الذي ذاق حلاوة الإيمان.

فقد تحملوا الأذى البدني المروع الذي صب عليهم من «أكابر المجرمين» [2] كما ساهم القرآن الكريم، تحملوا خسارة التجارات والأموال، وصبروا على مشقة الجوع والعطش، حتى حوصروا في الشعب، وصبروا على الغربة، حين غادروا الديار، وهجروا الأوطان، وأرخصوا الأهل والمال، فتركوها وراءهم ظهريا، ورحلوا إلى بلاد بعيدة، وأقوام غرباء عنهم في اللغة والبلاد والعادات، وهذه تضحية جسيمة بالغة الجسامة، اذا ما قيست بحياة العربي الذي كان يحب وطنه وقومه يعيش حراً، و يلوذ بقبيلته وأهله، و يصعب عليه أن يفارقهم إلا ريثما يعود لهم بعد رحلة قصيرة.

وهكذا سهلت عليهم الصعاب في سبيل عقيدتهم، وثابروا على نصرة

---

(١) : انظر : كتاب في ظلال القرآن جـ٥ ص ٢٧٢٠.

(٢) : في الآية (١٢٣ ـ سورة الأنعام) قال تعالى :«وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها..» الآية.

دينهم، وكان الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بينهم يشعل جذوة الإيمان في نفوسهم، و يقوى عزائمهم، و يشد عضدهم.

روى البخارى في الصحيح، قال : «حدثنا سفيان حدثنا بيان واسماعيل قالا :« سمعنا قيسا يقول : سمعت خبابا يقول : أتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله فقعد وهو محمر الوجه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمنشار الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه و يوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه».[1] الحديث.

ولقد عقد ابن هشام فصلاً في السيرة عنوانه «ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة» ذكر فيه ما أصاب آحاد المسلمين من الابتلاء والامتحان بسبب ايمانهم بعد أن أصيب رسولهم بالأذى ــ كما سبق.

ومما قاله ابن اسحق : «انهم عدو على من أسلم واتبع الرسول عليه الصلاة والسلام من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ، و يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش و برمضاء مكة اذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب[2] لهم و يعصمه الله منهم.

وكان بلال مولى أبي بكر ــ رضي الله عنهما ــ لبني جمح مولد من مولديهم، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر

(١) : رواه البخارى جـ٢ ص ٣٢١. كتاب بدء الخلق ــ باب : مالقى النبي وأصحابه من المشركين بمكة.
(٢) : يصلب : أي يصمد.

بمحمد وتعبد اللآت والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد» [1].

وما زال على هذه الحال من الشدة والبلاء مع غيره من المستضعفين العبيد حتى أعتقهم أبو بكر رضي الله عنه [2].

وكان ــ عدو الله ــ أبو جهل اذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه، وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيلن رأيك [3]، ولنضعن شرفك، وان كان تاجراً قال : والله لنكدس تجارتك، ولنهلكن مالك، وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به [4].

لقد تحمل أصحاب النبي رضوان الله عليهم من المشركين أشد أنواع الأذى والابتلاء المادى والمعنوى، إلى الدرجة التي كان يبلغ العذاب فيها ذروته، فيعطي المسلم بلسانه قولا يفتدى به من العذاب في حينه، ولكن لا يصرفه ذلك أبدا عن دينه.

أخرج ابن اسحاق عن سعيد بن جبير قال :

«قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركين يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب مايعذرون به في ترك دينهم؟ قال : نعم والله، ان كانوا ليعذبون أحدهم ويجيعونه و يعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له : اللات والعزى الهك من دون الله. فيقول : نعم. حتى ان الجعل [5] ليمر بهم فيقولون له : هذا الجعل الهك من دون الله. فيقول : نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده [6].

---

(١) : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٣٩.

(٢) : انظر : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٤٠.

(٣) : قوله : لنفيلن رأيك : أى نقبحه ونخطئه كما جاء في القاموس.

(٤) : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٤٢.

(٥) : الجعل : حشرة صغيرة حقيرة.

(٦) : سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٤٢. وزاد المعاد جـ٢ ص ٤٣.

وهكذا يظهر جليا مدى العذاب المهين الذي صب على الصحابة رضي الله عنهم، ومدى ما تحملوه في سبيل الله، كما يظهر أيضاً أثر الإيمان اذا خالط بشاشة القلب كيف يعمل عمله، فيحول الضعف قوة، والخوف اقداماً وجرأة، حتى حقق أولئك رغم قلتهم، وكثرة عدوهم ما كانوا يصبون إليه من النصر، والتمكين والعزة، والشهادة في سبيل الله، مصداقاً لقوله تعالى : « كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ »(سورة البقرة ـ ٢٤٩)

ولقد كان لتحملهم وصبرهم وكفاحهم أعظم الآثار في انتشار الإسلام، ونجاح الدعوة، بعد أن علمهم ايمانهم القوى، وعقيدتهم الثابتة، اقتضى الله تعالى بحكمته أن يمتحن النفوس و يبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكرامته، ومن لايصلح ومن يقدر على تحمل أعباء الدعوة ومن لايقدر، وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها[1] بكير الامتحان، كالذهب الذي لايخلص ولا يصفو غشه إلا بالامتحان.

ولما كان أمر الدعوة، والقيام بشؤونها أمانة كبيرة، ومسؤولية عظيمة، فكان لابد من الامتحان لتقوى تلك النفوس على القيام بالدعوة وواجباتها، حيث كانت حال الصحابة، وما أصابهم من العذاب تمحيصاً لايمانهم، ودفعا لهم إلى التضحية والجهاد في سبيل الدعوة ونشرها، فكان تحملهم هذا عاملاً من عوامل نجاح الدعوة.

جـ ـ العلم والعمل :

لقد أقيمت هذه الدعوة على قاعدتين هامتين، هما : العلم النافع والعمل الصالح فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الذين رباهم حريصين على تطبيق هاتين القاعدتين.

---

(١) : كير الحداد منفخه من جلد غليظ ذو حافات. وقد يكون آلة من حديد يصدر منها الهواء لاشعال نار الحداد.

فرسول الله صلى عليه وسلم، كان نموذجاً للمتعلم الباحث عن العلم النافع، والحريص على التلقي المتقن، والتطبيق الكامل لكل ما يتعلمه، يدل على ذلك ما كان من حرصه عندما كان يتلقى الوحي من معلمه جبريل، حتى ان القرآن الكريم يرشده إلى أن الله تعالى الذي أنزل هذا القرآن، كفيل بتعليمه اياه وحفظه، و يوجهه إلى عدم ارهاق نفسه في ذلك.

قال تعالى : « لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ » (سورة القيامة ــ ﴿١٩﴾) ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدر الذي كان فيه حريصاً على التلقي من معلمه جبريل، كان حريصاً على تعليم أصحابه، وارشادهم وهدايتهم، قولاً وعملاً.

واما الصحابة فكان من شدة حرصهم على العلم وطلبه، ان اخذوا يلازمون لرسول الله، ويخدمونه ليتلقوا من علمه، و يشاهدوا عمله، حتى يحصل لهم العلم المقرون بالعمل، كما كان من أنس بن مالك، وأبي هريرة وغيرهم كثير، بعد أن جعلوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم معلمهم وقدوتهم، امتثالا لقوله تعالى . « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا »(سورة الأحزاب ﴿٢١﴾).

وطبقوا أحكام الإسلام في كل شأن من أمرهم، بعد العلم والمعرفة، لأن الإيمان الذي شعشع في نفوسهم علمهم أنه لا ايمان بدون عمل، ولاعمل بدون علم ومعرفة تامة بأحكام هذا الدين، فجعلوا علمهم وسيلة لعملهم، فاستغلوا طاقاتهم، وسخروا امكانياتهم في سبيل عقيدتهم، ونشر دعوتهم، واجتبنوا بذلك مانوه عنه القرآن الكريم من الذم الوارد في حق ما خالف قوله فعله في قوله تعالى :« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ »(سورة الصف ﴿٣﴾).

وكان في سلوكهم هذا أقوى الضمانات لنجاح الدعوة، بعد أن علمتهم عقيدتهم أن العلم بدون عمل لا ثمرة له، ولا خير يرجى منه.

فجعلوا في مقدمة اهتماماتهم القرآن الكريم واتقانه، وتطبيق أحكامه، راغبين في كل علم نافع.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «(والله الذي لااله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم اين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)[١] .

وثبت أنهم كانوا يتعلمون القرآن خمس آيات وعشر آيات لايبارحونها حتى يتعلمونها و يعملوا بها[٢] .

وكان لعلمهم أعظم الآثار في تهذيب النفس، وتقوى الله، واتباع الصراط المستقيم، والبعد عن الشر وأهله، وتعميم الخير وإقامة الحق والعدل، ونشر دعوة الإسلام، عندما كانوا يختلفون إلى مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيصيبون منها علماً وهدى وفضائل وسجايا وآداباً وأحكاماً، ما اتسعت لذلك أوقاتهم، وساعدت عليه ظروفهم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ــ وهي من عوالي المدينة ــ فكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً[٣] .

ولهذا السبب نجد البون شاسعاً بين أولئك القوم والمسلمين اليوم، بسبب بعد المسلمين عن القرآن، وهجرهم له، واستبدال أحكام من أنفسهم ومن شياطنهم، بأحكام القرآن.

---

(١) : رواه البخارى جـ٣ ص ٢٢٨.

(٢) : انظر : الاتقان جـ١ ص ٥٧.

(٣) : حديث صحيح رواه البخاري جـ١ ص٢٨ وانظر : مع الرعيل الأول ــ محب الدين الخطيب ــ الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ ــ ص٧٢.

قال تعالى : « وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا » (سورة الفرقان ٣٠).

(ولقد كان القرآن الكريم هو النبع الأول الذي استقى منه ذلك الجيل أحكامه وأخلاقه (القرآن وحده) عندما كان ذلك الجيل يقرؤون القرآن الكريم للعلم والعمل، وطاعة الله ورسوله، كما لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الدنيا، أو الثقافة الزائدة، إنما كان يتلقى أمر الله في خاصة شأنه، وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وهذا هو الفارق)[1] .

فحازوا قصب السبق في الورع، والتقوى والزهد، والعدل وبلغوا درجة الكمال المقدورة لهم، حتى جاء مدحهم والثناء عليهم، من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى : «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ» (سورة براءة ١٠٠).
والآيات في ذلك كثيرة.

كما ورد الثناء عليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأحاديث مستفيضة، متكاثرة، منها ما جاء في الصحيحين.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم أو نصيفه[2] »».

ولذلك فعدالة الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، وعلو مكانتهم، وفضلهم

---

(١) : معالم في الطريق — ص ١٢.. بتصرف.

(٢) : رواه البخاري جـ١ ص ٢٩٢ — باب فضل الصحابة. ورواه مسلم جـ٤ ص ١٩٦٧ — باب تحريم سب الصحابة).

ثابت لهم، معلومة من دين الإسلام بالضرورة، ولا يشك في ذلك إلا منافق مكابر لهدي القرآن.

قال الخطيب[1] البغدادي في «الكفاية»: «إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره بطهارتهم، واختياره لهم بنص القرآن في آيات يكثر إيرادها، ويطول تعدادها، ووصف رسول الله عليه وعلى آله السلام الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم، وأحسن الثناء عليهم، من ذلك:

ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم يجيئني قوم تسبق أيمانهم شهادتهم، ويشهدون قبل أن يستشهدوا[2]».

وجميع ما ورد في ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له[3]».

وهكذا كان شأن الصحابة في سلوكهم وعلمهم وعملهم فكان لهم دوراً كبيراً في نجاح الدعوة، لأن المجتمعات لبناتها الأفراد، والأمم لبناتها الأسر، فإذا صلح الفرد والأسرة، قامت أمة عظيمة كريمة، ولقد كان هذا ما حدث هنا، فلقد أصبح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل منهم كأنه أمة واحدة، في الطاعة والامتثال والصدق والصلاح والعلم والعمل،

---

(١) : الخطيب البغدادي : هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب أحد الحفاظ المؤرخين المتقدمين، ولد سنة ٣٩١هـ ونشأ ببغداد، له مؤلفات كثيرة في علوم الحديث والأحكام والتاريخ. كان كثير الترحال في طلب العلم.
توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر : وفيات الأعيان ــ جـ١ ص ٢٧، والبداية والنهاية : جـ٢ ص١٠١.

(٢) : رواه البخاري جـ١ ص ٢٨٧ ــ باب فضل الصحابة ــ ورواه مسلم جـ٤ ص ١٩٦٢ ــ (باب فضل الصحابة).

(٣) كتاب الكفاية في علم الرواية ص ١٣.

وأصبحوا خير مثال في الأرض لدعوتهم فكانوا قدوة، وكان حسن إسلامهم دافعاً لغيرهم في الدخول في الإسلام، فنجحت بهم الدعوة.

العامل الرابع : تضحياتهم وجهادهم :

تحدثنا فيما سبق عن الجهاد في سبيل الله، وكونه عاملاً مهماً من عوامل نجاح الدعوة، ولكن قد يكون المبدأ سليماً ولا يطبق، والدين صحيحاً ولا يطاع، والتكليف على غاية الأهمية ثم يهمله أتباعه.

ومن هنا نتحدث في هذا المبحث عن فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وكيف حولوا المبادىء إلى حقائق تدرج على الأرض، وجعلوا التكاليف رجالا تمشي على قدمين، حتى غدا الجهاد عندهم شوقاً، والغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة لدينهم غراماً وكلفاً، والموت في سبيل الله أمنية محبوبة.

قال تعالى : « وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ » (سورة آل عمران ــ ١٤٣).

ولما كان لجهادهم وتضحياتهم أكبر الآثار في إنجاح حركة الدعوة وثباتها وحمايتها، وسرعة انتشارها، خاصة إذاعلمناأنهم كانوا يجابهون أعداء جفاة الطباع، غلاظ الأكباد، لايتورعون عن استئصال الدعوة، واجتياحها لولا أن الله تعالى هيأ لها هذا الجيل من المجاهدين، حيث بذلوا تضحيات نادرة (بالنفس والمال والأهل) في سبيل الدعوة، على ما نوجز بيانه فيما يلي:

التضحية النادرة:

لقد كان من نعم الله تعالى، وفضله على المسلمين، وعلى الدعوة الإسلامية أن منح أولئك الصحابة رضوان الله عليهم ــ على قلتهم عدداً وكثرة عدوهم ــ القدرة على الثبات على الحق، وتحمل المشاق والصبر على الأذى. في سبيل العقيدة، وبسببها، فكان أن قابلوا تلك الشدائد التي

تعجز عن حملها الجبال، و يشيب من هولها الولدان، بإيمان قوي، وعزيمة صلبة، وشجّاعة خارقة للعادة، وحباً فريداً لهذه الدعوة، لايدانيه حب النفس أو الأهل أو الولد أو حب شيء آخر في الوجود، فما كان إلا قدموا التضحيات الهائلة، والجهاد المتواصل، ورخص في أعينهم كل غال ونفيس من أجل العقيدة، ومحبة الله تعالى، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد شدهم ذلك إلى الحنين إلى الجنان، والشوق للآخرة لمّا عرفوا ما أعده لهم تعالى من ثواب جزيل، فكان حب التضحية والاستشهاد في سبيل الله فوق أي غرض آخر.

فكانت عداوة قومهم لهم قوة هائلة تدفعهم إلى التضحية والبذل بسخاء، وكلما زادت غضبة قومهم عليهم، وعداوتهم لهم زاد هؤلاء المجاهدون في الثبات على المبدأ، والصمود على الحق، فقدموا أنفسهم وأموالهم بعد أن جادوا بها لايريدون لها ثمناً إلا من الله تعالى يوم القيامة.

فسطر لنا أولئك الجنود من (جنود الدعوة) صحائف من نور تشع بالتضحية والفداء، ووهبوا أرواحهم، ودماءهم وأموالهم في سبيلها، وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل هذه الدعوة: ضحوا بالنفس، وجادوا بالمال، وأرخصوا الأهل والولد وكل شيء في سبيل هدف واحد، وغاية واحدة هي جعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فكان لهم ما أرادوا بفضل الله. ومهدوا لنا الطريق وانارو لنا سبيل الدعوة ونشرها.

وفيما يلي بعض النماذج من تضحياتهم، والتي هي أكثر من أن تحصى، وأصعب من أن تستقصى، لأن لكل منهم رضوان الله عليهم مواقف لا تنسى، و بطولات لا تنكر، ومن ذلك :

١ ـ التضحية بالنفس :

إذا كانت النفس أعز ما يملك الإنسان، وأغلى مايحرص على حفظه لما فطره الله عليه، فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين رباهم قد

رخصت عندهم أنفسهم، وهانت عليهم الحياة في سبيل الله، فبذلوا أنفسهم ثمناً لعقيدتهم، وضحوا بكل شيء من أجلها، وكانوا جميعاً على هذا المنوال وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وأشراف قريش ممن اهتدوا للإسلام، وناهيك بما كان من عمار بن ياسر وأبيه وأمه وبلال بن رباح وغيرهم من المستضعفين.

فهذا أبو بكر رضي الله عنه ينفرد به المشركون في المسجد مع قلة مستضعفة من اصحابه فيضربونه ضرباً شديداً، ويدنو من أبي بكر عتبة بن ربيعة ويأخذ يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، وينزو[1] على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، حتى جاءه بنو تيم فأجلوا المشركين عنه، وحملوه في ثوبه إلى بيته لا يشكون في موته، ثم لما رجعوا للمسجد قالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، ويبقى بعد ذلك زمناً على فراشه كلما سأل عن حالة قال: مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]؟.

ولم يكن هذا قاصراً على حال الأشراف منهم، وأهل الشوكة والمنعة وإنما كان أمراً عاماً فيهم حتى المستضعفين والعبيد كعمار بن ياسر وأبيه وأمه، وخباب، وصهيب، وبلال وغيرهم.

أخرج الإمام أحمد عن عثمان رضي الله عنه قال : ألا أحدثكم عن عمار؟

أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بيدي نمشي في البطحاء، حتى أتى على أبيه وأمه وعليه يعذبون. فقال أبو عمار: يا رسول الله الدهر هكذا؟ فقال له صلى الله عليه وسلم: «إصبر، ثم قال: اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت[3]».

---

(1) : وينزوا : أي يصعد ويرتفع عليه.

(2) : انظر : كتاب حياة الصحابة جـ١ ص ٤١٢.

(3) : أخرجه الإمام أحمد في المسند ــ جـ١ ص ٤٤٠.

وهكذا كانت هذه الأسرة الكريمة تعذب بأشد أنواع التعذيب، وكانت سمية (أم عمار) أشد هذه الأسرة إصابة وتضحية، فكانت رضي الله عنها أول شهيد في الإسلام، بعد أن طعنها ــ عدو الله ــ أبو جهل في قبلها فماتت، ومات بعدها زوجها في العذاب[١].

وتضحيات بلال بن رباح أشهر من أن تذكر، بحيث لا تخفى على أحد[٢]. منها ما أخرجه أبو نعيم[٣] (في الحلية)«أن بلال من أول السبعة السابقين للإسلام وكان من المستضعفين الذين ألبسوا أدراع الحديد ثم جروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ماشاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس، فلما كان في العشي أتاهم أبو جهل ــ لعنه الله ــ ومعه حربة فجعل يشتمهم و يوبخهم[٤]».

وقال ابن القيم: «ومنهم بلال بن رباح فإنه عذب في الله أشد العذاب فهان على قومه، وهانت عليه نفسه في الله[٥]».

وأنه لن تغيب عن البال تضحية خبيب بن عدي وأصحابه الكرام الذين قتلوا غيلة، وقد لخص (ابن القيم) قصتهم بقوله:

«قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عضل والقارة وذكروا أن فيهم إسلاماً وسألوه أن يبعث من يعلمهم الدين و يقرئهم القرآن فبعث معهم ستة نفر في قول ابن إسحاق، وقال البخاري: كانوا عشرة وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وفيهم خبيب بن عدي فذهبوا معهم فلما كانوا

---

(١) : انظر : الاصابة ــ جـ٣ ص ٦٤٧.

(٢) : للاستزادة عن حياة بلال : انظر : أسد الغابة جـ١ ص ٢٠٦ وغيرها.

(٣) : أبو نعيم : هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ولد سنة ٣٣٦هـ ــ حافظ، له عدة تصانيف تدل على اتساع روايته، وقوة اطلاعه سنة ٤٣٠هـ في بلده أصبهان.
انظر : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٤٥، والأعلام جـ١ ص ١٥٧.

(٤) : حلية الأولياء جـ١ ص ١٤٠.

(٥) : زاد المعاد جـ٢ ص ٤٣.

بالرجيع وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا، فجاءوا حتى أحاطوا بهم فقتلوا عامتهم، واستأسروا خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما، وباعوهما بمكة وكانا قتلا من رؤسهم يوم بدر، فأما خبيب فمكث عندهم مسجوناً ثم أجمعوا على قتله فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم، فلما أجمعوا على صلبه، قال: دعوني حتى أركع ركعتين، فتركوه فصلاهما، فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا إن مابي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا، ثم قال :

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم مبدي العداوة جاهد
علي لأنني في وثاق مضيع

إلى أن قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي شق كان في الله مضجعي

وذلك في ذات الإله وان يشأ
يبارك في أوصال شلو ممزع

وما من شك أنه كان لهذا الثبات الأشم، والتضحيات الهائلة وقعتها الأكيدة في نفوس الكفار، وفي أرجاء بلاد العرب، بل في نفس كل إنسان يعجب بالشجاعة، وينتشي للبطولة، ومن هنا تنتقل الأخبار، وتتواتر الآثار للناس، ويقولون: إن هذا الدين يصنع الأعاجيب، في نفوس أصحابه، ومن هذا المدخل الهادىء يتسرب الإسلام إلى النفوس حتى وصل التأثير إلى قلب ــ زعيم الشرك ــ أبي سفيان، وقائد العير والنفير ضد المسلمين، فقال أبو سفيان لخبيب:

«أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه، وإنك في أهلك؟ فقال: لا والله مايسرني أني في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه[1] ».

ولاشك أنه كان لهذا الجواب الحاسم، والوفاء والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خبيب أثره في نفس أبي سفيان حتى يقول:

«ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتل رضي الله عنه»[2] .

وزميل خبيب وأخوه في الله (زيد بن الدثنة) لم يقل عنه في التضحية، ابتاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه[3] .

ولقد أسلم كثير بعد موقف خبيب وزيد ممن حضروا قتلهما[4] . حتى لقد تغنى الشعراء بأمرهما وأمر دينهما فقال القائل:

أسرت قريش مسلما في غزوة
فمضى بلا وجل إلى السياف

سألوه هل يرضيك أنك سالم
ولك النبي فدا من الاتلاف

فأجاب : كلا لا سلمت من الردى
ويصاب أنف محمد برعاف

الله أكبر ، الله أكبر ، إنه الإيمان.

---

(١) : زاد المعاد جـ٢ ص ١٠٩.

(٢) : حلية الأولياء جـ١ ص ١١٢. وفي سيرة ابن هشام ان قول أبي سفيان هذا كان لزيد بن الدثنة. بخلاف مارواه ابن قيم الجوزيه.

(٣) : انظر : سيرة ابن هشام جـ٣ ص ١٦٤، وزاد المعاد جـ٢ ص ١٠٩، وحياة الصحابةجـ١ ص ٧٨٣.

(٤) : انظر : سيرة ابن هشام جـ٣ ص ١٦٥، ١٨٧.

وهذا قليل من كثير من تضحياتهم، التي تعددت وتنوعت، حتى بلغت الآفاق، وضربت رقماً قياسياً في مجال التضحية والفداء، وكانت مضرب الأمثال وعاملاً مهماً في نجاح الدعوة.

٢ ـ التضحية بالمال :

لانزال في أن المال عصب الحياة، ومن أجل ذلك فطر الناس على حبه، قال تعالى: « ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا » (سورة الكهف ـ ٤٦).

ولما كان المال بهذه المنزلة فمن الصعب أن يتنازل عنه المرء، بل من الصعب أن يتساهل في تحصيله، لكنا نجد تلك الفئة الخيرة، من (جند الدعوة) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين غرس في قلوبهم قوة الإيمان، ورباهم على التضحية، قد استرخصته، ولم تعبأ به، في سبيل حصولها على مايقربها إلى الله تعالى.

وأن سيرة أولئك القوم الأكارم لتزخر بالوقائع التي تنم عن زهدهم في الدار الفانية، لينالوا الحضوة في الدار الآخرة.

وتضحيات الصحابة رضوان الله عليهم عندما هاجروا إلى المدينة، وتركوا مالهم في مكة، في أيدي المشركين، أكثر من أن تحصى، وأكبر دليل على صدق إيمانهم، حين كانوا في أمس الحاجة إلى ذلك المال، حتى نزل القرآن الكريم في الثناء عليهم، وعلى تضحياتهم التي في مقدمتها التضحية بالمال، كقوله تعالى: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ» (سورة البقرة ــ ٢٠٧).

حيث نزلت هذه الآية بعد أن هاجر صهيب بن سنان رضي الله عنه للمدينة مقابل ترك ماله للمشركين[١] . عندما قالوا له: « لانتركك تذهب

---

(١) : انظر : تفسير القرطبي ص ٧٢٨.

غنياً وقد جئتنا صعلوكاً ولكن دلنا على مالك بمكة. ونخل عنك، فعاهدوه على ذلك ففعل[1] ».

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت الآية، فقال صلى الله عليه وسلم: «ربح البيع أبا يحيى[2] ».

ولا شك أن لإرخاصهم المال بتلك الصورة، وعلى هذا النحو، أعظم الآثار في نجاح هذه الدعوة، لمن عرف تلك المكانة للمال في النفوس، فيقتنع غيرهم بأن هذا الدين الذي يضحي في سبيله بتلك الصور الفريدة هو دين الحق، وأن ما عداه هو الضلال، فيدخل في نفوسهم برضاء واختيار.

٣ ــ التضحية بالأهل :

من العسير على كل إنسان أن يعيش في منأى عن أهله، وهم الذين عاش في كنفهم، وكيف يقوى المرء على مفارقتهم، وقد حملوه صبياً، واحتضنوه غلاماً، وأنسوا به يافعاً، وركنوا إليه كهلاً، وبادلهم هو نفس المشاعر، وشاركهم نفس الأحاسيس.

غير أن الإيمان بالعقيدة، يصنع العجائب ويحدث المعجزات، فهاهم أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستمرؤون فراق أهليهم، فراراً بدينهم، حتى وصل الأمر بهم إلى معاداتهم، وشهر السيوف في وجوههم، سواء كان أباً أو أخاً أو قريباً، مضحين بكل شيء في سبيل هذه الدعوة، حباً لها، ودفاعاً عنها، وجهاداً في سبيل نشرها « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ » (سورة الزمر ﴿١٨﴾).

لأن أولئك القوم (من حزب الله) امتثلوا قوله تعالى:

---

(١) : الاستيعاب جـ٢ ص ١٧٤. والصعلوك : الفقير.

(٢) : حلية الأولياء للأصفهاني ــ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م ــ جـ١ ص ١٥١.

« لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (سورة المجادلة ٢٢).

ونحن عندما نتحدث عن تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك، وأثر تلك التضحيات في نجاح الدعوة، لن نذهب بعيداً فالهجرة الى الحبشة، والهجرة للمدينة أكبر مثال على جسامة تلك التضحيات حيث هاجر الصحابة رضوان الله عليهم فارين بدينهم، تاركين أهليهم وأموالهم، منتظرين الفرج من الله تعالى.

فأرخصوا الأهل، وضحوا بالعشيرة في سبيل العقيدة، في حين كان العرب أشد الناس احتفالاً بعصبية القبيلة والعشيرة والبيت، ولا شك أنه كان لتصرفات الصحابة تلك المخالفة لفطرة العرب ــ آنذاك ــ صداها الواسعةالتي رددتها نجاد الجزيرة ووهادها[1] ، مما لفت الأنظار إلى هذه الدعوة، ودلل على صحتها وثباتها، ومن ثم اتجاه الناس إليها خاصة عندما نعلم أن العرب كانوا يقدرون البطولات، ويجلون التضحيات.

وتضحيات هؤلاء الذين هاجروا، وتركوا أهلهم وأوطانهم، قد تكون أسهل وقعاً على النفس، وأقل أثراً في الناس عن حال من هاجر بأهله فارين بدينهم، فيلحق به أعداء الله، وأعوان الشيطان من المشركين، ويمنعوا أهله عن مرافقته، ويمكنوه هو من الهجرة ظناً منهم أن ذلك سيثنيه عن عزمه، أو يحول من دون مراده، وهذا ماحصل لأبي سلمة المخزومي، أول من هاجر

(١) : نجاد : مفردها نجد وهو ما ارتفع من الأرض، ووهاد : مفردها وهده وهو المكان المطمئن.

من المسلمين للمدينة، ولندع زوجته أم سلمة[1] رضي الله عنها تروى لنا محنتها حيث تقول فيما نقله ابن إسحاق:

«لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل[2] لي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد، قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، قالوا: لا والله لانترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم، حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بيني وبين زوجي وابني، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريباً منها، حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا ترحمون هذه المسكينة؟! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت: فقالوا لي: إلحقي بزوجك إن شئت[3] ».

ولقد كان لتلك التضحيات الهائلة، التي لم يسجل التاريخ في صفحاته لها مثيلاً أعظم الآثار لنجاح الدعوة، لأنه مهما كانت عداوة قومهم لهم، وقسوة قلوبهم، وغلظ طباعهم، فإن الدعوة تتسرب إلى نفوسهم في هدوء وروية عندما يقفون منبهرين [4] أمام تضحيات تلك القلة من (جنود الدعوة) ونتجاوز عن تلك التضحيات الضخمة الهائلة، لنقف عند نوع آخر من التضحيات قد لا يصدقه أحد من الناس، إلا من ذاق حلاوة الإيمان،

---

(١) : أم سلمة : اسمها هند وغلبت عليها الكنية بأم سلمة ابنها، بنت أحد سادة بني مخزوم وهو : أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبدالله المخزومي و يلقب «بزاد الراكب» لكرمه وجوده، تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد موت زوجها عبدالله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي. انظر : البداية والنهاية : جـ٨ ص ٢١٤.

(٢) : رحل بعيره : أناخه بعد أن شد عليه للركوب.

(٣) : سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٧٧.

(٤) : انبهر : تتابع نفسه.

وصدق اليقين والحب الذي لا يوازيه حب لله ولرسوله ولدعوته، ونعني بذلك تضحية (عبد الله بن عبد الله بن أُبي) رضي الله عنه وأرضاه، ذلك النموذج الرفيع للمسلم المتجرد، الصادق الإيمان، عندما يشقى بأبيه (زعيم المنافقين) ويضيق بأفاعيله، ويخجل من مواقفه، فيستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان عازماً على قتله، بسبب ما أصاب المسلمين من شره، أن يقوم بقتل أبيه، ويقول الابن معللاً كيف حوله الإيمان، وأثر فيه، حتى أصبح حبه المفرط لوالده بغضاً بعد أن أصبح عدواً لله ولرسوله: يا رسول الله: «إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلاً، فرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ماكان لها من رجل أبر بوالده مني، واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي انظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفق به، ونحسن صحبته مابقي معنا(١) ».

وهكذا ندرك كيف كانت تضحيات الصحابة هائلة، لايمكن وصفها أوتصورها بعد أن علمهم إيمانهم القوي، ويقينهم الصادق، أن حكمة الله تعالى اقتضت وجود الصراع بين دعوة الحق وأصحابها، وبين قوة الشرك وحزب الشيطان، وأنه لابد لهذه الدعوة من قوة تحميها وتدافع عنها، وتطبعها بطابع الجد الذي يناسبها، فكانت تلك التضحيات الجسام بالرغم مما فيها من كلفة ومشقة ضرورية ليتميز بها الحق من الباطل، والصدق من الزيف والضلال، وبذلك تقوى الدعوة وتنجح بإذن الله تعالى.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فالذي يقع غالباً أن كثرة الناس تقف متفرجة على مايبذله هؤلاء المجاهدون، وما يجدون به من تضحيات، حتى إذا تضخم رصيد التضحيات والآلام من قبل دعاة الإسلام، وهم ثابتون على الحق، ماضون في طريقه، قالت الكثرة المتفرجة، أو شعرت من

---

(١) : سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٣٣٧.

حيث تدري أو لا تدري، أنه لايمسك أصحاب الدعوة على دعوتهم على الرغم من تضحياتهم الجسيمة إلا أن في هذه الدعوة ماهو أغلى مما يضحون به وأثمن، وعندئذ تتقدم الكثرة المتفرجة من الناس بمن فيهم المعاندين والمكابرين، لترى ماهو العنصر الغالي الثمين الذي يرجح كل أغراض الحياة، بل الحياة ذاتها عند (جند الدعوة) وعندئذ يدخل المتفرجون أفواجاً في هذه الدعوة بعد طول التفرج والانتظار، وبذلك نجحت الدعوه، ودخل الناس في دين الله أفواجاً(١).

نماذج من جهادهم واستشهادهم :

بيّنا فيا سبق كيف أن الله تعالى، أراد للإنسانية الخير والفلاح، عندما منح ذلك الجيل، من جنود الحق، أنفساً قوية، تتدفق منها روح الإيمان، وحب الإيثار، والشوق إلى الجنان ، التي أعدها المولى لعباده المؤمنين الصابرين، المجاهدين في سبيله، فقدموا أنفسهم فداء لهذا الدين، وجادوا بكل ما يملكونه من أجل هذه الدعوة، بعدما أعطاهم الإيمان القوي واليقين الثابت، الإرادة القوية التي فعلت الأعاجيب، وحققت المستحيلات وهم وإن قدموا التضحيات الباهرة، قبل الأمر بالجهاد، فلقد كان تشريع الجهاد في سبيل الله، والندب إليه قوة دافعة لهم إلى التضحية والجهاد والاستشهاد، لتكون كلمة الله هي العليا، ولم لايكون ذلك وهم يطرق آذانهم ويخالج أفئدتهم، قول الله تعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ.. الآية» (سورة الأنفال ﴿٢٤﴾)..

وقول الله تعالى : « ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » (سورة التوبة ﴿٤١﴾).

فاستجابوا لنداء الله تعالى، ونالوا ما وعدهم به المولى، من الخير الجزيل بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة، ففتح الله لهم القلوب قبل الديار، وأعز الله بهم هذه الدعوة، واعتزوا بها، فانتصرت بهم، وانتصروا بها.

---

(١) : في ظلال القرآن جـ٥ ص ٢٥٦٢. بتصرف.

فانطلقوا أشد من الرياح العاتية، يصولون ويجولون، يميناً وشمالاً، شرقاً وغرباً مبشرين بدين الله العظيم،، ناشرين دعوة الإسلام، فانتصروا، بعد أن هانت عليهم الصعاب، وأرخصوا أموالهم وأنفسهم، وكل متاع غال عندهم، وكذلك لابد لكل مجاهد صقله الإيمان، واستولت عليه العقيدة فكان ان حقق الله بهم، وعلى أيديهم، وبسواعدهم القوية ما يعد خارقة في تاريخ البشرية كلها، فنجحت بهم الدعوة، وبلغت الآفاق.

وربحت الصفقة التي عقدوها مع الله تعالى، عندما اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، عوضها جنة عرضها السموات والأرض، إنهم قاتلوا في سبيل الله، قال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ» (سورة التوبة ١١١).

روى أنس بن مالك رضي الله عنه : «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله: غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني قتال المشركين ليرن الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد الجنة ورب النضر اني أجد ريحها دون أحد!

قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ماصنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه « مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا (١) » (سورة الأحزاب ـ ٢٣).

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، أشد مايكونون حرصاً على الجهاد، وعدم التخلف عنه، وكانوا يستاءون كثيراً عندما يحصل ما يمنعهم عن المبادرة للتوجه للجهاد كما كان من أمر أنس بن النضر.

وهذا حنظلة بن أبي عامر (غسيل الملائكة) رضي الله عنه يسمع نداء الجهاد، فيهب من فوره من فراش عرسه بجنابته، متوجهاً إلى أحد، ويستبسل في قتال المشركين حتى يستشهد، فيخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن الملائكة تغسله، ثم يقول: «اسألوا أهله ما شأنه؟ فسألوا امرأته فأخبرتهم الخبر(٢) . وقبله كان (أخوه في الله) عمير بن الحمام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، فلما دنا العدو، وتواجه الفريقان قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فوعظهم وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات من النصر والظفر العاجل، وثواب الله الآجل، وأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن الله قد أوجب(٣) الجنة لمن استشهد في سبيله، فقام عمير بن الحمام فقال: يارسول الله، جنة عرضها السموات والأرض، قال: نعم، قال: بخ بخ يا رسول الله قال: مايحملك على قولك: بخ بخ. قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن

---

(١) : رواه البخارى جـ٢ ص ١٣٨(كتاب الجهاد والسير. باب قوله تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا...) ومعنى كلمة بضعا : البضع في العدد : مابين الثلاث إلى التسع، بنانة : واحدة البنان، وهي : أطراف الأصابع.

(٢) : انظر : زاد المعاد جـ٢ ص ٩٣.

(٣) : انظر : باب فضل من شهد بدرا في صحيح البخارى جـ٢ ص ٧ والأحاديث الوارده فيه.

حييت حتى آكل من تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل فكان أول قتيل في بدر[1] .

وصور تضحياتهم وجهادهم واستشهادهم بهذا النحو كثيرة، متواترة أدلتها.

وإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم قد جادوا بأنفسهم على هذا المنوال فلن يبخلوا بمالهم للجهاد في سبيل الله، لأن النفس أغلى من المال، ولأن المال إنما يطلب لخدمة النفس، فماذا يراد بالمال بعد النفس؟

وهذا ما كان من الصحابة، لقد ضحوا بمالهم، وأنفقوه في سبيل الله، وجاهدوا به لاعلاء كلمة الله، فهؤلاء الصحابة يتسابقون للاستجابة لنداء الله في قوله تعالى: « ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ » (سورة براءة ـ ﴿٤١﴾). في غزوة تبوك وغيرها عندما حضهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، وندبهم إليه، حتى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ وغيره من الصحابة ينفقون يوم تبوك نفقات كبيرة لا توصف، كل هذا من أجل نشر هذه الدعوة والذود عنها [2].

وهذا (أمين هذه الأمة) أبو عبيدة بن الجراح يضحي بماله في سبيل الله، بعد أن ضحى بأبيه وقتله مشركاً في بدر[3] .

ولقد كان لتضحياتهم أعظم الآثار في نجاح الدعوة، لأن الدعوات لا تقوم إلا بالبذل، ولا تثبت في وجه الأعاصير إلا بالتضحيات الجسام، وحمايتها وحياطتها بكل غال ونفيس من الأنفس والأموال والأهل.

---

(١) : زاد المعاد جـ٢ ص ٨٨. وبخ : كلمة تقال في المدح والرضاء بالشيء وتكرر للمبالغة. فيقال : بخ بخ. ومعنى قرنه : جعبته، ويجمع على أقرن واقرن، قاله ابن الأثير في النهاية جـ٤ ص ٥٥.

(٢) : سيرة ابن هشام جـ٤ ص ٧٢.

(٣) : للاستزادة من سيرة أبي عبيدة : أنظر : الاستيعاب جـ٣ ص ٢، وحلية الأولياء جـ١ ص ١٠٠، والاصابة جـ٥ ص ٦٠.

ولقد أراد المشركون واليهود والنصارى هدم الدعوة، ومحو الإسلام، وتدمير دولته ورجاله، ولولا فضل الله ثم هذه التضحيات الجسام لما مضت الدعوة في طريقها.

فأعداء الدعوة اليوم هم أعداؤها بالأمس الذين ما زالوا يحاولون هدمها والقضاء عليها، ولم يصل الأمر بالمسلمين اليوم، إلى هذا الحد من الضياع والبعد عن الإسلام ودعوته، ولم تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، إلا بسبب تقاعس المسلمين عن الجهاد، وقبض أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله، ولم تنجح الدعوة اليوم، إلا بالسبب الذي نجحت به على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وكان للنساء نصيب في الغزو والجهاد :

لقد فهمت المرأة المسلمة وظيفتها في العبودية لله تعالى، ومهمتها في الكون والحياة، ومن ثم استجابت لنداء القرآن الكريم، ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كالرجل سواء بسواء، فضحت وبذلت وخرجت مراغمة لقومها لعقائدهم، مهاجرة بدينها، متغربة في البلاد في سبيل الله، محتملة الأخطار، متجشمة الأسفار، صابرة على المتاعب الجسام، ولن تغيب عن البال هجرتهن إلى الحبشة حيث كانت رقية رضي الله عنها ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه أول من هاجر من المسلمين مع زوجها، وتبعتها أخواتها المسلمات مهاجرات مثل أم سلمة المخزومية وسهلة بنت سهيل بن عمرو، وأسماء بنت عميس، وليلى بنت أبي جثمة، وغيرهن هاجرن مع أزواجهن، فراراً بدينهن، وتضحية في سبيله[1].

واذا كن هؤلاء قد هاجرن للحبشة فراراً بدينهن، فما بال اللواتي لم يهاجرن من المسلمات لقد كن في أشد بلاء، وأصعب امتحان، فهذه فاطمة

---

(١) : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٤٤.

بنت الخطاب، يدخل عليها أخوها عمر قبل إسلامه، وهي مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو وخباب بن الأرت يقرأ عليها القرآن فيبطش بها، و يضرب أخته و يشجها، وهي صابرة مثابرة(١).

ولما جاءت الهجرة للمدينة، كان للنساء قصب السبق، حيث سارعن في الهجرة مع أزواجهن متحملات المشاق، صابرات على المخاطر والمكاره من أجل هذه الدعوة، وفي سبيلها.

وعندما فرض الجهاد في سبيل الله كان لهن حظاً وافراً من الجهاد والغزو حيث خرجت النساء المسلمات تشارك في حماية دينها، وعقيدتها، حيث قمن ببعض الأعباء الماسة في الميدان، مشاركة للرجل في عمله، وتسهيلاً لمهمته حيث تولين التمريض للجرحى، ومواساة المصابين وغير ذلك.

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء و يداوين الجرحى(٢).

ونكتفي في هذا الموضوع بنموذج واحد من النماذج الكثيرة من المسلمات المجاهدات إنها (أم عمارة) واسمها (نسيبة بنت كعب المازنية) وندعها تروي قصة بطولتها يوم أُحد كما ذكرها ابن هشام في السيرة حيث تقول: «خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه السيف، وأرمي عنه القوس. حتى خلصت الجراح إلي، فلما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل قمأة

---

(١) : سيرة ابن هشام جـ١ ص ٣٦٧. والشجة : الضربة في الوجه.

(٢) : صحيح مسلم جـ٣ ص ١٤٤٣(كتاب الجهاد والسير ــ باب غزو النساء مع الرجال).

أقـأه الله: يـقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، فاعترضت أنا ومصعب بـن عـمير، وأنـاس ممـن ثـبـت مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربني ضربة، ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان».

قـالت أم سعد بنت سعد بن الربيع: «رأيت على عاتق أم عمارة جرحاً أجـوف لـه غـور، فـقـلـت مـن أصـابـك بهـذا؟ قـالـت ابـن قمأة، وروت القصة[1] ».

ولـقـد كـان لمشاركتهـن فـي الـدفـاع عن الدعوة، آثاراً كبيرة في نجاح الدعوة، حيث تعاون البيت كله، في تطبيق مبادىء الإسلام، والثبات على الحـق، فـكـان الـزوج المـسلم يجد من المنزل المكان الذي يأوي إليه، ليفرج عـن همومه، ويخفف عما يصيبه من الإيذاء الذي يناله في سبيل الدعوة، التي وقـفـوا لهـا حـصـنـاً مـنـيـعـاً من الرجال والنساء تكسرت عليها معاول العداء والهدم، فانتصر المسلمون ونجحت الدعوة، بفضل الله ثم بتعاون الأسرة، رجالاً ونـسـاء شيباً وشباناً، وهو ماتفقده الأمة الإسلامية اليوم، وهو مالابد منه إذا أردنا للدعوة من النجاح في هذا الزمان وكل زمان.

---

(١) : سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٢٩. معانى الكلمات : الدولة والريح : الغلبة والنصر. أقاه الله : أذله وحقره، أجوف : الطعنة التي تنفذ، له غور : الغور كل شيء قعره.

الخـاتمة

الحمد لله الذي بفضله ونعمه وعونه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه من خير خلقه، وخاتم رسله.. وبعد:

فقد عشت زمناً مع الدعوة الإسلامية، كما يحبّ أن يعيش كل مسلم لهذه الدعوة المباركة، ومن أجلها، وفي سبيل نجاحها عشت بتوفيق الله محلقاً في أجوائها الواسعة، متنقلاً بين حقولها الخصبة الزاهية، لأقطف من ثمارها اليانعة، وأنهل من ينابيعها الصافية.

لقد عشت قرير العين، مرتاح البال، أدرس وأبحث عن تلك الحال التي أشعر معها بأنني قد أسهمت مع غيري من الدارسين في بيان آفاق تلك الدعوة، والكشف عن محاسنها، وميزاتها، وبيان عوامل وأسباب نجاحها، وإن كنت لا أدعي فيما قمت به كمالا.

لقد كانت ضرورة البحث تفرض علي قبل الدخول في الموضوع وهو (أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي) التعرض ــ ولو بإيجاز ــ إلى بيان بداية الصراع بين الحق والباطل، وبيان ما هي دعوة الحق؟ وضرورتها وحاجة البشر إليها، كما تعرضت الى تعريف الدعوة، وعظيم شأن الدعوة الإسلامية وحكم تبليغها.

وبينت كذلك خصائص الدعوة الإسلامية والسنن العامة لنشرها وأساليب نشرها إجمالاً، وكيف كانت تلك الخصائص والسنن والأساليب من الأسباب المهمة في إنجاح الدعوة.

هذا وأنه بعد هذه الدراسة المتواضعة ، والجهد الذي قمت به لدراسة

الدعوة فقد كشفت عن أهم الأسباب التي ساعدت في نجاح الدعوة الإسلامية، والتي لخصتها في هذا الكتاب.

وكان مما لاحظته من خلال مطالعتي وبحثي أن هذا الجانب الهام في الدعوة الإسلامية وهو: أسباب نجاحها لم ينل الاهتمام اللازم، والبيان الكافي، بالرغم من أهميته، وأثره في كشف حقيقة هذه الدعوة، وبيانها للناس بياناً يحقق الهدف من هذه الدعوة، وهو دخول الناس في الإسلام، واتباع سبيله، وتطبيق منهاجه، حيث لم أجد أحداً سبقني ــ فيما أعلم ــ لتخصيص هذه الموضوعات الهامة بالبحث، وافرادها بالدراسةالوافية، عدا الفقرات والجزئيات المفرقه بين كتب التفسير والحديث، والسيرة والتاريخ وحتى كتب الدعوة التي تعرضت لموضوعاتها، فقد كان مؤلفوها كثيراً مايعرضون عن ذلك، أو يمرون عليه مروراً عابراً.

أما أسباب وعوامل نجاح الدعوة فلم نجد من خصه بالتأليف على النهج الذي اتبعته، بالرغم من أهميتها وأثرها في نجاح الدعوة، ودورهــا في نشر الإسلام، وترغيب الناس فيه، وإقبالهم عليه.

لذلك فأنا أدعو إخواني من الباحثين والطلاب الدارسين، إلى الاهتمام بهذا الموضوع الواسع الأرجاء، المتعدد الجوانب، وإكمال البحث والدراسة التي بدأتها، حيث لايمكن استيفاء تلك الموضوعات في رسالة واحدة، أو جهد متواضع من طالب مثلي، بل إن الأمر يحتاج عند دراستها وبحثها إلى كتب ورسائل.

والأسباب التي كشفت عنها في هذه الرسالة لخصتها في بابين :

البـــاب الأول :

العوامل الخارجية لنجاح الدعوة، وهي الأسباب السابقة للدعوة وهي نوعان:

أولاً : حاجة البشر للدعوة بعدما أصابهم الزيغ، والضلال عن طريق الحق، والانحراف عن سبيل الفطرة السوى، بسبب الأهواء، والبعد عن عصور النبوات والصلاح.

ثانياً : الارهاصات والدلالات التي أقامها المولى للدلالة على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم، ولفت الأنظار إليها، مثل تبشير الأنبياء بنبوته، واختيار مكة بموقعها في النفوس منذ القدم، وكذلك اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش بعد أن اصطفاها تعالى على بقية سكان الجزيرة، وحملها هذا العبء العظيم، وهو مواجهة الدعوة، ونزول الوحي بينهم وبلغتهم، وغير ذلك من الأسباب الهامة في نجاح الدعوة التي بسطتها في موضوعها.

البـــاب الثاني :

كشفت فيه، وأبنت الأسباب والعوامل التي تحويها الدعوه ولا تنفك عنها، وهي عوامل ذاتية لنجاح الدعوة، وذات أثر كبير في نجاحها وذلك لكونها ربانية، وكذلك القرآن الكريم وأثره العظيم في الدعوة وفي نجاحها. لكونه المعجزة الكبرى للدعوة، ولكون الاهتمام بالقرآن الكريم وتطبيقه من السنن العامة في نشر دعوة الإسلام.

وختمت العوامل ببيان الأسباب الذاتية في الدعاة، وأثرهم الهائل في نجاح الدعوة، وكيف كان لذلك الجيل المثالي، وفي مقدمتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الآثار لنجاح الدعوة، وكيف أن واجب المسلمين اليوم هو السير على نهجهم، إذا ما أرادوا للدعوة الإسلامية النجاح، وللمسلمين العزة والسعادة، والغلبة على أعدائهم.

وسوى ماسبق بيانه فإنني أسطر على هذه الصحائف في خاتمة هذه الرسالة بعض النتائج التي أرى أنها ضرورية للدعوة، ولازمة لدعاة الإسلام اليوم، لعلي أكون بذلك قد أديت جزءاً من واجب هذه الدعوة العظيمة وما التوفيق إلا بالله.

أ ــ النتائــج :

وبعد دراستي وعملي في هذا البحث فقد توصلت إلى عدة نتائج هامة من الممكن تلخيصها في الآتي:

أولاً : إن الدعوة الإسلامية هي دعوة الحق، لذلك كان أمرها عظيماً، وشأنها كبيراً، لكونها وظيفة الأنبياء والمرسلين، كما أنها وظيفة هذه الأمة من بعدهم، التي شرفها الله تعالى بواجب الدعوة إلى الله

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكانت من أوجب الفرائض على هذه الأمة، لورود الأدلة في ذلك خاصة عند ظهور المنكرات، وقلة الدعاة، وانتشار الفواحش والفساد، وتداعي أعداء هذه الأمة عليها.

وينبني على هذا الأمر أنه لايمكن لأمة الإسلام أن تعيش بين الأمم، وتصل إلى مكانتها المطلوبة، وتحيا حياة سعيدة إلا بهذه الدعوة، بعد القيام بها، والاهتمام بأمرها، لأنها روح الإسلام التي بها يحيا، وإن ذلك لايكون من الناحية النظرية فقط بل إن الجانب العملي أعظم شأناً، وأكبر أثراً، وأقوى خطراً.

ثانياً : نظراً لأهمية الدعوة إلى الله، وأثرها في نشر الإسلام، ووجوبها على المسلمين، فلم يترك المشرع أمرها للناس بل جاء القرآن الكريم بالقواعد الثابتة، والأسس القوية للدعوة، وأبان مبادئها ووسائلها وأساليبها وذلك في عدة مواضع من الكتاب العزيز مثل قوله تعالى: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ » (سورة النحل ـ ١٢٥).

كما بين أثرها في حياة المسلم، وكيف جعلت منهم هذه الدعوة خير الأمم، قال تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ . . » (سورة آل عمران ـ ١١٠).

ثالثاً : تشابه واقع البشرية عند بعثه صلى الله عليه وسلم، وقيام دعوته بواقعها اليوم من الضلال والجهل، وسيطرة الشهوات وانتشار الفساد والموبقات ـ إلا من رحم ربك ـ وإن كانت جاهلية هذا الزمان أشد كفراً، وأقبح ضلالة، فعلى المسلمين اليوم السير بدعوتهم، وجهادهم بنفس المسلك السليم، والطريق المستقيم الذي سلكه صلى الله عليه وسلم وأصحابه، رضوان الله عليهم، وهو المنهج الذي جاء به القرآن الكريم، وإن اختلفت أحوال الناس بسبب ما أصاب

البشرية من ضلال، وتطور مادي حيث أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، لكونه الدين الذي ارتضاه المولى لعباده، وأتم به عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، فمن اعتقد ديناً غيره فهو مخالف لأمر خالقه مستحق لعقابه، وكذا الحال من تحاكم إلى غير شرع الله، أو رضي قانوناً سوى قانون السماء.

رابعاً : الدعوة الإسلامية هي: لا إله إلا الله بكل ما تحمله هذه الكلمة من المعاني عقيدة وسياسة واقتصاداً واجتماعاً، ومما يترتب على ذلك الاقتناع التام من كل مسلم بأن النصر والعزة لله تعالى دون غيره، ويلزم من هذا أن يكون المسلم متيقناً في قرارة نفسه أن النصر والغلبة على الأعداء، وأن القوة كلها، من الله تعالى، وليست من أي بشر لا شرقاً ولا غرباً، ومتابعة سنن الله في الكون والحياة.

خامساً: للدعوة الإسلامية من الميزات والخصائص، ماتفوق كل دعوة سواها مهما كان مصدرها، من ذلك كونها: دعوة ربانية من الله تعالى، ودعوة الحق والفطرة، ودعوة عامة شاملة، تتصف بالواقعية والثبات، وتقوم على البذل والعطاء والتضحية والجهاد.

كما أنه من ميزات دعوة الإسلام ماافتضاه الله تعالى بحكمته عندما جعل للبشر جهداً هاماً في نجاحها، إمتحاناً لهم ليدركوا ماهيتها، ويعرفوا قدرها وأهميتها، وليسبروا غورها، فيقبلوا عليها، ويأخذوها عن طوع واختيار، بلا إكراه أو غفلة بخلاف غيرها من الدعوات وفي ذلك حث للمسلمين على المثابرة في سبيل نشر دعوتهم والدفاع عنها.

سادساً: إن الدعوة إلى الله، وأعمال الدعاة تدخل في كل مايهم الناس، ويحقق مصالحهم، ويكون مظهراً للحق، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وحثاً على مكارم الأخلاق.

بحيث يكون الداعية المهندس في مصنعه، والطبيب في عيادته،

والمزارع في حقله، والوزير في وزارته، ويكون الداعية الاقتصادي والسياسي وهكذا.

ومن ذلك فيجب على الدعاة أن يكونوا مع الناس في كل مكان وفي كل زمان، في أماكن تواجدهم، وفي مواضع تجمعهم، في الأسواق وفي المدارس وفي الأندية، وفي أجهزة الاعلام.

سابعاً : من ضرورات الدعوة أن يكون الداعية على علم وبصيرة فيما يدعو إليه، شجاعاً قوياً في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم، في الوقت الذي يكون فيه حليماً رفيقاً، صابراً متحملاً لما قد يناله من الأذى في سبيل دعوته، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين خير قدوة في ذلك، خاصة عندما نعلم أن تلك الصفات من أهم وسائل نجاح الدعوة.

ثامناً : وهكذا فإن نجاح الدعوة الإسلامية كان وليد عوامل متعددة منها ذاتي، ومنها ما يرجع إلى الجهاد العظيم الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين، عندما وهبوا أنفسهم وما يملكونه لخدمة هذه الدعوة ونشرها والدفاع عنها.

ب ــ المقترحات :

هذا وفي ختام رسالتي هذه، فإني لأجد من المناسب، وتكملة للفائدة المتوخاة، وقد أشرفت على الختام، أن يكون مسك الختام بعد هذه الرحلة مع الدعوة الإسلامية، وأسباب نجاحها، أن أورد بعض المقترحات التي أرى أنها ضرورية لدعاة هذا العصر، والتي يجب أن يهتم بها دعاة الإسلام ويفهمونها، ويسيروا عليها إذا ما أرادوا النجاح للدعوة. بعد أن أصبحت البشرية أشد ماتكون حاجة إلى دعوة الإسلام، كما أن الدعوة أحوج ماتكون إلى دعاة مخلصين، يفهمون روح الإسلام، ويطبقونه كما فهمه وطبقه الجيل المثالي

الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم وسار على نهجهم.

وتتلخص هذه المقترحات فيا يلي :

أولاً : تطوير الوسائل :

لا شك أن لوسائل الدعوة وأساليبها دوراً في نجاحها، فكان واجب دعاة الإسلام في كل عصر معرفة روح العصر الذي يعيشون فيه، والاستفادة من كل الامكانيات المتاحة التي تساعد على نشر الدعوة لذلك فإن في مقدمة واجبات الدعاة الآن تطوير وسائل الدعوة، بما يتمشى مع واقع العصر، والمجتمع الذي يعيشون فيه، و يكون ذلك بعرض مبادىء الإسلام الأساسية، وبيان محاسنه بصورة واضحة وسليمة، يمكن بواسطتها بيان مبادىء الإسلام، والكشف على أهدافه ومحاسنه، وكيف أن له فضلاً عظيماً، وخيراً وبركة على الإنسانية كلها، منذ شع نوره في الأرض.

ومن ذلك استفادة الدعاة مما أوجده العلم الحديث من المخترعات ولا شك أن لذلك أثره في نجاح الدعوة، كاستخدام وسائل الاعلام والنشر بأنواعها، وأجهزة الاتصال المتعددة، واستفادة الدعاة من كل ذلك، بالدخول إلى وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز، وكذلك استخدام أجهزة النشر والطبع المتطورة لإثارة المدعوين، وجذبهم إلى الإسلام بواسطة القصة والرواية والمسرحية، والمنشورات والملصقات والدعاية.

مع التركيز على قطع الطريق على ضعاف النفوس ممن يكيدون للإسلام، و يروجون للفاحشة والرذيلة بواسطة ذلك، واستغلال تلك المرافق لنشر وباءهم بعد أن مضى زمن وهؤلاء يصولون ويجولون ويهدمون الإسلام، و يقوّضون بنيان الفضيلة والمروءة والعفة بواسطة تلك الوسائل، عند غياب الدعاة، واعراضهم عنها، وعدم استفادتهم منها.

ثانياً : التركيز على قضايا العصر :

وفي مقدمة ما يجب على الدعاة، التركيز على القضايا المعاصرة، التي تواجه الإنسانية عامة والأمة المسلمة خاصة، مثل كيفية مواجهة الغزو الفكري الذي تقوم به القوى المعادية للإسلام والمسلمين، مع الاهتمام بالشباب وتركيز دعوتهم عليهم لأنهم اسلس قيادا وأكثر مرونة، وأشد قابلية.

وكذلك محاربة الجهل والفقر، وبيان موقف الإسلام ودعـــوته الشاملة منها، وكيف أن الإسلام عالج كل ذلك وحاربه، ونجح بإيجاد الحلول المناسبة له، قبل قيام المنظمة الأممية، وهيئاتها المتخصصة، التي عجزت عن مواجهة تلك المعضلات التي تواجهها البشرية اليوم وواقعها المظلم.

ولما كان الدين الإسلامي يكون وحدة متكاملة، وكلا لا يتجزأ، فإنه لايمكن القضاء على تلك المشكلات إلا بتطبيق الدين الإسلامي، وقبول منهجه المتكامل لجميع شؤون الحياة.

ثالثاً : عقد الندوات والمناظرات مع أصحاب الديانات الأخرى ومفكري العالم :

وأن في مقدمة واجب دعاة الإسلام تقديم مبادىء الإسلام، بصورة واضحة جلية، ومن ذلك عقد الندوات والمناظرات بين الدعاة المتخصصين وأصحاب الديانات الأخرى، والمفكرين من بقية أرجاء العالم، وخاصة أولئك الناس الذين لهم ثقل فكري عالمي، ممن يحاولون الدس على الإسلام، واظهاره بمظهر الضعيف، المغلوب المتهم دائماً، وأن يكون المسلمون وخاصة الدعاة في مكان الصدارة، ومركز الهجوم، ولا يكونوا في موقع المدافع دائماً.

لأن ديننا الإسلامي، دين القوة، ودين العزة، والمسلم هو الأعلى دوماً وأبداً، قال تعالى: « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » (سورة آل عمران: ١٣٩). وقال عز وجل في الموضع الآخر: « فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ » (سورة محمد ٣٥).

فكان على كل منتسب لهذا الدين أن يكون في موقف الأعلى والمنتصر دائماً، ولا يركن إلى الضعف والكسل والهوان، فهذه ليست صفات المؤمنين المعتزين بدينهم، المدافعين عنه، الناشرين لمبادئه.

إضافة إلى أن البشرية تعيش عصر العلم والمعرفة، مما يحتاج البشر معه إلى بيان وإيضاح مبادىء الإسلام، بطريقة واضحة جلية، تكون مقنعة لهم بسلامة تلك المبادىء والأهداف، واصلاحها لحياة البشر في كل زمان ومكان.

ولا شك أن على إخواننا المبتعثين لتلك البلدان يقع العبء الأكبر في ذلك، فكان أن أحسنت حكومة المملكة العربية السعودية ممثلة بجامعة الإمام محمد بن سعود بجعل دورات للمبتعثين، يعتبر اجتيازها شرطاً للابتعاث وفق الله الجميع لما يحب و يرضى.

رابعاً : الحرص على قفل الثغرات التي يحول الأعداء دخولها :

منذ أن شع نور الإسلام، وأعداء الحق من أصحاب الضلال، ودعاة الهدم يحرصون على إيجاد المداخل والثغرات التي يحاولون بواسطتها تشكيك المسلمين في عقيدتهم، وصرفهم عن دينهم، والدارس لهذا الصراع الطويل يجد كيف استطاع المسلمون عندما يتمسكون بهذا الدين قطع الطريق على هؤلاء الأعداء في كل زمان ومكان، ونحن في عصر كثر فيه دعاة الضلال، الذين مافتئوا يجدّون في تقويض العقيدة لدى المسلمين، بكل وسيلة ممكنة فكان من واجب دعاة الإسلام التركيز على الثغرات والأهداف التي يحاول الفكر المعادي جاداً إيجادها في جسم الأمة المسلمة الواحدة. والتي مافتئت القوى الماسونية والنصرانية والصهيونية والشيوعية وغيرها من مذاهب الضلال، وأفكار الهدم، تحاول النفاذ منها، لتستطيع تشكيك المسلمين في دينهم، والتشويش على عقيدتهم، بعد تكالب أولئك الأعداء، وتداعيهم على المسلمين كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وبعد أن أصبح المسلمون على كثرتهم غثاء كغثاء السيل.

مثل محاولتهم فصل الدين عن الدولة، وإباحة الربا بدعوى أنه ضرورة اجتماعية واقتصادية، وكذلك تسمية الخمر بغير اسمها حتى يزينوها في أعين الناس.

وكذلك قولهم بوجود قضية للمرأة يجب حلها، مظهرين نصحهم وإخلاصهم لها، في حين أن الإسلام أعطى المرأة كل حقوقها منذ بزغت شمسه، وهذا معروف لدى المسلمين والحمد لله، وحتى لدى غيرهم من المفكرين المنصفين.

فكان على الدعاة كشف أهداف أولئك الذين يدعون بالمطالبة للمساواة بين الرجل والمرأة، وان حقيقة هدفهم إتاحة الفرصة لذئاب البشر المفترسة لتفترسها، وتجعلها وسيلة للذة الحيوانية، والمكاسب المادية، وهدم المجتمع من قاعدته، وتقويض بنيانه من أساسه، بإفساد المرأة وصرفها عن واجبها المقدس في تربية النشىء والقيام بشؤون الأسرة.

خامساً : الاهتمام بتحريك الإيمان والشعور الديني :

لاشك أن الدين هو الأساس القوي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه الأمة، وهو الوسيلة التي بموجبه تنتصر على أعدائها، والثابت على أرض الواقع أنه كلما ضعف هذا الدين في النفوس ضعفت الأمة، وانهزمت أمام أعدائها.

فكان واجب الدعاة العمل في دعوتهم على تحريك الإيمان في النفوس، وإثارة الشعور الديني، وربط ذلك بتنمية وتربية المجتمع، وإكمال الوعي في الأمة المسلمة على هذا الأساس.

لأن الدارس لأحوال الشعوب الإسلامية، وعلاقتها مع غيرها، يعرف أن تمسك الأمة بعقيدتها وحبها لدينها هو الحد الفاصل لانتصارها على أعدائها، وأن هذه العقيدة هي الحاجز السميك، والسد المنيع، الذي يقف شامخاً في وجه من يحاول نبذ هذا الدين، أو التطاول عليه، والتسلط على أمة

الإسلام، حتى وإن كان هذا من أبناء الأمة المحسوبين عليها، أو حكامها المتسلطين عليها في بعض بلاد الإسلام.

فعلى الدعاة الاحتفاظ بالبقية الباقية من الإيمان في النفوس، والمحافظة على جذوة الإيمان من أن تنطفىء، والاستفادة من ذلك بإثارة العاطفة الدينية والقيام بالتوعية الصحيحة، والتربية السليمة، وفهم حقائق الدين والاهتمام بقضاياه.

سادساً : التخلق بأخلاق الدعاة :

وإن مما يجب أن يتحلى به دعاة الإسلام، العلم، والصبر، والحلم، والمروءة والفضيلة، مع احتمال مايصيبهم عند دعوتهم، كما أن عليهم استعمال الرفق والسهولة، وعدم التنفير أو التقبيح أو الزجر عند الدعوة.

وعليهم استخدام الوسائل اللازمة للترغيب فيما يدعون إليه، أو الترهيب فيما يحذرون منه حسب المناخ.

وأن مما يحسن ملاحظته، والتنبيه إليه في هذا المقام هو ضرورة كون الدعاة يمتازون عن غيرهم من الدهماء[1] والجماهير وأصحاب المهن الأخرى، ودعاة النظم والفلسفات بقوة الإيمان، وإخلاص القلوب والنيات لما يدعون إليه، حيث لايخفى أثر إخلاص النيات في إنجاح أي عمل والوصول إلى الهدف المقصود، لأن النيات ضرورة للعمل، كما في الحديث الصحيح : «إنما الأعمال بالنيات»[2] .

إضافة إلى ضرورة زهدهم في الدنيا وزخارفها، لأن ذلك من أقوى الأسباب في التأثير في المدعوين، حيث أنه لابد أن يجد الناس في الداعية

---

(١) : الدهماء : الدهمه السواد وتطلق على الكثرة.

(٢) : صحيح البخاري جـ١ ص ٦.

مـايـفـتـقدونه لديهم، وهو إعراض الداعية عن مرض التكاثر، والتكالب على المادة مما حذر منه الإسلام.

سابعاً : إبعاد الحقائق الدينية عن التشويه والتحريف :

كما أنه مما يـلـزم دعـاة الإسـلام أيضاً صيانة الحقائق الدينية، والمفاهيم الإسـلامية من التحريف، وتكلف معانيها بما ليس من روح الإسلام وهديه. والحـذر ممـا وقـع فيه البعض من محاولة إخضاعها لتصورات العصر، وفلسفات الـبشر، ولـي أعناق الآيات القرآنية ومعانيها، والتحريف في أحكام الإسلام لتـتفق مع المصطلحات السياسية، ولتسير وراء القوانين العلمية النظرية، التي أحـدثـهـا الـبشر، وهـي خـاضعة دائماً للتغير والتبديل بخلاف الحقائق الدينية التي أوجدها عالم السر وأخفى، وأعطاها من القدسية والكرامة مالا يمكن أن تصل إليه تصورات البشر ونظمهم.

وأنـه لمـن الحـيـف والـظلم أن نسوي بين ما أوجده البشر، وما قرره رب الـبشر، ولأن تـلـك الحـقـائق والأحكام الشرعية هي حصون الإسلام المنيعة، وإخضاعها للتصورات العصرية، أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية إساءة لها، وهـدم لهـذا الحـصن المنيع، من حصون الإسلام العظيمة، وهو إضعاف لها لا تقوية، وتحقير لها لا تعظيم.

لأن قـضية أسماء العبادات والمصطلحات الشرعية ليست من السهولة التي يـمـكـن كـل إنـسـان أن يـتـحدث عنها و يفسرها، لما قد يتبع ذلك من تقليل لـقـيـمتـهـا، وإضـعـاف لتأثيرها في النفوس، مما ينتج عنه ضعف في الإيمان، وهـذا لايـنـافـي الغوص في أعماق هذه الحقائق الدينية، والأحكام الشرعية، للكشف عن أسرارها، و بيان محاسنها، على قدر علمنا، و يكفينا فخراً وشرفاً مـاقـام به علماء الإسلام الأوائل من بيان مقاصد الشريعة، وكشف أسرارها، وذكر محاسنها دون أن يهدروا حقائقها.

ثامناً : واجب رجال التعليم والاعلام تجاه الدعوة :

ما من شك أن البشرية تعيش عصر العلم والتطور والثقافة والمعرفة، ولابد من الاستفادة من ذلك في مجال نشر الدعوة، وبيان الإسلام للناس، خاصة وأن الإسلام يحث على العلم، ويدعو إليه، قال تعالى: « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (سورة الزمر ٩).

لذلك فإن مؤسسات التربية والتعليم، وأجهزة الاعلام تتحمل حظاً جسيماً، وحملاً كبيراً للقيام بأمر الدعوة في المدارس، ودور التربية، وفي مرافق الاعلام المختلفة، علاوة على مايوجبه الاسلام على كل فرد مسلم من وجوب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر حسب القدرة والاستطاعة.

تاسعاً : المنظمات والمؤسسات الإسلامية ومسئووليتها :

تتحمل رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والجامعات والمعاهد الإسلامية عبئاً كبيراً في القيام بشؤون الدعوة الإسلامية، ونشر الإسلام، وإيجاد الدعاة، والتنسيق بين الدول الإسلامية في أمر الدعوة وتركيز الجهود على الأماكن الهامة ذات الحساسية القوية، والأثر في سير خط الدعوة وانتشارها، والذود عن بيضة الإسلام.

وعلى الرابطة أيضاً إلزام الدول الإسلامية المشاركة فيها بإيجاد أجهزة متخصصة للدعوة الإسلامية، والحرص على إعادة نظام الحسبة كما كان في ماضي عهد الزاهر في بلاد الإسلام، وكما هي الحال في المملكة العربية السعودية التي مابرحت تتحمل العبء الأكبر في الدعوة إلى الله في الداخل والخارج.

عاشراً : ضرورة تضافر الجهود لخدمة الدعوة :

لازال المسلمون بحاجة إلى تضافر الجهود من كل المسلمين لخدمة الدعوة

في كل مكان، حيث أن الدعوة في أمس الحاجة إلى دعاة مخلصين، وإمكانيات مادية ومعنوية، ولابد من البذل الكبير للنفس والمال والفكر من أجل هذه الدعوة، وفي سبيل نجاحها من كل فرد حسب استطاعته، لأنه مهما بذلنا من عطاء، وأرخصنا من مال من أجل هذه الدعوة المباركة التي جعلتنا خير الأمم، فإن ذلك لايساوي شيئاً بالنسبة للواجب الملقى على هذه الأمة.

الحادي عشر: الاهتمام بالأقليات المسلمة:

المسلمون كالجسد الواحد، لابد أن يحس بما يصيب أي جزء منه، لذلك كان واجب المسلمين الاهتمام بأمر إخوانهم في أي مكان، وهناك أخوة لنا يعيشون في بحر هائل من المعتقدات والضلالات وهم الأقليات الإسلامية وهم في حاجة إلى مساعدتهم، واحتضانهم بالدفاع عن حقوقهم، وحل مشكلاتهم المادية والمعنوية وتلبية متطلباتهم.

الثاني عشر: تلبية حاجات المسلمين المادية:

كما يجب على المسلمين الحكومات والأفراد ـ خاصة الأغنياء ـ تقديم المساعدات المادية للدعاة المحتاجين، ومعاونة المنظمات والاتحادات الإسلامية القائمة في البلاد الإسلامية وخارجها، مع التبشير بالإسلام عن طريق تقديم المساعدات الطبية والعلاجية، ومساعدة منكوبي الكوارث من حروب وفياضانات وزلازل من المسلمين، وحتى غيرهم ممن يستحق المساعدة، حيث نغني بذلك المسلمين المستحقين، ونقطع الطريق على المنظمات التبشيرية المعادية، التي تغلغلت ـ للأسف ـ في المجتمعات بما فيها الإسلامية، وهي تحمل في مساعداتها وخدماتها السم الزعاف، لأن حقيقتها صرف المسلمين عن دينهم، ونشر دعوات الضلال والإلحاد، متخذين من حبائل الشيطان وسائلهم لبلوغ هدفهم.

وتلك المساعدات لغير المسلمين وسيلة ترغيب لهم وتقريب إلى دين

الإسلام. يتجلى ذلك في المبادىء والأحكام التي جاء بها الإسلام عن علاقة المسلمين مع غيرهم من أهل الذمة والمعاهدين.

الثالث عشر: وجوب تطوير المراكز والمنظمات الإسلامية:

لاتخفى أهمية المراكز الإسلامية، والمنظمات والاتحادات الطلابية وغيرها في نشر الإسلام، ورعاية شؤون المسلمين، وإيجاد التآلف والتعارف بينهم لذلك فعلى رابطة العالم الإسلامي والدول الإسلامية الاهتمام بتلك المراكز والمنظمات، وزيادتها، واستغلالها، لتؤدي غرضها المطلوب في مجال الدعوة، وخدمة أبناء الإسلام، حيثما وجدوا، وأينما حلّوا.

الرابع عشر: الحاجة لإعداد مراكز تدريب:

إضافة إلى ماسبق فإن الحاجة تلح في إعداد معاهد ومراكز تدريب متخصصة لإعداد الدعاة والخطباء، وبلغات الأمم الحية.

الخامس عشر: إيجاد صندوق مالي للدعوة:

وإن مما يلزم الاهتمام به كذلك إيجاد صندوق للدعوة تشرف عليه رابطة العالم الإسلامي تساهم فيه جميع الدعوة الإسلامية، كما يساهم فيه الأغنياء والأثرياء في بلاد الإسلام.

يتولى الانفاق على الدعوة والدعاة، وكذلك يساهم في مساعدة المسلمين المحتاجين، خاصة أولئك الحديثي العهد بالإسلام، في البلاد غير الإسلامية حيث يكون متنفساً لما يلاقيه هؤلاء المسلمين من اضطهاد، وتعصب من بني جلدتهم في تلك البلاد ممن يدينون بغير الإسلام.

ويفرضون الحصار المادي والمعنوي على كل من يخالف دينهم، وخاصة إلى دين الإسلام.

ولاشك أن هذا من باب التعاون الواجب على المسلمين، الوارد في مثل

قوله تعالى: « وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ » (سورة المائدة ٢).

السادس عشر : إيجاد مجلس أعلى للدعوة :

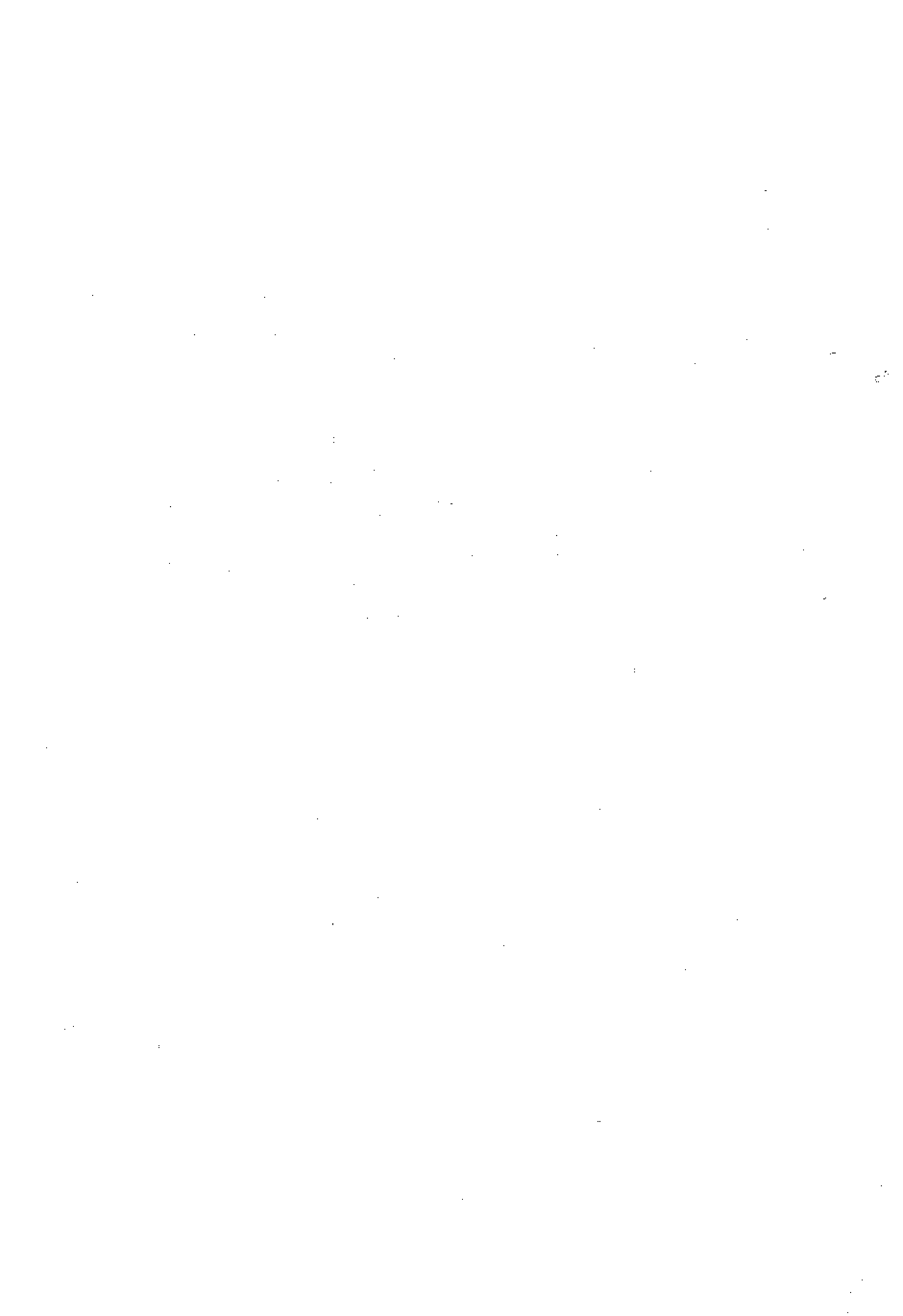
وإن مما يجب الاهتمام به إيجاد رابطة أو مجلس تنظيم تحته جميع الأجهزة التي تقوم بشؤون الدعوة في العالم، كما يلتزم المجلس بوضع خطة طويلة المدى للدعوة، ويقوم بعمليات إحصائية عن سير الدعوة، وجهود الدعاة في ذلك.

وأخيراً ... فهذه دعوة الإسلام، وتلك بعض ميزاته وخصائصها، وضعناها في الميزان فرجحت على جميع الدعوات لكونها دعوة الحق، والحق يعلو ولا يعلى عليه.

وهذه بعض الأسباب التي ساعدت في نجاح دعوة الإسلام أجملتها إجمالاً.

وختاماً ... فهذه رسالتي عن أسباب نجاح الدعوة الإسلامية .. أرجو من الله تعالى القبول والسداد، وأن يجعل عملنا جميعاً خالصاً لوجهه تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهـــارس

(١)
- فهرس الآيات القرآنية .

(٢)
- فهرس الأحاديث والآثار .

(٣)
- فهرس الأعـــلام .

(٤)
- فهرس المصادر والمراجع .

(٥)
- فهرس الموضـــوعات .



ـــ فهرس الآيات القرآنية(1)

الآيـــــة	الصفحة
* لقد جاءكم رسول من أنفسكم	١٠
* كنتم خير أمة أخرجت للناس	١٢، ٢٨، ٢٩، ١٨٢، ٣٦٥
* إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا	٢٣، ٣٣٤
* إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت	١٩
* أن يمسسكم قرح فقد مس القوم مثله	٢٤
* والذي أنزل إليك من ربك هو الحق	٢٤
* ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله	٥، ٢٤
* ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	٢٨، ٢٩، ٣٠
* وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	٢٨
* أدع إلى سبيل ربك	٥، ٣٣، ١٩٤، ٣٦٥
* قل هذه سبيلي	٤١، ٤٣، ٨٣

(1) وهي مرتبه حسب ورودها في صفحات الكتاب.

* ظهر الفساد في البر والبحر .... ٢٦، ٧٢

* ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ٤٢

* لقد سمع الله قول الذين قالوا :
إن الله فقير ونحن أغنياء ٤٧

* وقالت اليهود يد الله مغلولة ٤٨

* أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم ٤٨

* لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل ٤٨

* قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله ٤٩

* ولقد اخترناهم على علم على العالمين ٥١

* لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ٥١

* وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله ٥١

* وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هودا ٥٢

* وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ٥٥

* تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض ٥٥

* وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ٦٦

* يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى .... ٧٤، ١٦٥، ٢٩٢

* ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ٧٤

* يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم ٧٤

* الله أعلم حيث يجعل رسالته ٨٣

* هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ٨٣

* مانعبدهم ....
إلا ليقربونا إلى الله زلفى ٨٥

* وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ٨٥

* بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم ٨٧

* ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض .... ٨٨، ٩٠

* والذين اتخذوا من دونه أولياء ٨٩

* وقالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما ٩١

* وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا ٩١

* وأنه كان رجال من الإنس يعوذون ٩٢

* ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ٩٣

* فطرة الله التي فطر الناس عليها .... ٩٤، ١٧٢، ١٧٣، ٢٣٥، ٢٦٥، ٢٣٧

* أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ٩٨

* لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ١٠٣

* قالوا إنما البيع مثل الربا ١٠٣

* يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا ١٠٦

* ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ١٠٦

* وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ١١٠

* ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ١١٠

* وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ١١٠

* وإذا الموءودة سئلت*بأي ذنب قتلت ١١٢
* ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ١١٢
* وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ....
ما في الأرض جميعاً ١١٧
* لقد كان لكم في رسول الله أسوة .... ١٢٢، ٢٩٧، ٣٠١
٣٣٩
* ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ١٢٣
* ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ١٢٤
* وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ١٣١
* وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ١٣٢
* إن أول بيت وضع للناس ١٣٣
* أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ١٣٣
* رب اجعل هذا بلداً آمناً ١٣٣
* وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ١٣٤
* ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ١٣٥
* إذا جاء نصر الله والفتح .... ١٣٦، ١٤٢
* إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ١٤١
* ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ١٤٤
* ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ١٤٩
* لإيلاف قريش. إيلفهم رحلة الشتاء والصيف ١٤٩

* يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ١٥٠
* إن الدين عند الله الإسلام ١٥٦
* إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .... ١٥٩، ٢٥١
* أفلا يتدبرون القرآن ١٦٠
* ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة .... ١٦١، ٢٨٤
* يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ١٦٢
* لايكلف الله نفساً إلا وسعها ١٦٢
* يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ١٦٢
* ليس على الأعمى حرج ١٦٣
* ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ١٦٣
* وما جعل عليكم في الدين من حرج ١٦٣
* ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ١٦٤
* فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ١٦٥
* وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ١٦٥
* ولا تزر وازرة وزر أخرى ١٦٥
* لا إكراه في الدين .... ١٦٦،١٨٧، ٢٣٣
* ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ١٦٧
* ذلك بأن الله هو الحق ١٦٨
* وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ١٦٨
* بل نقذف بالحق على الباطل ١٦٨

* أنزل من السماء ماء فسالت أودية ١٦٩

* الحمد لله فاطر السموات والأرض ١٧٣

* فريقاً هدى وفريقاً حقت عليهم الضلالة ١٧٥

* إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ١٧٥

* وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .... ١٧٧، ٢٨٩

* وأسروا قولكم أو اجهروا به ١٧٧

* اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي .... ١٧٨ ، ٢٠٨، ٢٩٣

* أفلم يسيروا في الأرض ١٧٩

* ألم. ذلك الكتاب لاريب فيه ١٧٩

* ومن أضل ممن اتبع هواه ١٨٠

* وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ١٨٤

* ولقد كذبت رسل من قبلك ١٩١

* لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم .... ١٩٢، ٢٠٢

* قالو حسبنا ما وجدنا عليه ١٩٢

* ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي ١٩٥

* فقولا له قولاً ليناً لعله ١٩٥

* إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله ١٩٦

* ثم أوحينا إليك أن اتبع ١٩٦

* وإنك لعلى خلق عظيم .... ١٩٧، ٢٩٨ و ٢٨٨ ، ٣٠٠، ٣٠١

* حٰم تنزيل من الرحمٰن الرحيم ١٩٧
* إقرأ باسم ربك الذي خلق .... ١٩٩، ٢٠٠
*يا أيها المدثر ١٩٩
* فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ٢٠١
* تبت يدا أبي لهب وتب ٢٠٢
* وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .... ٢٤، ٢٢٤
* ولقد بعثنا في كل أُمة رسولا ٢٠٦
* وما أرسلناك إلا كافة للناس .... ٢٠٦، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٢٣، ١٩٤
* شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً ٢٠٧
* ماكان محمداً أبا أحد من رجالكم .... ٢٠٨، ٢٠٩
* وأوحي إلى هذا القرآن ٢١٥
* قل يا أيها الناس إني ٢١٦
* تبارك الذي نزّل الفرقان ٢١٦
* ومن يبتغ غير الإسلام دينا .... ١٥٩، ٢١٨
* الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ٢١٨
* الذين يتبعون الرسول النبي ٢١٩
* والذين آتيناهم الكتاب يعلمون ٢١٩
* واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل ٢١٩
* إنا جعلناه قرآنا عربياً ٢٢٠

* إن هو إلا ذكر للعالمين. ولتعلمن نبأه ٢٢١
* إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ٢٢٢
* وإلى عاد أخاهم هودا ٢٢٢
* وإلى ثمود أخاهم صالحا ٢٢٢
* وإلى مدين أخاهم شعيبا ٢٢٣
* ورسولاً إلى بني إسرائيل ٢٢٣
* وقالوا لولا أنزل عليه ٢٢٥
* فأفصح عنهم وقل سلام ٢٣٠
* خذ العفو وأمر بالعرف ٢٣٠
* فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين ٢٣٠
* والذين جاهدوا فينا لنهدينهم ٢٣٠
* فلا تطع الكافرين ٢٣١
* أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ٢٣١
* وقاتلوا في سبيل الله ٢٣١
* وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ٢٣٤
* والذين آمنوا وهاجروا ٢٣٤
* والذين زين لهم الشيطان أعمالهم ٢٣٥
* يسألونك عن الشهر الحرام ٢٤١
* مالكم لا تقاتلون في سبيل الله ٢٤١
* ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ٢٤٢

* لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا .... ٢٤٢، ٣١٥
* وان نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم ٢٤٢
* وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ٢٤٢
* رسلاً مبشرين ومنذرين ٢٤٧
* وما منع الناس أن يؤمنوا ٢٤٧
* وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل ٢٤٧
* الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه .... ٢٤٩، ٢٦٣
* إن علينا جمعه وقرآنه ٢٤٩
* وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له ٢٥٠
* والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ٢٥١
* ذرني ومن خلقت وحيدا ٢٥٥
* الله الذي نزل أحسن الحديث ٢٥٦
* وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ٢٥٦
* وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال ٢٥٦
* قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ٢٥٨
* بل قالوا أضغاث أحلام ٢٥٨
* أم يقولون تقوله بل لايؤمنون ٢٥٩
* أم يقولون افتراه قل فأتوا ٢٥٩
* وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ٢٥٩
* قل لئن اجتمعت الإنس والجن ٢٦٠

* ق. والقرآن المجيد ٢٦٢
* وما علمناه الشعر وما ينبغي له ٢٦١
* ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا ٢٦٢، ٢٣٨،٢٤٧
* وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة .... ٢٦٥، ٢٦٨
* وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث .... ٢٦٥،٢٦٩
* شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ٢٦٨
* إنا أنزلناه في ليلة مباركة ٢٦٨
* غير أولي الضرر ٢٧٠
* وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ٢٧٣
* وفي أنفسكم أفلا تبصرون ٢٧٦
* فآت ذا القربى حقه ٢٧٨
* وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا ٢٨٠
* يسألونك عن الخمر والميسر ٢٨٣
* كذلك يضرب الله الحق والباطل ٢٨٤
* ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ٢٨٦
* وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ٢٩١
* كتاب أحكمت آياته ٢٩٣
* فبما رحمة من الله لنت لهم .... ٣٠٢، ٣١٤
* ألم يجدك يتيماً فآوى ٣١٠
* ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ٣١٥

* وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ٢٢٣
* وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ٣٢٤
* وشاورهم في الأمر ٣٢٧
* اولئك حزب الله ٣٣١
* ألم. أحسب الناس أن يتركوا ٣٣٣
* كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ٣٣٨
* لا تحرك به لسانك لتعجل به ٣٣٩
* يا أيها الذين آمنوا لم تقولوامالا تفعلون .... ٣٣٩، ٣١٦
* وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا ٣٤١
* والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ٣٤١
* ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ٣٤٣
*المال والبنون زينة الحياة الدنيا ٣٤٩
* ومن الناس من يشري نفسه ٣٤٩
* أولئك الذين هداهم الله ٣٥٠
* لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ٣٥١
* يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله .... ٣٥٤، ٧
* انفروا خفافا وثقالا ٣٥٤
* إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ٣٥٥
* ومن المؤمنين رجال صدقوا ٣٥٥
* هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ٣٧٤



فهرس الأحاديث والآثار [1]

الحديث	الصفحة
* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما بعد..فإني أدعوك بدعاية الاسلام»	٣١
* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم	٤٤
* نقل المسعودي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «هذا أول يوم انتصف فيه العرب»	٧٢
* قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : «أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية»	٨٢، ١٧٠
* قال ابن عباس رضي الله عنهما : «إذا سرك أن تعلم جهل العرب»	٨٢
* قال ابن عباس رضي الله عنهما : * «صارت الأو ثان التي كانت في قوم نوح في العرب»	٨٥
* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رأيت عمر بن عامر الخزامي يجر قصبته»	٨٧
* عن عائشة رضي الله عنها : «مازلنا نسمع أن أسافا ونائلة»	٨٩

(١) : المعنى بالآثار : ما أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت بتخريجه.
وقد رتب الفهرس على حسب صفحات الكتاب

* عن عائشة رضي الله عنها :
«كانت قريش ومن دان دينها يقفون بعرفة» ٩٣

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
في حجة الوداع :
٢ألا إن الزمان قد استدار» ٩٣

* قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :
«إن زيد بن عمرو بن نفيل كان
يعيب على قريش» ٩٥

* عن عائشة رضي الله عنها قالت :
«كان عاشوراء يوماً تصومه قريش» ٩٦

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
«سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: لأكثم بن الجون الخزاعي» ٩٧

* قال رجاء العطاردي رضي الله عنه:
كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا ٩٨

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«قاتلهم الله لقد علموا مااستقسما
بها قط» ٩٨

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل ١٠٥

* عن جابر رضي الله عنه قال :
«كان عبد الله ابن سلول يقول
لجارية له: اذهبي فأبغينا شيئاً» ١٠٦

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
«كان الرجل إذا مات أبوه أو حميه
فهو أحق بامرأته ١٠٩

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
«هو اللبن جعلوه حلالاً للذكور» ١١٠

* عن عميرة الأسدي قال :
«أسلمت وعندي ثمانية نسوة» ١١١

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«شهدت حلف المطيبين مع عمومتي» ١١٤

*قالت عائشة رضي الله عنها :
«كان يوم بعاث يوماً قدمه الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٦

*قال علي رضي الله عنه :
«لم يبعث الله نبياً من آدم
فمن بعده إلا أخذ عليه العهد ١٢٣

* عن أبي أمامة رضي الله عنه قال :
«قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك» ١٢٥

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
«كان الجن يسمعون الوحي» ١٢٦

* روى مسلم :
«أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام» ١٢٧

* عن جابر بن سمرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم :
« إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي ١٢٨

* عن وائلة بن الأصقع عن النبي
صلى الله عليه وسلم
«إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل» ١٣٠

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إن هذا بلد حرمه الله
يوم خلق السموات والأرض ١٣١، ١٣٣

* وفي رواية قال صلى الله عليه
وسلم «إن مكة حرمها الله ولم
يحرمها الناس ١٣١

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه ١٣٨

* عن أنس رضي الله عنه :
«أن عثمان ابن عفان رضي الله عنه
عندما كلف الثلاثة الرهط» ١٤٠

* عن أبي بكر رضي الله عنه :
«ماكان فتح في الاسلام أعظم من فتح
الحديبية ١٤١

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
رفع القلم عن ثلاث ١٦٣

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» ١٦٣

* قال ابن عباس رضي الله عنهما :
«لم أكن أدري مافاطر السموات والأرض» ١٧٣

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مامن مولود يولد إلا على الفطرة ١٧٣

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«الفطرة خمس» ١٧٦

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«ألا أحدثكم بمايحدثني الله في كتابه» ١٧٤

* قالت عائشة رضي الله عنها :
دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى جنازة غلام» ١٧٥

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٨١

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«مثل مابعثني الله به من الهدى
والعلم كمثل الغيث ١٨١

* قال أنس رضي الله عنه :
«جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم ١٨٥

* قال أبو سفيان رضي الله عنه :
«فكان مما سأل عنه هرقل سؤاله عن أتباع ١٨٦ ،
النبي صلى الله عليه وسلم

* قال صلى الله عليه وسلم :
«إنما الأعمال بالنيات» ١٨٧، ٣٧٢

* كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
«هذا ماأعطى عبد الله عمر
ابن الخطاب أهل ايليا» ١٨٨

* قال ورقة بن نوفل :
«ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أو مخرجي؟!» ١٩١

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«أفرغت يا أبا الوليد؟» ١٩٨

* قال علي رضي الله عنه :
«أنا يا رسول الله عونك» ٢٠١

* عن ابن عباس رضي الله عنهما :
«فصعد الصفاء، فقال :
يا معشر قريش» ٢٠١

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«اللهم أشكو إليك ضعف قوتي» ٢٠٣، ٣١٧

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«إن النبوة والرسالة قد انقطعت» ٢٠٩

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطي
من الآيات» ٢٠٩، ٢٢٦، ٢٤٨، ٢٥٨

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«مثلي ومثل الأنبياء، كمثل
رجل بنى داراً» ٢٠٩

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ٢١٣، ٢١٧

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«فضلت على الأنبياء بست» ٢١٤

* قال صلى الله عليه وسلم :
«والذي نفس محمد بيده
لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ٢١٧، ٢١٨

• قال صلى الله عليه وسلم :
«كان النبي يبعث إلى قومه خاصة» ٢١٣

• قال صلى الله عليه وسلم :
«بعثت إلى كل أحمر وأسود» ٢١٣

• قال صلى الله عليه وسلم :
«إن بلالاً أول ثمار الحبشة» ٢٢١

• عن أبي موسى الأشعري :
«جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال: يارسول الله: ما القتال؟ ٢٣٤

• عن سليمان بن بريدة :
«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أمر أميراً على الجيش أوصاه ٢٣٨

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :
«إن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر ٢٣٨

• قال قتادة :
«بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يحث على الصدقة» ٢٣٩

• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«من قتل دون ماله فهو شهيد» ٢٤٠

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما:
«والله الذي لا إله غيره ماأنزلت
سورة من كتاب الله إلا أعلم أين
أنزلت ولا أنزلت آية ٢٦٧

عن ابن عباس رضي الله عنهما :
«أن رسول الله عليه السلام
وضع يده على كتفي ٢٦٧

* عن ابن عباس رضي الله عنه قال :
«بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأربعين سنة» ٢٦٨

* عن عائشة رضي الله عنها :
«إنما نزل أول ما نزل منه سورة من
المفصل فيها ذكر الجنة والنار ٢٦٩

* عن ابن عباس رضي الله عنهما :
«أقرأني جبريل على حرف فراجعته» ٢٧٢

* قال صلى الله عليه وسلم :
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ٢٨٨، ٣٠١

* قال صلى الله عليه وسلم :
بعثت من خير قرون بني آدم» ٣٠٦

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إن الله خلق الخلق فجعلني من
خير خلقه ٣٠٧

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«مابعث الله نبياً إلا رعى الغنم ٣٠٩

* عن ابن مسعود رضي الله عنهما :
بينما النبي صلى الله عليه وسلم
ساجد وحوله ناس من قريش ٣١٣

* قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه:
«بينا النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي في حجر الكعبة ٣١٣

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
«إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ٣١٣

* قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«يامعشر قريش، ماترون إني فاعل بكم؟ ٣١٤

* فلما وضع رسول الله يده الشريفة
في الأكل قال: «بسم الله ثم أكل» ٣١٨

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«يابني فلان، إني رسول الله إليكم» ٣١٩

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة ٣٢١

* عن ابن عباس رضي الله عنهما :
«تشاورت قريش ليلة بمكة» ٣٢٣

* جاء الحباب بن المنذر فقال:
يارسول الله أرأيت هذا المنزل ٣٢٨

* قال صلى الله عليه وسلم لنعيم:
«إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ٣٢٨

* قال صلى الله عليه وسلم لحسان
«أهج المشركين فإن جبريل معك ٣٢٩

* قال صلى الله عليه وسلم :
«تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية» ٣٣٤

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لقد كان من قبلكم يمشط بمنشار ٣٣٦

* وكان أمية ابن خلف يقول لبلال :
لا تزال هكذا حتى تموت ٣٣٦

* عن سعيد بن جبير قال :
«قلت لعبد الله بن عباس :
أكان المشركون يبلغون ٣٣٧

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
«كنت أنا وجار لي من الأنصار» ٣٤٠

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«لا تسبوا أصحابي» ٣٤١

* عن عثمان بن عفان رضي الله عنه :
«ألا أحدثكم عن عمار ٣٤٥

* أخرج أبو نعيم :
«أن بلالا من أول السبعة السابقين للاسلام» ٣٤٦

* قال خبيب بن عدي للمشركين :
«دعوني حتى أركع ركعتين» ٣٤٧

* عن أبي سفيان رضي الله عنه قال :
«ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً
كحب أصحاب محمد ٣٤٨

* قال المشركون لصهيب بن سنان :
«لانتركك تذهب غنياً» ٣٤٩

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«ربح البيع أبا يحيى» ٣٥٠

* قالت أم سلمة :
«لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة» ٣٥٢

* قال عبد الله بن أبي رضي الله عنه :
«أنه قد بلغني أنك تريد قتل
عبد الله بن أُبي» ٣٥٣

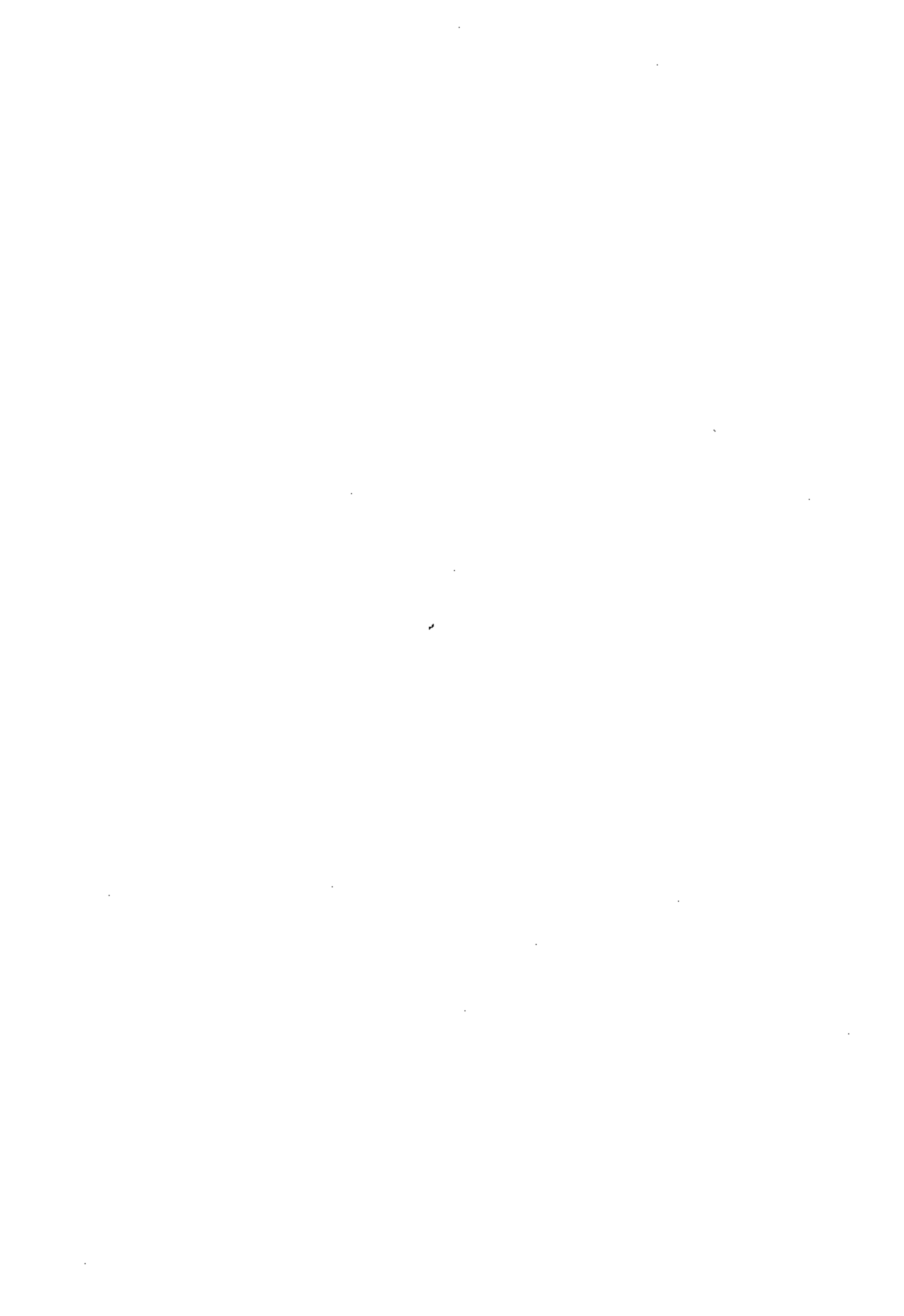
* قال أنس رضي الله عنه :
«غاب عمي أنس بن النضر» ٣٥٥

* فيخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
أصحابه أن الملائكة تغسله ٣٥٦

* قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الناس فوعظهم وذكرهم ٣٥٧

* قال أنس بن مالك :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغزو بأم سلمة ٣٥٩

* قالت أم عمارة :
«خرجت أول النهار وأنا أنظر» ٣٥٩



٣ ـ فهرس الأعلام(١)

(أ) : الأسماء والألقاب :

(الهمزة)

إبراهيم عليه السلام :
٤٩، ٥٠، ٥٥، ٨٧، ٨٤، ٨٨، ٩٤، ٩٨، ١٠٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٧، ١٩٦، ٢٠٧.

أبـرهــة : ١٣٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠.

أبرويز : ٦٥.

أبليس : ٢٣، ٨٤، ٨٦، ١٢٥.

أبهرام : ٦٤.

أبي بن كعب : ٢٦٧.

أحمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) : ١٢٤، ١٢٥.

أحمد بن حنبل : ١١٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٨، ١٧٤، ٢٤٠، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٤٥.

آدم : ٢٣، ٨٦، ١٣٤، ١٦٨، ١٧٤.

آدم عبد الله الألوري : ١٤.

أردشير : ٧٢.

ارم : ١٢٤.

اساف : ٨٩، ١٣٥، ٣١٣.

أسماء بنت عميس : ٣٥٨.

اسماعيل : ٣٣٦.

اسماعيل (عليه السلام) : ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٧، ٩٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٧، ٣٠٧.

أكثم بن الجون الخزاعي : ٩٧.

اللآت : ٩٨، ٣١٣، ٣١٩، ٣٣٧.

امبراطور : ٧٠.

أمية بن خلف :٢٨٦

أمية بن زيد : ٣٤٠.

الأنبياء : ١٢٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٠.

أنس بن مالك : ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٨٥، ٢٠٨، ٣٣٩، ٣٥٥، ٣٥٩.

أنس بن النضر : ٣٥٥، ٣٥٦.

الأنصار : ١٣٦، ٢٠٤، ٣٢٧، ٣٤٠.

أنو شروان : ٦٥.

الأوس : ١١٦، ١١٧، ٣٢٢، ٣٢٧.

(الباء)

الباقلاني (أبو بكر الطيب) : ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٧.

البخاري (أبو عبد محمد بن اسماعيل) : ٨٢، ٨٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١١١، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٧٦، ١٨١، ١٨٧، ٢٣٤، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٣٦، ٣٤٦.

البراهمة : ٦٠، ٧٣.

(١) : وهي مرتبة حسب الحروف الهجائية وبما اشتهروا به من الأسماء أو الألقاب بدون اعتبار (أل) الداخلة على الأعلام.
ــ أفردت الاعلام المكناه بـ(أب أو أم) وكذلك المصدرة (بابن أو بني) بفهارس مستقلة في نهاية فهرس الأعلام.

بلال بن رباح : ٢٢١، ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٤٦.
بهرام : ٥٧.
بوذا : ٢٢٣.
بوران : ٧٢.
بولس : ٥٤.
بيان بن عثمان بن عفان : ٣٣٦.

(التاء)

توماس. آرنولد : ٧٩، ٢٢٠.

(الثاء)

ثابت بن قيس : ٣٢٩، ٣٣٠

(الجيم)

جابر بن سرة : ١٢٨.
جابر بن عبد الله : ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٧.
جبريل (عليه السلام) : ٤٩، ١٢٧، ١٩٩.
جرهم : ٨٩، ١٣٥.
الجصاص (أبو بكر أحمد الرازي) : ١١٥.
جعفر بن أبي طالب : ٨١، ١٦٩.
الجن : ٩٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.
الجنسية : ٦٩، ٧٧.

(الحاء)

الحباب بن المنذر : ٣٢٧، ٣٢٨.
حذيفة بن فزارة : ١١٥.
حسان بن ثابت : ١٠٤، ٣٢٩، ٣٣٠.
حسين بن عبد الله : ٣١٩.
حليمة السعدية : ١٢٧، ١٢٨.
حمزة بن عبد المطلب : ١٤٩، ٣٠٦.
حمير : ٨٥، ٩١.
حنظلة بن أبي عامر (غسيل الملائكة) : ٣٥٦.
حواء : ٢٣.

(الخاء)

خالد بن سنان : ٩٦.
خديجة : ١٢٨، ٢٠١، ٣٠٣.
خالد بن الوليد : ٩٨، ٣٣٤.
خباب بن الأرت : ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٥٨.
خبيب بن عدي : ٣٤٦، ٣٤٧.
خزاعة : ٨٩، ٩٢.
الخزرج : ١١٦، ١١٧، ٣٢١.
الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد) : ٢٦١، ٢٦٤.
الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن ثابت) : ٣٤٢.

(الدال)

داربر : ٦٣
دينفسون : ٣٠.

(الذال)

ذبيان : ١١٥.

(الراء)

الرازي : ٢٦١.
الراغب الأصفهاني : ١٠٧، ١٩٩.

ربيعة بن عباد : ٣١٩.
رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم : ٣٥٨.
الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى) : ٢٦١.
الروم : ٣١، ٥٦، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٨٠، ١٠٨.

(الزاي)

الزجاج (إبراهيم بن السري) : ٢١٥
زراد شت : ٥٨، ٢٢٣.
الزملكاني : ٢٦١.
الزهري (محمد بن عبد الله بن شهاب) : ١٠٥، ١٤١، ٢٧٤.
زيد بن ثابت : ١٤٠.
زيد بن حارثة : ٢٠١، ٢٠٢، ٣٠٤.
زيد بن الدثنة : ٣٤٧، ٣٤٨.
زيد بن عمرو بن نفيل : ٩٤، ٩٥.

(السين)

السدي (اسماعيل بن عبد الرحمن): ١٠٩
سعد بن معاذ : ٣٥٥.
سعيد بن جبير : ٨٢، ٣١٧.
سعيد بن زيد بن عمرو : ٢٤٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٥٨.
سفيان : ٣٣٦.
سلمان الفارسي : ١٢٤، ٢٢١، ١٩٣.
سليمان بن بريدة : ٢٣٨.
سمية (أم عمار) : ٣٤٦.
سهلة بنت سهيل بن عمرو : ٣٥٨.
سواع : ٨٥.
سيد قطب : ١٦٨، ٢٠٧، ٢٨٧، ٢٩٢.

(الشين)

الشعبي (عامر بن شراحيل) : ٦٥، ١١١.
شعيب (عليه السلام) : ٢٢٢.
الشهرستاني : ٥٧، ٦٠.
شهريار : ٦٥.
الشوكاني (محمد بن علي) : ٨٦.
شيبة بن ربيعة : ٣١٨.
الشيطان : ٢٣، ٢٧، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٢، ١٢٦، ١٧٨، ١٧٩.

(الصاد)

صالح (عليه السلام) : ٢٢٢.
صفوان بن أمية : ٣٤٨.
صهيب بن سنان : ٢٢١، ٣٤٥، ٣٤٩.

(الضاد)

الضحاك (أبو القاسم الضحاك بن مزاحم) : ٨٦.

(الطاء)

الطبراني : ١٣٨، ٣٠٧.
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : ٥٧، ٧٩، ١٠٥، ١٩٦، ٢١٥.
طه : ٢٥٤.

(العين)

عائشة (أم المؤمنين) : ٨٩، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ١٠٧، ١١٦، ١٧٥، ١٩٩.
عاد : ١٢٤.
عامر العدواني : ٩٦.
العباس بن عبد المطلب : ١٣٨، ٣٠٧.
عباس محمود العقاد : ١٠٠.
عبد الأسد : ٣٥٢.
عبد الدار : ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١١٥.
عبد الستار فتح الله سعيد : ١٩.
عبد شمس : ٢٥٥.
عبد الرحمن بن عوف : ١١٤.
عبد الله بن أبي بن سلول : ١٠٦، ٣١٥، ٣٥٣.
عبد الله بن جحش : ٩٤، ٩٥.
عبد الله بن عباس : ٨٢، ٨٥، ١٠٩، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ٢٢٧، ٢٦٧، ٢٧٢، ٣١٣، ٣٢٣.
عبد الله بن عبد المطلب : ٣٠٦.
عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٨٨، ٢٨٠.
عبد الله بن عمرو بن العاص : ٩٥، ٢٣٨، ٣١٣.
عبد الله بن المبارك : ٢٢٨.
عبد الله بن مسعود : ٢٦٧، ٣٤٠.
عبد المطلب بن هشام : ١٢٥، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٦، ٢٠٢، ٣٠٦، ٣٠٩.
عبد مناف : ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ٢٠٢.
عبد مناه : ٩٨.
عبس : ١١٥.
عتبة بن ربيعة : ١٩٧، ٢٠٣، ٣١٣، ٣١٨، ٣٤٥.
عداس : ٣١٨.
عثمان بن الحويرث : ٩٤، ٩٥.
عثمان بن عفان (رضي الله عنه) : ١٤٠، ١٨١، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٥٨.
العرب : ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٩٠، ٩٦، ٩٩، ١٠٧، ١١٦، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧، ٣٣٠.
عروة بن الزبير : ٨٦، ٣١٣.
العزي : ٩٨، ٣١٣، ٣١٩، ٣٣٧.
عقبة بن أبي معيط : ٣١٢، ٣١٣.
عكرمة (أبو عبد الله عكرمة البربري) : ٨٦.
علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : ١٢٣، ٢٠١، ٣٢٣.
علي عبد الواحد وافي : ٥٠، ٣٦.
عمار بن ياسر : ٣٤٥.
عمر بن لحي الخزاعي : ٨٧، ٨٩، ٩٦، ٩٧، ٩٩.
عمير بن الحمام : ٣٥٦.
عميرة الأسدي : ١١١.
عياض بن حمار المجاشعي : ١٧٤.

عياض (القاضي أبو الفضل) : ٤٦،١٢٣، ٢٦٣، ٣٠١.

(الغين)

الغزالي (أبو حامد محمد الطوسي) : ٣٤، ٢٨٨.
غوتاما : ٦٩.

(الفاء)

فارس : ٥٧، ٦١، ٦٤، ٦٨، ٦٥، ٧١، ٧٩، ٩٢، ١٢٥.
فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم : ٣١٣.
فاطمة بنت الخطاب : ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٥٨.
فيروز مهران : ٧٩.
فيمون : ١٠٢

(القاف)

قابيل : ٢٣.
قباذ : ٥٨.
قتادة بن دعامة السدوسي : ٨٦، ١١١، ٢٣٩.
القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) : ١٠٥، ١١٠، ١٧٤، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣.
قريش : ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١١٣، ١١٦، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٩٨، ٢٠١، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٢٣.
قسي بن ساعدة : ٩٦.
قصي بن كلاب : ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١٣٥، ١٣٨.
قيس : ١١٥.
كسرى : ٦٥، ١٢٥.
الكلبي (أبو المنذر محمد بن السائب) : ٨٨، ٨٩.
كليب : ١١٥.
كنانة : ١٠٠، ١١٦، ١٤٥، ٣٠٧.
كندة : ١٠٠.
كونفشيوس : ٦١.

(اللام)

لا تسو : ٦١.
ليلى بنت أبي حثمة : ٣٥٨.
ليكي : ٦٧.
لي يان : ٧٣.

(الميم)

مالك بن أقيش : ٣١٩.
مانو : ٧٧.
ماني : ٦٨.
الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد) : ٢٦١، ٣٠٧.
مجاهد بن جبر : ١١١.
محمد إبراهيم التيمي : ٩٧،
محمد بن سعود : ٢٠.
محمد عبد الله دراز : ٢٥٠.
محمد بن كعب القرظي : ١٧٥.
محمود : ١٤٦.

مرثد بن أبي مرثد : ٣٤٦.
المروزي : ١٧٤.
مريم : ٥٦، ٨٣.
مزدك : ٥٧، ٦٤.
المسعودي (علي بن الحسين) : ٦٥، ٧٢، ٩٢.
مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج) : ٤٤، ٩٣، ١٠٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٨، ١٧٤، ١٧٦، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٨، ٣٠٧، ٣٥٩.
مصعب بن عمير : ٣٦.
مقاتل (أبو الحسن مقاتل بن سليمان) : ٢١٥، ٢٢٨.
مكاريوس : ٦٨.
مناة : ٩٧، ٣١٣.
المهاجرون : ٣٤٩.
موسى (عليه السلام) : ٤٨، ٢١٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٧.
ميسرة : ١٢٨، ٣٠٣.

(النون)

نائلة : ٨٩، ١٣٥، ٣١٣.
النجاشي : ٨١، ١٤٤، ٢١٤.
الندوي (أبو الحسن علي) : ٦٣، ٦٨، ٢٧٦، ٢٣٣.
نسر : ٨٥.
النصارى : ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٦٦، ١٠٢، ١٢٣
النضر بن الحارث : ٣٠٣.
نعيم بن مسعود : ٣٢٨.
نعيم بن عبد الله النحام : ٢٥٣.
نمير : ١٠٠.
نوح (عليه السلام) : ١٩٠، ٢٢٢
النووي : ١٤١، ١٤٢، ١٧٦، ١٩٩، ٢٢٠.

(الهاء)

هابيل : ٢٣٠.
هارون (عليه السلام) : ١٦٦
هاشم : ١٣٠، ١٣٩.
هذيل : ٣٤٧.
هرقل : ٢٦٠، ١٨٦، ٢١٤، ٣٠٤.
هرم بن سنان : ١١٥.
هرمز : ٦٥، ١٨٤.
هود (عليه السلام) : ٢٢٢.

(الواو)

واثلة بن الأصقع : ١٣٠، ٣٠٧.
الواحدي (علي بن أحمد النيسابوري) : ١٧٥
ودّ : ٨٥، ٨٦.
ورقة بن نوفل : ٩٤، ٩٥، ١٩١.
الوليد بن المغيرة : ٢٥٣، ٢٥٤.
وليم ميمور : ٢١٤.
ويلز : ٧٩.

(الياء)

يعوق : ٨٥.
يوسيبيس : ٦٨
يوحنا : ٦٨

يغوث : ٧٤، ٨٥.
اليهـود : ٤٤، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٩٩، ١٠٠، ١١٦، ١٢٣، ٢٢٣.
يوحنا : ٦٨.
يوسبيس : ٦٨.

ب ـ الكنى (أبو و أم)

(الهمزة)

أبو الأعلى المودودي : ٢٨٥
أبو أمية سهيل بن المغيرة : ٣٥٢.

(الباء)

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) : ١٤١، ٢٠١، ٣٠٤، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٥.

(الجيم)

أبو جهل بن هشام : ٢٥٤، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٣٧، ٣٤٦.

(الحاء)

أم حبيبة بنت أبي سفيان : ٩٥.

(الدال)

أبو داود (سليمان بن الأشعث) : ١١١

(الراء)

أبو رجاء العطاردي : ٩٨.

(السين)

أبو سعيد الخدري : ٣٤١
أم سعد بنت سعيد بن الربيع : ٣٦٠
أبو سفيان بن حرب : ١٨٦، ٣٠٤، ٣٤٧، ٣٤٨.
أم سلمة : ٣٥٢، ٣٥٩.
أبو سلمة المخزومي : ٣٥١، ٣٥٨.

(الصاد)

أبو صالح السمان : ٩٧.

(الطاء)

أبو طالب بن عبد المطلب : ١٩٢، ٣١٧، ٣٢١.

(العين)

أبو عبيدة (عامر بن الجراح) : ٣٥٧
أم عمارة (نسيبة بنت كعب) : ٣٥٩، ٣٦٠
أم عمرو : ٩١.

(الكاف)

أبو كبشة : ١٢٧

(اللام)

أبو لهب (عبد العزي بن عبد المطلب) : ١٣٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٣١٩.

(الميم)

أبو موسى الأشعري : ١٨١، ٢٣٤.

(النون)

أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصفهاني) : ٣٤٦

(الهاء)

أبو هريرة (عبد الرحمن بن صخر الدوسي) : ٨٧، ٩٧، ١٣٣، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ٢١٤، ٢١٧، ٢٤٨، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣٣٩، ٣٤٢.

أبو الهيثم : ١٧٥.

(الياء)

أبو يحيى : ٣٥٠

جـ ـــ ما أضيف إلى (ابن أو بني)

(الهمزة)

ابن الأثير : ٢٦

ابن إسحاق : ٨٦، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٢، ١١٣، ١١٤، ١٢٣، ١٢٦، ١٩٣، ٢٠٤، ٢٥٣، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٧، ٣١٩، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٥٢.

بنو أسد : ١٠٢، ١١٤.

بنو اسرائيل : ٢١٩

(التاء)

ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحليم) : ٢٨، ٣٠، ٢٦١، ٣٠٩

بنو تميم : ٣٣٠، ٣٤٥.

(الجيم)

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن) : ٨٤

بنو جمح : ٣٣٦

(الحاء)

ابن حجر العسقلاني : ٢٢٨

ابن حزم (أبو محمد علي بن حزم) : ٢٠٨.

ابن الحصار : ٢٦٢

(الزاي)

بنو زهرة : ٢٠٢

(السين)

ابن سراقة : ٢٦١

بنو سعد : ١٢٧، ٣٠٩

(القاف)

ابن قيتيبة (عبد الله بن مسلم) : ٩٢

ابن قمأة: ٣٥٩، ٣٦٠.

ابن قيم (شمس الدين محمد بن أبي بكر) : ٢٩، ١٦٢، ١٧٠، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٣٠، ٣٤٦.

بنو قريظة : ٩٩، ٣٢٨

بنو قينقاع : ٣١٥.

(الكاف)

ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن كثير) : ٩٥، ١١٠، ١١١، ١١٧، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٩٠، ٢١٦، ٢١٨.

(الميم)

بنو مليح : ٩٢.
بنو النضير : ٩٩، ٣١٥.

(الهاء)

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن أيوب) : ٧٨، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٤، ٩٦، ١٠٣، ١٠٤، ١١٠، ١١١، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٨، ١٦٣، ١٦٩، ٢٥٤، ٢٧٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١٢، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٩.



فهرس المصادر والمراجع(1)

أولاً : القرآن الكريم وعلومه :

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الاتفاق في علوم القرآن :، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ــ الطبعة الرابعة سنة ٣٠٩٨هـ ــ مطبعة الحلبي بمصر.

٣ ــ أحكام القرآن : أحمد بن علي الرازي الجصاص ــ المطبعة البهية بمصر.

٤ ــ أحكام القرآن : محمد عبد الله أبو بكر (ابن العربي) تحقيق: محمد البجاوي ــ نشر دار المعرفة ــ بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ.

٥ ــ إعجاز القرآن : للقاضي أبو بكر الباقلاني، الطبعة الرابعة ــ سنة ١٣٩٨هـ (بهامش الاتفاق).

٦ ــ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ــ الناشر: دار المعرفة ــ بيروت.

٧ ــ الانسان في القرآن ــ عباس محمود العقاد ــ الطبعة الثانية ١٩٦٩م ــ الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٨ ــ الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : مكي بن أبي طالب القيسي ــ تحقيق الدكتور/ أحمد فرحات ــ الطبعة الأولى ــمطابع الرياض.

٩ ــ البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد عبد الله الزركشي ــ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ــ الناشر: دار المعرفة ــ بيروت.

١٠ ــ بيان اعجاز القرآن : لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي ــ ضمن ثلاث رسائل ــ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ــ الطبعة الثانية.

١١ ــ التبيان في علوم القرآن : محمد علي الصابوني ــ الطبعة الأولى ــ الناشر: دار الارشاد ــ بيروت ١٣٩٠هـ.

١٢ ــ التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ــ دار الشروق بيروت.

---

(١) : وهي مرتبة على حروف المعجم كل في بابه.

١٣ ــ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ــ دار سعادات ١٣١٤هـ ــ ودارالكتب العربية بمصر.
١٤ ــ تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) علي بن محمد البغدادي المعروف بـ(الخازن) ــ دار الفكر ــ بيروت.
١٥ ــ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ــ الطبعة الثانية ــ دار المعرفة.
١٦ ــ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : نظام الدين الحسن النيسابوري ــ الطبعة الثانية ــ دار المعرفة ــ بهامش تفسير الطبري.
١٧ ــ تفسير غريب القرآن : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ــ تحقيق: أحمد صقر ــ نشر دار الباز بمكة المكرمة ــ طبعة ١٣٩٨هـ.
١٨ ــ تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) أبو عبد الله فخر الدين الرازي ــ المطبعة الأميرية بمصر ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧هـ.
١٩ ــ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ــ لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي (دار الفكر) للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٠ ــ الجامع لأحكام القرآن ــ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ــ منشورات دار الشعب.
٢١ ــ روائع البيان تفسير آيات الأحكام ــ محمد علي الصابوني ــ منشورات مكتبة الغزالي ــ دمشق الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.
٢٢ ــ الظاهرة القرآنية : مالك بن بني ــ ترجمة عبد الصبور شاهين ــ إصدار دار الفكر ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.
٢٣ ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ــ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ــ الناشر مكتبة ومطبعة الحلبي ــ مصر.
٢٤ ــ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ــ الشهير بـ(الجمل) ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.
٢٥ ــ في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ الطبعة الرابعة ــ سنة ١٣٩٧هـ ــ دار الشروق.
٢٦ ــ مبادىء أساسية لفهم القرآن ــ أبو الأعلى المودودي ــ ترجمة : خليل الحامدي ــ الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ.

٢٧ ــ مباحث في علوم القرآن : د. صبحي الصالح ــ الطبعة التاسعة عام ١٩٧٧م ــ دار العلم للملايين ــ بيروت.
٢٨ ــ مباحث في علوم القرآن ــ للشيخ مناع القطان ــ الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٦هـ ــ مؤسسة الرسالة.
٢٩ ــ المرأة في القرآن : عباس محمود العقاد ــ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩م ــ دار الكتاب االعربي ــ بيروت.
٣٠ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الفكر للطباعة والنشر ــ بيروت.
٣١ ــ مفردات الراغب (المفردات في غريب القرآن) لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ــ تحقيق: محمد سيد كيلاني ــ دار المعرفة ــ بيروت.
٣٢ ــ مناهل العرفان في علوم القرآن ــ محمد عبد العظيم الزرقاني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ مصر.
٣٣ ــ من روائع القرآن : د. محمد سعيد رمضان البوطي ــ الطبعة الثالثة ــ ١٣٩٢هـ مكتبة الفارابي.
٣٤ ــ النبأ العظيم : الدكتور/ محمد عبد الله درّاز ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٠هـ دار القلم. الكويت.
٣٥ ــ الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا ــ الطبعة الثامنة ــ الناشر: المكتب الإسلامي ــ دمشق.

ثانياً : الحديث وشرحه :

٣٦ ــ الأدب المفرد : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ــ الناشر: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ــ بيروت : ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٣٧ ــ الجامع الصحيح (سنن الترمذي) محمد بن عيسى الترمذي ــ مطبعة البابي الحلبي بمصر ــ الطبعة الأولى: ١٣٨٥هـ.
٣٨ ــ الجامع الصغير : جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ــ الطبعة الرابعة ــ دار الكتب العلمية ــ وتوزيع دار الباز بمكة المكرمة.
٣٩ ــ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين لأبي زكريا محيى الدين يحيى النووي ــ تحقيق: محيى الدين الجراح ــ مؤسسة مناهل العرفان ــ بيروت.

٤٠ ــ سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة ــ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ــ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.
٤١ ــ سنن ابن داود السجستاني ــ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق ــ محيي الدين عبد الحميد ــ الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ ــ دار السعادة بمصر.
٤٢ ــ سنن الدارقطني ــ علي بن محمد الدارقطني ــ تصحيح: عبد الله هشام يماني ــ شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة ــ الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.
٤٣ ــ سنن النسائي ــ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي ــ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ ــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٤٤ ــ صحيح البخاري بحاشية السندي ــ لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ــ الناشر دار المعرفة ــ بيروت.
٤٥ ــ صحيح ابن حبان ــ أبو حاتم بن حبان البستي ــ الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ــ الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
٤٦ ــ صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ــ تحقيق ــ الاعظمي (المكتب الإسلامي) دمشق.
٤٧ ــ صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ــ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ــ الناشر إدارة البحوث العلمية بالرياض ــ ١٤٠٠هـ.
٤٨ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ــ الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ــ منشورات دار الفكر ــ بيروت.
٤٩ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري ــ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ الناشر: شركة الحلبي القاهرة.
٥٠ ــ الكفاية في علم الرواية ــ أبو بكر أحمد بن علي (الخطيب البغدادي) ــ جمعية دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر أباد ١٣٥٧هـ.
٥١ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ــ منشورات مكتب المطبوعات الإسلامي ــ حلب.
٥٢ ــ مسند الإمام أحمد : لأحمد بن محمد بن حنبل ــ تحقيق : أحمد شاكر ــ منشورات دار المعارف بمصر ١٣٦٩هـ.
٥٣ ــ المعجم الكبير للطبراني : لابن القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ــ تحقيق: حمدي السلفي ــ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ــ مطبعة الوطن العربي.

٥٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث : مجموعة من المستشرقين ـ مكتبة بريل في مدينة ليدن ١٩٣٦م.
٥٥ ـ المعجم المفهرس (مفتاح كنوز السنة) للدكتور/ فنسك ـ ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي ـ الناشر إدارة ترجمان السنة بلاهور ـ باكستان.
٥٦ ـ المنتقى من أخبار المصطفى ـ مجد الدين أبو البركات عبد السلام لابن تيمية الحراني ـ تحقيق: محمد حامد فقي ـ الطبعة الأولى ١٣٥١هـ ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.
٥٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجوزي (ابن الأثير) تحقيق: محمود محمد الطناجي ـ الناشر: المكتبة الإسلامية.

ثالثاً : المعتقدات والأديان والمذاهب :

٥٨ ـ إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد الغزالي ـ منشورات دار المعرفة بيروت.
٥٩ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام : للدكتور/ علي عبد الواحد وافي ـ مطبعة نهضة مصر للطباعة والنشر بالقاهرة.
٦٠ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ـ تحقيق: محمد سعيد الكيلاني ـ الناشر: مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة.
اقتضاء الصراط المستقيم في مخافة أصحاب الجحيم : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق: محمد حامد الفقي ـ توزيع دار الباز بمكة.
٦٢ ـ الله : عباس محمود العقاد ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٣٦٧هـ.
٦٣ ـ الإنسان في ظل الأديان (الأديان والمعتقدات القديمة) للدكتور/ عمارة نجيب محمد ـ طبعة ١٩٧٦م ـ المكتبة التوفيقية بالقاهرة.
٦٤ ـ الإيمان : أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.
٦٥ ـ تلبيس إبليس: لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٦٦ ـ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ـ سيد قطب ـ الطبعة الرابعة ـ دار الشروق.
٦٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية : لأبي جعفر أحمد الطحاوي ـ الطبعة الثالثة ـ منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.

٦٨ ـ الشيوعية والإسلام : عباس العقاد وأحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الثانية ـ دار الأندلس ـ بيروت.

٦٩ ـ الطوطمية أشهر الديانات البدائية :للدكتور/علي عبد الواحد وافي (سلسلة إقرأ) دار المعارف بمصر

٧٠ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ أبو محمد علي بن حزم ـ طبعة ١٣٢١هـ بمطبعة محمد أمين الخانجي بالقاهرة.

٧١ ـ كتاب الأصنام ـ أبو المنذر محمد السائب الكلبي ـ تحقيق : أحمد زكي. المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢هـ.

٧٢ ـ معركتنا مع اليهود : سيد قطب ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٧٣ ـ معركة الوجود بين القرآن والتلمود ـ للدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد ـ الناشر: دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهرة.

٧٤ ـ مقارنة الأديان : للدكتور/ أحمد شلبي ـ الطبعة السادسة ١٩٧٩م. ـ مكتبة النهضة المصرية.

٧٥ ـ الملل والنحل : أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ـ تحقيق: محمد سيد الكيلاني ـ الناشر: دار المعرفة بيروت ـ الطبعة الثانية.

٧٦ ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ـ أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ـ الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.

٧٧ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : شمس الدين محمد بن قيم الجوزية (ضمن الجامع الفريد) المحتوي على كتب ورسائل لائمة الدعوة ـ مطبعة المدينة المنورة بالرياض.

٧٨ ـ اليهودية والنصرانية : أحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩١هـ ـ دار الأندلس ـ بيروت.

رابعاً : كتب الأصول والأحكام :

٧٩ ـ إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ـ تصحيح وتعليق: محمد جمال الدين القاسمي ـ الطبعة الأولى بمطبعة المنار بمصر ١٣٢٧هـ.

٨٠ ـ (الأم) : محمد بن إدريس الشافعي ـ كتاب الشعب ١٣٨٨هـ.

٨١ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين ـ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي

بكر (ابن قيم الجوزية) ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٧هـ دار الفكر ــ بيروت.

٨٢ ــ بداية المجتهد ونهاية المقتصد ــ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي ــ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

٨٣ ــ الشرح الكبير ــ لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي ــ مطبوعات كلية الشريعة بالرياض.

٨٤ ــ الفقيه والمتفقه : لأبي بكر أحمد بن ثابت البغدادي ــ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ــ مطابع القسيم بالرياض.

٨٥ ــ المحلي ــ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ــ تحقيق: أحمد شاكر ــ الناشر: مكتبة الجمهورية العربية ١٣٨٧هـ.

٨٦ ــ المغني : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ــ المطبعة اليوسفية والناشر ــ مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

خامساً : السيرة والشمائل :

٨٧ ــ أعلام النبوة : أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ــ المطبعة الثانية ١٤٠١هـ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٨٨ ــ الجهاد في الإسلام : للأساتذة : أبي الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب ــ الطبعة الثانية ــ الاتحاد الإسلامي العالمي.

٨٩ ــ جوامع السيرة : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ــ تحقيق الدكتور/ إحسان عباس وزميله. الناشر: دار المعارف بمصر.

٩٠ ــ حياة محمد : محمد حسين هيكل ــ الطبعة الثانية عشرة ــ دار المعارف بمصر.

٩١ ــ الخصائص الكبرى : جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي ــ تحقيق: محمد خليل هراس ــ دار الكتب الحديثة ١٣٨٦هـ ــ القاهرة.

٩٢ ــ دلائل النبوة : أبو نعيم أحمد الأصفهاني ــ الطبعة الثانية ١٩٦٩م ــ مطبعة حيدر أباد.

٩٣ ــ الرسول صلى الله عليه وسلم ــ سعيد حوى ــ الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ ــ مطبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٩٤ ــ الروض الأنف : عبد الرحمٰن بن عبد الله السهيلي ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٣٢هـ.

٩٥ ــ زاد المعاد في هدي خير العباد ــ شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية ــ الطبعة الثالثة ــ ١٣٩٣هـ ــ دار الفكر ــ بيروت.
٩٦ سيرة بن هشام (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) لأبي محمد عبد الملك ابن هشام ــ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار الفكر.
٩٧ ــ السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ــ علي برهان الحلبي الشافعي ــ طبعة ١٤٠٠هـ ــ دار المعرفة ــ بيروت.
٩٨ ــ سيرة الرسول (صورة مقتبسة من القرآن الكريم) ــ محمد عزة دروزة ــ الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ــ مطبعة عيسى الحلبي ــ القاهرة.
٩٩ ــ السيرة النبوية لابن كثير ــ أبو الفدا عماد الدين اسماعيل ابن كثير ــ تحقيق: مصطفى عبد الواحد ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة.
١٠٠ ــ شرح المواهب اللدنية ــ محمد عبد الباقي الزرقاني المالكي ــ الطبعة الأولى.
١٠١ ــ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ــ أبو الفضل القاضي عياض الحصبي ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ١٣٣٥هـ.
١٠٢ ــ صفوة الصفوة : أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي الجوزي ــ تحقيق وتعليق: محمود فخوري ــ الناشر دار الوعي بحلب.
١٠٣ ــ عبقرية محمد (العبقريات الإسلامية) ــ عباس محمود العقاد ــ بيروت ــ دار الآداب العربية ١٣٨٦ـ.
١٠٤ ــ عصر النبي وبيشته قبل البعثة : محمد عزة دروزة ــ الطبعة الثانية ــ دار اليقظة العربية ــ بيروت.
١٠٥ ــ فقه السيرة : دكتور محمد سعيد رمضان البوطي ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٦٩م ــ بيروت.
١٠٦ ــ فقه السيرة : محمد الغزالي ــ الطبعة السابعة ــ ١٩٧٦م ــ دار الكتب الحديثة ــ القاهرة
١٠٧ ــ فلسفة الجهاد في سبيل الله : عبد الحافظ عبد ربه ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٣٩٢هـ.
١٠٨ ــ القتال في الإسلام (أحكامه وتشريعاته) : محمد بن ناصر الجعوان ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٠١هـ ــ الرياض.
١٠٩ ــ محمد رسول الله ــ محمد رضا ــ طبعة ١٣٩٥هـ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١١٠ ــ محمد رسول الله : مولاي محمد علي ــ ترجمة: مصطفى فهمي وعبد الحميد جودة السحار ــ الناشر: مكتبة مصر بالقاهرة.

١١١ ــ مع المصطفى : دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ــ الطبعة الأولى ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

١١٢ ــ المغازي : (مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم) أبو عبد الله محمد الواقدي ــ طبعة ١٣٦٧هـ القاهرة.

١١٣ ــ النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني ــ الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ــ دار الإرشاد ــ بيروت.

١١٤ ــ النفحة الملوكية في أحوال الأمة العربية الجاهلية ــ عمر نور الدين القلوصي ــ الطبعة الأولى ١٣١١هـ ــ مطبعة المهندس ــ مصر.

١١٥ ــ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ــ محمد الخضري ــ تحقيق: محيي الدين الجراح ــ الطبعة الثانية.

سادساً : كتب الدعوة والدعاة :

١١٦ ــ أصول الدعوة : د/ عبد الكريم زيدان ــ الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ ــ الناشر: مكتبة المنار الإسلامية.

١١٧ ــ تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم ــ آدم عبد الله الألوري ــ الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ ــ مكتبة وهبة بالقاهرة.

١١٨ ــ تذكرة الدعاة ــ البهي الخولي ــ الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ ــ مكتبة الفلاح بالكويت.

١١٩ ــ تذكرة دعاة الإسلام : أبو الأعلى المودودي ــ ترجمة وتقديم: خليل الحامدي ــ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ المكتب الإسلامي بدمشق.

١٢٠ ــ ثقافة الداعية : د/يوسف القرضاوي ــ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

١٢١ ــ الحسبة في الإسلام : أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ــ تحقيق: محمد زهري النجار ــ منشورات المؤسسة السعودية بالرياض.

١٢٢ ــ دعوة الحق : يوسف عبد الرازق ــ الطبعة الأولى ــ مؤسسة نصار للنشر والتوزيع بالقاهرة.

١٢٣ ــ دعوة الإسلام : سيد سابق ــ دار الفكر ــ بيروت.

١٢٤ ــ الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها : د/ أحمد غلوش ــ مطبعة نهضة مصر ــ الفجالة ــ الناشر: دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللباني ــ بيروت.

١١٥ ــ الدعوة الإسلامية فريضة شرعية : د/ صادق أمين ــ طباعة جمعية المطابع التعاونية ــ عمان.

١٢٦ ــ الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ــ محمد الراوي ــ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨١هـ.

١٢٧ ــ الدعوة إلى الإسلام : سير توماس أرنولد ــ ترجمة الدكتور/ حسن إبراهيم وآخرون ــ الطبعة الثالثة ١٣٩٠هـ ــ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

١٢٨ ــ الرسالة الخالدة : عبد الرحمن عزام ــ الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ ــ دار الشروق ــ بيروت.

١٢٩ ــ عالمية الدعوة الإسلامية : د/ علي عبد الحليم محمود ــ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ــ الناشر: دار عكاظ السعودية ــ جدة.

١٣٠ ــ فقه الدعوة : (دراسة موضوعية لسيرة الدعوة ومنهجها في العهد المدني) للدكتور/ جمعة علي الخولي ــ المكتبة التوفيقية بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

١٣١ كيف ندعو إلى الإسلام؟ : فتحي يكن ــ الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

١٣٢ ــ مشكلات الدعوة والداعية ــ فتحي يكن ــ الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

١٣٣ ــ مع الله : محمد الغزالي ــ الطبعة الثالثة ١٣٨٥هـ ــ دار الكتب الحديثة ــ القاهرة.

سابعاً : كتب التاريخ والتراجم والأعلام :

١٣٤ ــ أبو الأعلى المودودي صفحات من حياته وجهاده ــ أحمد إدريس ــ المختار الإسلامي ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١٣٥ ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد البر ــ تحقيق: علي محمد البجاوي ــ مكتبة نهضة مصر.

١٢٦ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة : علي بن محمد بن الأثير ــ الطبعة الأولى بمصر ١٣٨٦هـ.

١٣٧ ــ الاصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن حجر العسقلاني ــ دار نهضة مصر للطباعة ١٣٨٣هـ.
١٣٨ ــ الأعلام : خير الدين الزركلي ــ الطبعة الرابعة ١٩٧٩م ــ دار العلم للملايين ــ بيروت.
١٣٩ ــ الاكليل : أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني ــ تحقيق: محب الدين الخطيب ــ المطبعة السلفية ١٣٦٨هـ.
١٤٠ ــ البداية والنهاية : أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير ــ الطبعة الأولى ١٩٦٦م ــ مكتبة المعارف.
١٤١ ــ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمد شكري الألوسي ــ شرح وضبط ــ محمد بهجة ــ الطبعة الثانية ــ مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
١٤٢ ــ تاريخ أبي الفداء (كتاب المختصر في أخبار البشر) ــ للملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (أبي الفداء) ــ إصدار دار البحار.
١٤٣ ــ تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر محمد جرير الطبري ــ الطبعة الأولى بالمطبعة الحسنية المصرية.
١٤٤ ــ تاريخ الحضارة الإسلامية : أبو زيد شلبي ــ الناشر: مكتبة وهبة ــ القاهرة.
١٤٥ ــ تاريخ العرب قبل الإسلام : دكتور/ جواد علي ــ طباعة المجمع العلمي ــ القاهرة.
١٤٦ ــ تاريخ إيران : شاهين مكاريوس ــ مطبعة المقتضب ــ القاهرة ١٣١٦هـ.
١٤٧ ــ تاريخ العرب قبل الإسلام : عبد الملك بن قريب الأطمعي ــ عن نسخة بخط يعقوب بن السكيت ــ جامعة الملك سعود بالرياض.
١٤٨ ــ تاريخ العرب وعصر الرسول ــ عبد الفتاح علي شحاته ــ مطبعة الأمان ١٣٦٨هـ ــ القاهرة.
١٤٩ ــ التاريخ العربي القديم : دينلت ينلس ورفقاؤه ـ ترجمة د/ فؤاد حسنين علي ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٥٨م ــ مكتبة النهضة المصرية.
١٥٠ ــ حاضر العالم الإسلامي : لوثروب ستيودارد ــ ترجمة: عجاج نويهض ــ المطبعة السلفية ١٣٤٣هـ ــ القاهرة.
١٥١ ــ حضارة العرب : د/ غوستاف لوبون ــ ترجمة وتعريب: عادل زعيتر ــ الطبعة الثالثة ١٩٥٦م ــ القاهرة.

١٥٢ ــ حلية الأولياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.
١٥٣ ــ خطط الشام : محمد كرد علي ــ الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ــ الناشر: دار العلم للملايين ــ بيروت .
١٥٤ ــ خطط المقريزي : أحمد بن علي المقريزي ــ دار التحرير للطباعة والنشر ــ القاهرة.
١٥٥ ــ رجال حول الرسول : خالد محمد خالد ــ دار الفكر ــ بيروت.
١٥٦ ــ صور من حياة الصحابة : دكتور/ عبد الرحمٰن رأفت الباشا ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
١٥٧ ــ ضحى الإسلام : أحمد أمين ــ طبعة ١٣٧٢هـ ــ باشراف لجنة التأليف والنشر بالقاهرة.
١٥٨ ــ الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد ــ طبعة ١٩٧٦م ــ دار صادر ــ بيروت.
١٥٩ ــ ظهر الإسلام : أحمد أمين ــ الطبعة الثالثة ــ ١٣٨٢هـ ــ مكتبة النهضة المصرية.
١٦٠ ــ الغارة على العالم الإسلامي : أ. ل. شاتيله ــ تلخيص وتعريب: محب الدين الخطيب وساعد اليافي ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٠هـ ــ الدار السعودية.
١٦١ ــ فتح العرب لمصر : الفرد ج. بتلر ــ تعريب ــ محمد فريد أبو حديد ــ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥١هـ ــ ١٩٣٣م.
١٦٢ ــ فجر الإسلام : أحمد أمين ــ الطبعة العاشرة ١٩٦٩م ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٦٣ ــ فلسفة الحضارة : ألبرت أشفيتر ــ عربه من الألمانية د/ عبد الرحمٰن بدوي ــ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ــ دار الأندلس.
١٦٤ ــ في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ــ دار النهضة ــ بيروت ١٩٧٦م.
١٦٥ ــ في منزل الوحي : محمد حسين هيكل ــ الناشر: مكتبة النهضة المصرية ــ الطبعة الثانية ١٩٥٢م.

١٦٦ ــ الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير ــ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٦٧ ــ كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام : قطب الدين الحنفي ــ الطبعة الأولى.
١٦٨ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي السعودي ــ دار الأندلس ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة١٩٧٨م.
١٦٩ ــ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية ـ عباس محمود العقاد ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م. دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٧٠ ــ المعارف ــ عبد الله بن مسلم بن قتيبة ــ تعليق ومراجعة: محمد اسماعيل الصاوي ــ الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ــ دار إحياء التراث ــ بيروت.
١٧١ ــ مع الرعيل الأول : محب الدين الخطيب ــ الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ ــ المطبعة السلفية بالروضة ــ القاهرة.
١٧٢ ــ معجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة ــ مطبعة الترقي ١٣٨١هـ ــ دمشق.
١٧٣ ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ دكتور جواد علي دار العلم للملايين ــ بيروت.
١٧٤ ــ مقدمة ابن خلدون ــ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ــ الطبعة الخامسة ــ الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٧٥ ــ النظم الإسلامية : للدكتورين: حسن وعلي إبراهيم حسن ــ الطبعة الثالثة ١٩٦٢م ــ مكتبة نهضة مصر المصرية.
١٧٦ ــ النظم الإسلامية (نشأتها وتطورها) صبحي الصالح ــ الطبعة الثانية ــ دار العلم للملايين.
١٧٧ ــ وفيات الأعيان : أحمد بن محمد بن خلكان ــ تحقيق : إحسان عباس ــ الناشر: دار الثقافة ــ بيروت.

ثامنا : كتب اللغة والمعاجم :

١٧٨ ــ أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمد الزمخشري ــ دار صادر ــ بيروت.
١٧٩ ــ تاج العروس : محمد مرتضى الزبيري ــ منشورات مكتبة الحياة ــ بيروت.
١٨٠ ــ القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ــ الطبعة الخامسة ــ ١٣٧٣هـ ــ المكتبة التجارية بالقاهرة.

١٨١ ــ لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ــ دار لسان العرب ــ بيروت.
١٨٢ ــ مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ــ الطبعة الأولى ١٩٦٧م ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت.
١٨٣ ــ المخصص : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بـ(أبي سيدة) ــ منشورات المكتب التجاري العربي ــ بيروت.
١٨٤ ــ معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
١٨٥ ــ معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ــ تحقيق: عبد السلام هارون ــ الناشر: دار الكتب العلمية ــ إيران.
١٨٦ ــ منار السالك إلى أوضح المسالك : محمد عبد العزيز النجار ــ الطبعة الأولى ــ مطبعة الفجالة الجديدة بمصر.
١٨٧ ــ نهاية الأرب في فنون العرب : شهاب الدين أحمد النويري ــ الطبعة الثانية ــ مكتبة دار الكتب المصرية.

تاسعاً : كتب متنوعة :

١٨٨ ــ أخلاقنا الإسلامية : دكتور مصطفى السباعي ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٢هـ ــ المكتب الإسلامي بدمشق.
١٨٩ ــ الاسلام على مفترق الطرق ــ محمد أسد ــ تعريب: عمر فروخ ــ الطبعة الثامنة ١٣٩٤هـ.
١٩٠ ــ الاسلام الممتحن : محمد الحسني الندوي ــ الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ــ المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة.
١٩١ ــ الإسلام وحاجة الإنسانية إليه : دكتور محمد يوسف موسى ــ الطبعة الثانية ١٣٨١هـ ــ الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة.
١٩٢ ــ الإسلام والمرأة : سعيد الأفغاني ــ مطبعة الترقي ــ دمشق.
١٩٣ ــ الإسلام ومشكلات الحضارة : سيد قطب ــ دار الشروق.
١٩٤ ــ الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان ــ ترجمة ظفر الإسلام خان ــ الطبعة السابعة ١٣٩٧هـ ــ المختار الإسلامي بالقاهرة.
١٩٥ ــ التطور والثبات في حياة البشر : محمد قطب ــ الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ ــ دار الشروق.

١٩٦ ـ الحجاب ـ أبو الأعلى المودودي ـ دار الفكر بالقاهرة.
١٩٧ ـ حقوق النساء في الإسلام : محمد رشيد رضا ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٩٨ ـ دراسات إسلامية : سيد قطب ـ صدّر له : محب الدين الخطيب ـ الطبعة الثالثة.
١٩٩ ـ السلام العالمي والإسلام : سيد قطب ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ ـ دار الشروق.
٢٠٠ ـ شبهات حول الإسلام : سيد قطب ـ الطبعة الخامسة ١٣٨٢هـ.
٢٠١ ـ الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ـ دكتورعبدالستار فتح الله سعيد ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ مكتبة المعارف بالرياض.
٢٠٢ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ للسيد أبي الحسن علي الندوي ـ الطبعة العاشرة ١٣٩٣هـ ـ دار القلم بالكويت.
٢٠٣ ـ مبادىء الإسلام : لأبي الأعلى المودودي ـ الطبعة السابعة ـ دار العربية.
٢٠٤ ـ المستقبل لهذا الدين : سيد قطب ـ طبعة ١٣٩٤هـ ـ دار الشروق.
٢٠٥ ـ المرأة بين الفقه والقانون : دكتور مصطفى السباعي ـ الطبعة الخامسة ـ المكتب الإسلامي.
٢٠٦ ـ المرأة المسلمة : وهبي سليمان الألباني ـ الطبعة الثانية ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٢٠٧ ـ المرأة وحقوقها في الإسلام : أبو النصر مبشر الرازي ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٩٦هـ.
٢٠٨ ـ معالم في الطريق : سيد قطب ـ الناشر: دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٠٩ ـ مفتاح دار السعادة ومنشورات ولاية العلم والإدارة ـ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي (ابن قيم الجوزية) ـ تصحيح ومراجعة فكري أبو النصر ـ منشورات رئاسة البحوث العلمية بالرياض.
٢١٠ ـ منهج القرآن في التربية : المؤلف : محمد شديد ـ الناشر: مؤسسة الرسالة ـ طبعة ١٣٩٩هـ ـ بيروت.
٢١١ ـ هذا الدين : سيد قطب ـ طبعة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.
٢١٢ ـ هل نحن مسلمون؟ : للأستاذ محمد قطب ـ دار الشروق.

عاشراً : مجلات ودوريات متخصصة :

٢١٣ ــ البحث الإسلامي : مقال للشيخ/ محمد منظور النعماني ــ «معرب» العدد الثامن المجلد السادس عشر ــ ربيع الأول: ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م ــ ص: ٦١ بعنوان: الكفاح في سبيل نشر الحق.

٢١٤ ــ حضارة الإسلام : بحث للأستاذ/ السيد أبي الحسن علي الندوي بعنوان: بعض سمات الدعوة في هذا العصر ــ العدد التاسع ذو القعدة ١٣٩٧هـ.

٢١٥ ــ مجلة أصول الدين بالرياض ــ مقال للأستاذ الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد ــ بعنوان: نظرات في الاستدلال القرآني ــ العدد الثاني ١٣٩٩/١٤٠٠هـ.

٢١٦ ــ محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في موسمها الثاني ــ عام ١٣٩٧/٩٦هـ ــ محاضرة للشيخ محمد المجذوب ــ ص: ٥٣ المجلد الثالث بعنوان: عقبات في طريق الدعوة الإسلامية.

٢١٧ ــ هذه سبيلي : مقال للدكتور عمارة نجيب محمد ــ العدد الأول ص ٣٦٩ ــ السنة الأولى ١٣٩٨هـ بعنوان: مميزات الدعوة الإسلامية منهاجها وأسلوبها.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

إستدراك الأخطاء وتصويبها في كتاب أسباب نجاح الدعوة

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
تعالج	١٩	١١	تخالج
عاقبه	٤٦	١٧	عاقبهم
عورته، بجسمه	٦٩	٣	عورته، ويلقي بجسمه
جموع	٦٩	١١	جموح
بنياتها	٧٨	١٥	بنيانها
لم تكن	٧٨	٢١	ولم تكن
وأمرنا، بصدق	٨٢	٥	وأمرنا بصدق
بن بفي	٨٩	٩	بن بغي
وقطعوا	٩٨	٨	وقطع
سوره	٩٨	١٦	صوره
الوثنيين	١٠٠	١٩	والجاهليين الوثنيين
تقار ن	١٠٩	٨	نقار ن
فذهب	١١٠	٢	فذهبت
منهما	١١١	٢	منها
كالسود	١١٢	٦	كالسواد
يثرب	١١٧	١	ويثرب
اليهود	١٢٣	١٧	أحبار اليهود
السموات	١٢٧	١٣	السنوات
هدم	١٣٥	١٠	حاول هدم
الفبيل	١٤٩	٧	الفيل
في تلك الحين	١٥٥	١٣	في ذلك الحين
أدمحت	١٥٩	١٩	أدمجت
لا بد للباطل	١٦٨	١٦	ولا بد للباطل
موفقاً	١٧١	٢٠	موافقاً
الخليقة	١٧٢	٢٤	الخلقة

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
إنه قال	١٧٣	٥	أنه قال
على زعمهم	١٨٤	١٢	على حد زعمهم
الثلفظ	١٨٧	١٠	التلفظ
يعتقد إنه	١٩٣	٨	يعتقد أنه
مما لا يسمع	٢١٦	١٩	مما لا يسع
ثم أنه	٢٢٠	١	ثم إنه
	٢٢٧	الهامش	٣ ـ انظر: زاد المعاد جـ (٢) ص ٣٩.
ومصدر سام	٢٣٤	٦	ومقصد سام
أو إظهار	٢٣٤	٨	أو إظهاراً
وبين	٢٥٥	١٤	ويبين
ينطق	٢٦٠	٤	ينطبق
فيهم جميع	٢٦٣	٢٠	فيهم ذلك
للسيوطي	٢٦٣	٣ ـ الهامش	للبوطي
موضعه	٢٦٤	٦	في موضعه
منبهاً	٢٦٤	٨	منبئاً
كونه	٢٩٩	١٦	لكونه
كام	٣٠٥	١٥	كان
الجليلة	٣٠٨	٣ ـ الهامش	الحلبية
رحمتهما	٣١٨	٤	رحمهما
وهيأته	٣١٩	٦	وهيأت
يفوز	٣٢٨	١ ـ الهامش	يغور
ان بلال	٣٤٦	٦	ان بلالاً
لا نزال	٣٤٩	٥	لا نزاع
واصحابه	٣٥٦	٩	أصحابه
أقرن وأقرن	٣٥٧	١ ـ الهامش	أقرن وأقران
محمداً	٣٨٧	١٠	محمد